

الفكاهة في جمع الجواهر

لأبي إسحاق الحصري (٤١٣هـ)

إعداد

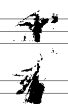
الدكـــتور

كمال عبد الباقي لاشين

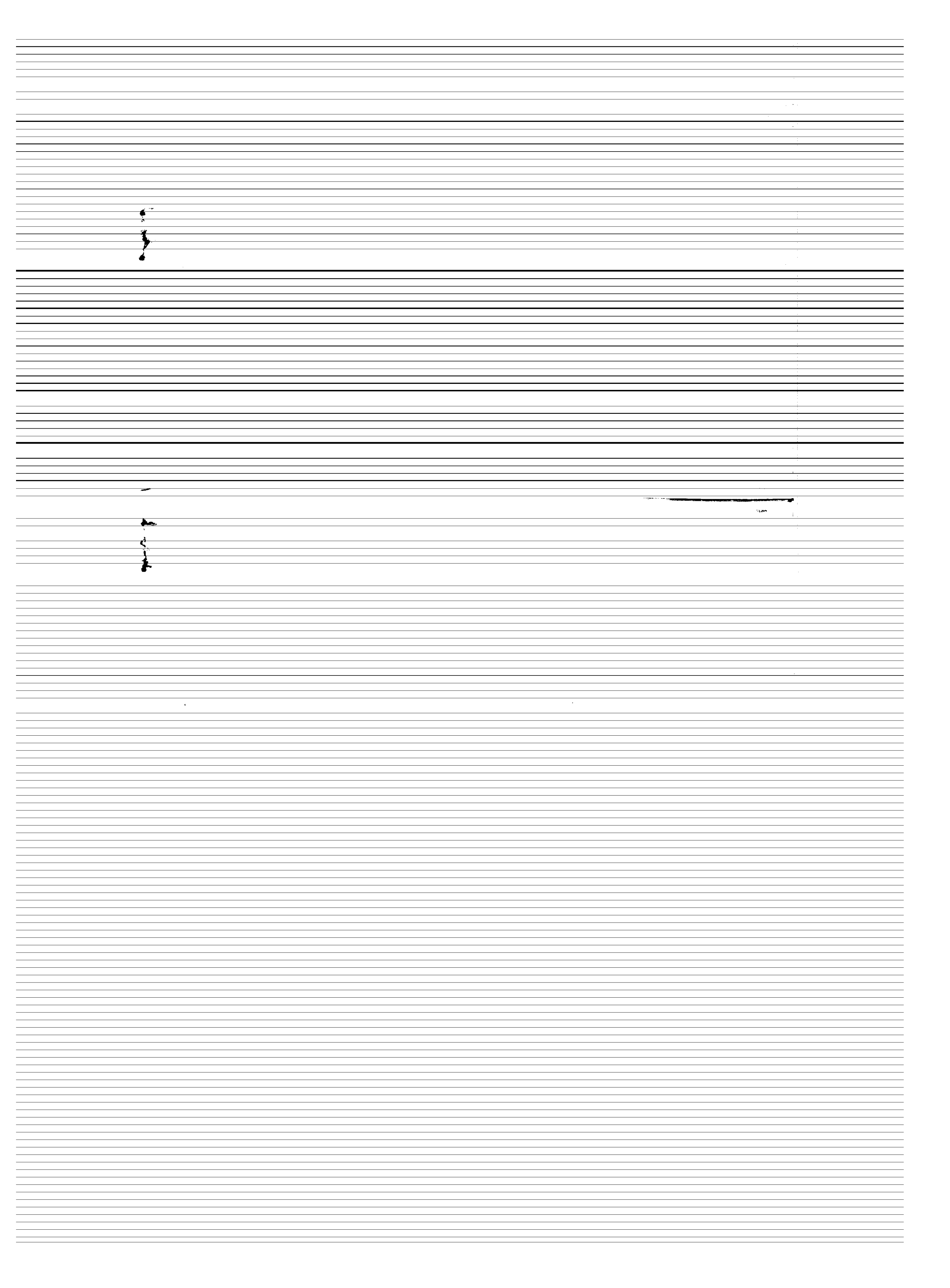
أستاذ مساعد في قسم الأدب والنقد

بكلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

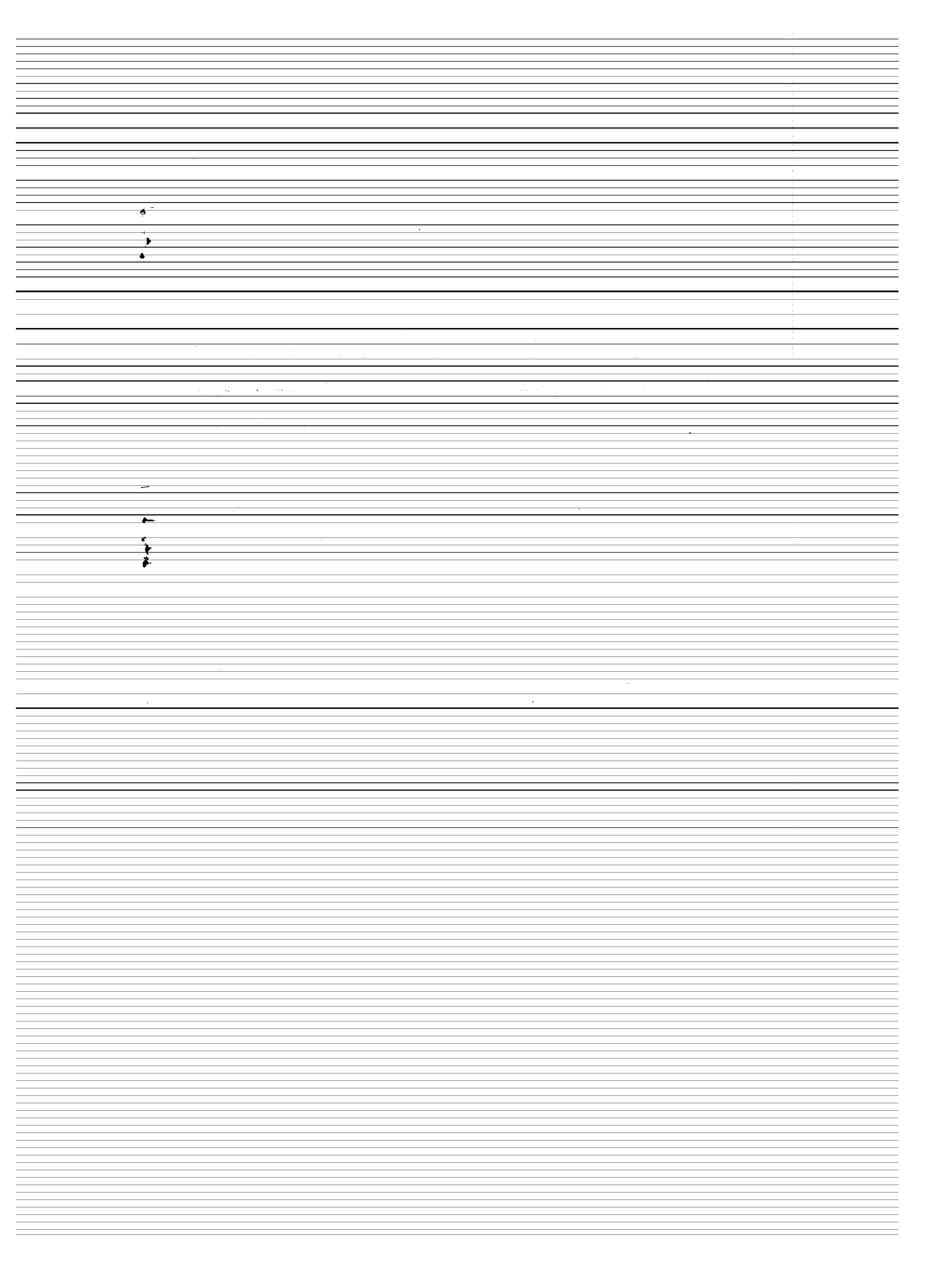


١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م



إلى روح أمي

بَلَّ الله ثَرَاهَا ، ونَوَّر حُفرتها ، وغفر زَلَّتها ، وأزال وَحْشتها ، وآنس وحْدتها بمن فرط من ولدها ، ومن سبق من أهليها ، وصالحي المؤمنين ، وجعل ثواب ما قمتُ به في هذا العمل في موازين حسناتها ، وجمعني بها في علّيين



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي جعلنا في الأمم أمة وسَطا، واختار لنا من الدين دينا يُسرا لا عُسرا ، وأرسل إلينا نبيا لينا رحيما ، لا غليظا ولا فظا ، والصلاة والسلام على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي بُعث بالحنيفية السمحة ، والملة القويمة ، وأُرسل بالتيسير لا بالتعسير ، وكان دأبُه اختيارَ أيسر الأمرين ما لم يكن إثما ..

و بعد ..

فمن جَدِّ المرء أن يُختار له مما يُحسن ، وأن يُدفع إلى ما له فيه سابقة إجادة ، وقديما قيل : " قيمةُ كلِّ امرئ ما يُحسن "(١) ، وأن يُفسح له في الاختيار . ومن كَدِّه أن يُختار له مما لا يُحسن ، وأن يُدفع إلى ما ليس له فيه سابقة إجادة ، وأن يضيَّق عليه عند الاختيار ، ومن أفسحَ لك في الاختيار فقد خَيَّرك ، ومن ضيَّق عليك فكأنما اختار لك ، ولم يَخيِّرك .

وقد كان هذا .. ، وخُيرتُ فاخترتُ موضوع : الفكاهة في كتاب " جمع الجواهر في الملح والنوادر " ، لأبي إسحاق الحُصْرِي القيرواني ، ولم تكن لي قبلها قراءة متعمقة في موضوع : " الفكاهة في أدب العرب " ، ولا في " أدب المغرب

(١) قالها علي رضي الله عنه : البيان والتبيين : ١/ ٨٣ ، وزهر الآداب : ١/ ٤٤.

العربي"، وكل ما كنت كتبته إنما كان في " أدب الجد " ، وفي " آداب المشرق العربي"؛ فوجدت نفسي كالمُقْدِم على ما لا يعرف ، وكالمرتاد أرضا لم تعرفها قدماهُ ، أو المُلْقى في لجَّة لا يبصر شاطئاها.

ومع هذا أقدمت على الموضوع إقدام راض به ، ملتمسا من الله العون ، آملا في إحراز بعض التوفيق فيه . فما إن أخذت المطبوعة الأولى من الكتاب(١) وقلبتها حتى حُبب إلي الموضوع ، ورأيت فيه من الخير ما لم يكن بدا لي فيه أولا ، ووجدته قَدَر خير وافق وقته ، وجاء عند ساعة الحاجة إليه :

فقد امتُحنت على مدى العامين الفائتين بعلة مجهدة مقعدة ، نالت من الجسد والنفس جميعا ، ولقيت منها ما الله به عليم . دافعتها عن نفسي و دافعتني ، فغلبتها حينا وغلبتني أحيانا ، وكنت معها كما قال أبو الطيب المتنبي :

بذلتُ لها المطَارِفَ والحشَايَا   فعَافتْها وباتَتْ في عِظَامِي (٢)

ووافق اقتراحُ هذا الموضوع بداية تَعَافٍ من العلة شَمِمْت معها رائحة العافية ؛ فرأيت في الاشتغال بموضوع عن الفكاهة- والحالة هذه- ضربا من ضروب الاستشفاء ، رجوت أن يصفي النفس من كدرها ، وينفيَ عنها ما لحق بها من خَبَث المرض - والمرض مسْقَمَةٌ للجسد مَخْبَثَةٌ للنفس - ، ويمسحَ عنها ما علق بها من وضر الكآبة .

وكان مما زاد الموضوع إلى حبا ، وقربه مني أكثر أنه وضع في طريقي مرة أخرى أحد شيوخي الذين أحببتهم جدا ، ونفعني الله بما كنت تعلمته منهم ، وهو

(١) مطبوعة الأستاذ : محمد أمين الخانجي ـ وتفضل فأعارنيها الأستاذ الدكتور حسن ذكرى ، كما تفضل السيد الدكتور جلال حجازى فأعارنى المطبوعة الثانية مطبوعة الأستاذ محمد على البجاوى ، فجزاهما الله عنى خيرا . وسأعود إلى بيان فرق ما بين المطبوعتين .

(٢) من قصيدة «الحمى» وهى فى الديوان ٤/ ١٤٥ ـ ١٤٩ .

شيخي: أبو فهر محمود محمد شاكر _ طيب الله ثراه، وغفر له _ : فما إن أخذت المطبوعة الأولى من الكتاب، ومضيت في تصفحها حتى وجدت على ظهر صفحة الغلاف :

"انظر في آخره المستدرك، بقلم الأديب الفاضل البحاثة الأستاذ :محمود محمد شاكر". ووجدت مصحح الكتاب و ناشره الأستاذ : محمد أمين الخانجي يقول في ثنايا مقدمته للكتاب : "وكان صديقي الفاضل البحاثة الأستاذ محمود محمد شاكر يود أن يُعنى بما أنشره من الكتب الممتعة ؛ فسألته قراءة الكتاب بعد طبعه، فتفضل بذلك، و أرسل إلي المستدرك الذي يهم كل أديب استدراكُه، فجعلته تتمة الأصل" (١).

ووجدت بعقب مقدمة الشيخ عبد العزيز البشري للكتاب تقديما آخر شديد الاختصار لأبي فهر(٢)، يقول فيه : "... وبعدُ فهذا كتاب يتقدم وحده إلى قرائه بفكاهته ودعابته، وملحه، وشعره الرائق، قد جمع فيه الحصري من النوادر ما تفرق، حتى صار كالروضة المونقة، فيها راحة النفس، ولذة العين وطيب النسمة. وانفرد عن أمثاله من كتب الملح والنوادر بحسن الاختيار، ونقاء العبارة، وبديع الاستطراد من شعر، إلى نادرة، إلى تاريخ، إلى ترسل.

هذا. وقد كانت النسخة التي طبع عنها هذا الكتاب سقيمة فاجتهد السيد الفاضل: محمد أمين الخانجي في تصحيحه جهد الطاقة، حتى إذا فرغ من طبعه أرادني أن استدرك عليه بعد قراءته، فاستخرجت الصواب لكثير مما وقع فيه، وتركت شيئا تعداه النظر، أو شيئا منعني من الاجتراء عليه استبهامُه عليَّ، حتى

(١) جمع الجواهر (ط الخانجي) : ص : د .
(٢) السابق : ص : ع

نعود بعون الله إلى طبعه مرة أخرى فيخرج مبرأ من الخطأ، نقيا من العيب. والله المستعان "

ووجدت في آخر الكتاب مستدركَ الشيخ أبي فهر ، وهو يقع في اثنتين وثلاثين صحيفة(١) ، ليست من جنس تصحيحات أغلاط الطباعة ، ولكنها تحقيقات علمية رصينة ، وتصويبات بصيرة لألفاظ وعبارات ، وأعلام ، وأشعار، وأحداث كانت مبهمة في أصل الكتاب مستعصية .

ولما كنت معنيا من قديم بتتبع كل ما كتبه الشيخ -رحمه الله تعالى- ، ولم أكن وقفت على هذا المستدرك ، ولا سمعت به ، فقد تعلقت به نفسي حين وقفت عليه ؛ مما زاد الموضوع إلي حبا، وزادني عليه إقبالا .

وكان أول ما فعلته لإنجاز هذا البحث أني أخذت كتاب : "جمع الجواهر.." فقرأته أولا قراءة ارتياد وتصفُّح ، ثم عدت إليه فقرأته قراءة تأمل وتفحُّص ، واستخرجت من نصوصه ما جعلته مادة لهذا البحث . ثم عمدت إلى كتابي الحصري الآخرين : " زهر الآداب " ..، و " المصون في سر الهوى المكنون " فقرأتهما قراءة تصفُّح ؛ لأنظر ما فيهما مما له صلة بموضوع البحث وهو الفكاهة ، ولأقف على المشترك وغير المشترك في الكتب الثلاثة .

ثم تتبعتُ ترجمات أبي إسحاق الحصري في ما وقع لي من كتب الرجال والطبقات التي ترجمت له ، ووراجعتُ بعض أمهات كتب الأدب والتاريخ في المغرب العربي والأندلس ؛ لأقف على دقائق حياة الحصري ، وثقافته ، وصلته ببيئته و بأحداث عصره ، و على مكانته من الأدب العربي ، و من أدب المغرب العربي ، وأدب الفكاهة بوجه أخص .

(١) جمع الجواهر (ط الخانجي) : ٣٠٥ ـ ٣٣٨ .

ولما كان الحصري قد جمع مادة هذا الكتاب رواية من كتب من سبقوه إلى رواية الفكاهات والملح والنوادر ؛ فقد تتبعت كتب مشاهير من تصدى لجمع الفكاهات ، وروى الملح والنوادر قبله مثل : أبي عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ)، وأبي العباس المبرد(٢٨٥هـ)، وأبي الطيب الوشاء (٣٢٥هـ) ، وابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) ، وغيرهم ؛ لأتتبع مصادره في كتابه ، و لأقف على مبلغ أخذه ممن تقدمه ، وطرائقه في الأخذ عنهم ، والنقل من كتبهم.

ثم تتبعت جانبا مما كُتب في موضوع الفكاهة في الأدب من دراسات معاصرة، سواء أكانت كتبا مؤلفة ، أم رسائل جامعية ؛ لأرى ما وصلت إليه الدراسات السابقة في موضوع " أدب الفكاهة " ، وما يمكن أن يمثله بحثي هذا من إضافة علمية في هذا الباب .

وكان من محصلة هذا الجهد كله أن استوى هذا البحث : « الفكاهة في كتاب جمع الجواهر .. للحصري» في عدد من المباحث هي :

المبحث الأول : مطبوعتا جمع الجواهر .

المبحث الثاني : من الدراسات السابقة في أدب الفكاهة .

المبحث الثالث : الحصري ونظرية الفكاهة .

المبحث الرابع : صنوف الفكاهات في جمع الجواهر .

المبحث الخامس :من مصادر الحصري في كتابه .

المبحث السادس : منهج الحصري في جمع الجواهر .

المبحث السابع : نقد الفكاهات في الكتاب .

و بعدُ . فلقد لقيت في هذا البحث صعوبتين : واحدة تخص البحث ، وأخرى تخص الباحث . فأما التي تخص البحث فإن جل مادة الكتاب فكاهات متخيرة ، وملح ونوادر مروية ، قد فرقت في الكتاب دون منهج واضح في التقسيم أو التبويب ، للحصري فيها أنه جمعها وتخيرها. ومثل هذا الكتاب أنت واجد في قراءته وتصفحه قطعا سرورا يغْمر النفس ، وأنسا يغْمُر القلب ، ولكنك ستجد مشقة وعنتا عند دراسته دراسة علمية ، والبحث فيه بطريقة موضوعية منهجية ، وقد كان .

وأما التي تخص الباحث فهي أني تصديت لهذا البحث وأنا ما زلت تحت سلطان المرض الذي أشرت إليه، والعلة التي وصفتها ؛ فعالجته بعزم وجهد منقوصين .

وقد علم الله أني جمعت أكثر مادة هذا البحث ، وكتبت مسودته وأنا فى حالة شبيه بالحالة التي وصفها أبو عثمان الجاحظ في رسالته التي كتبها لمحمد بن عبد الملك الزيات – وذكر له فيها أن جمع كتبه وأسفاره في مصاحف جامعة كما كان اقترح عليه ابن الزيات – قال : "..ورأيتُ أن أنظر فيها وأنا مستلْق ، ولا أنظر فيها وأنا منتصِبٌ استظهارا على تعب البدن ؛ إذ كانت الأسافل مثقلة بالأعالي ، وإذ كان الانتصاب يسرع في إدخال الوهن على الأصلاب ..."(١). وإنما أشبهت الحالةُ الحالةَ، وإلا فأين أنا– أو من هو مثلي– من أبي عثمان رحمه الله؟! ، وأين ما أنجزه هو في علته مما أنجزته أنا في علتي أو عافيتي(٢) .

وكان أبو عثمان الجاحظ يقول أيضا : إن لابتداء تأليف أي كتاب عُجُبا وفتنة،

---

(١) رسالة : «الجد والهزل » ضمن رسائل الجاحظ : ١/ ٢٤٨ .
(٢) ألف الجاحظ فى علته كتابيه : الحيوان والبيان والتبيين . انظر مقدمة هارون للبيان ١/ ١٥ .

تستوليان على النفس ، وتعميان عن بعض الحق . والسلامة من هذا بالتوقف وإعادة النظر ، توقف من طمعُه في السلامة من العيب ، أكبرُ من طمعه في غنيمة الظفر(١).

وهذا حق وقد جربته ، ولكن ضيق الوقت وسيفَ العجلة مانعان من ذلك .

ومع هذا فقد بذلتُ في هذا البحث وُسْعي ، ولم آل فيه جهدا مع ما في الوقت من ضيق . ولله الحمد في الأولى وفي الآخرة ،و صلى الله على نبينا محمدٍ، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان .

كمال عبد الباقي لاشين

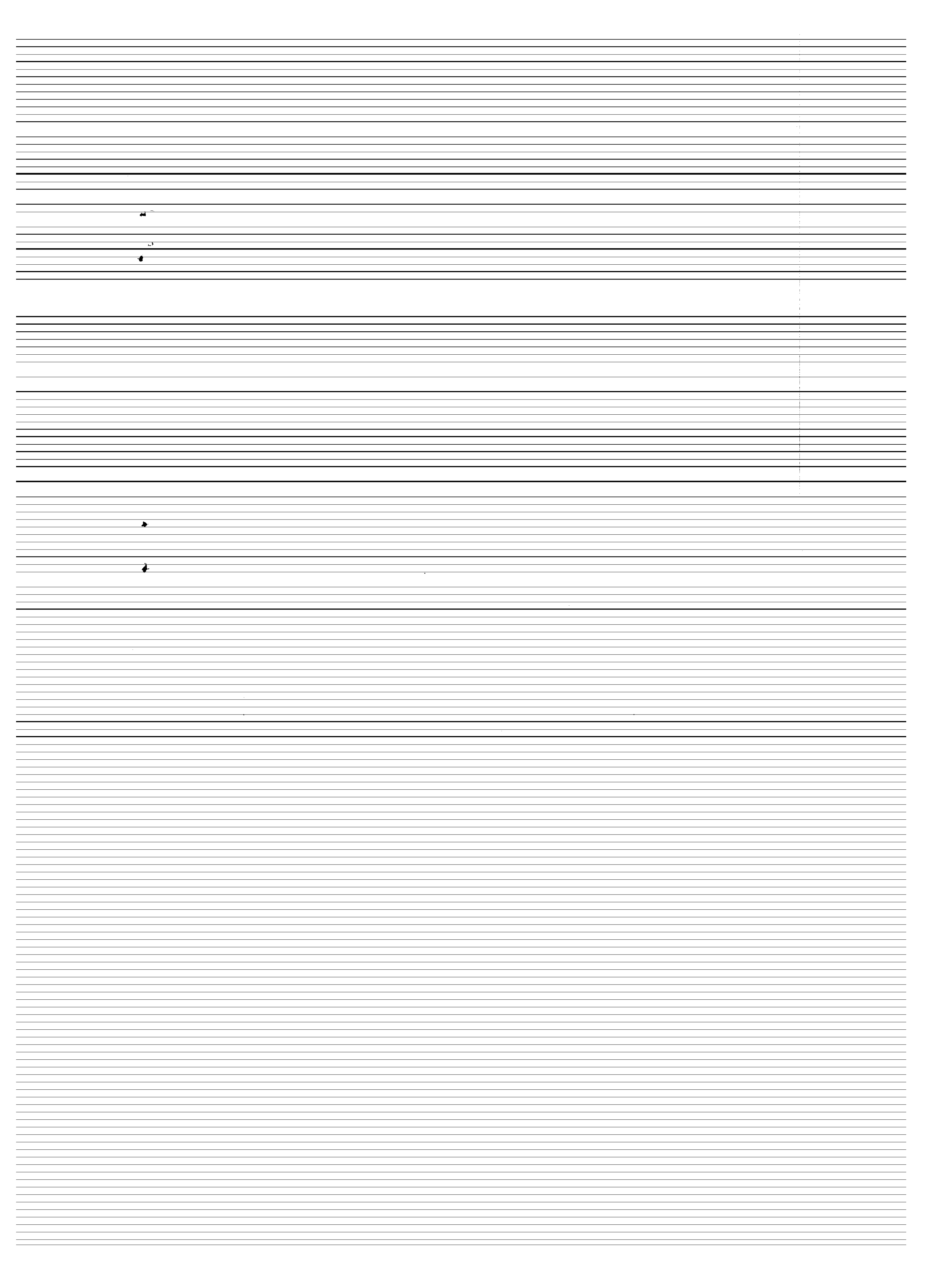
مدينة السادس من أكتوبر

الثلاثاء : ٨ رجب ١٤٢٥ هـ

٢٤ أغسطس ٢٠٠٤م

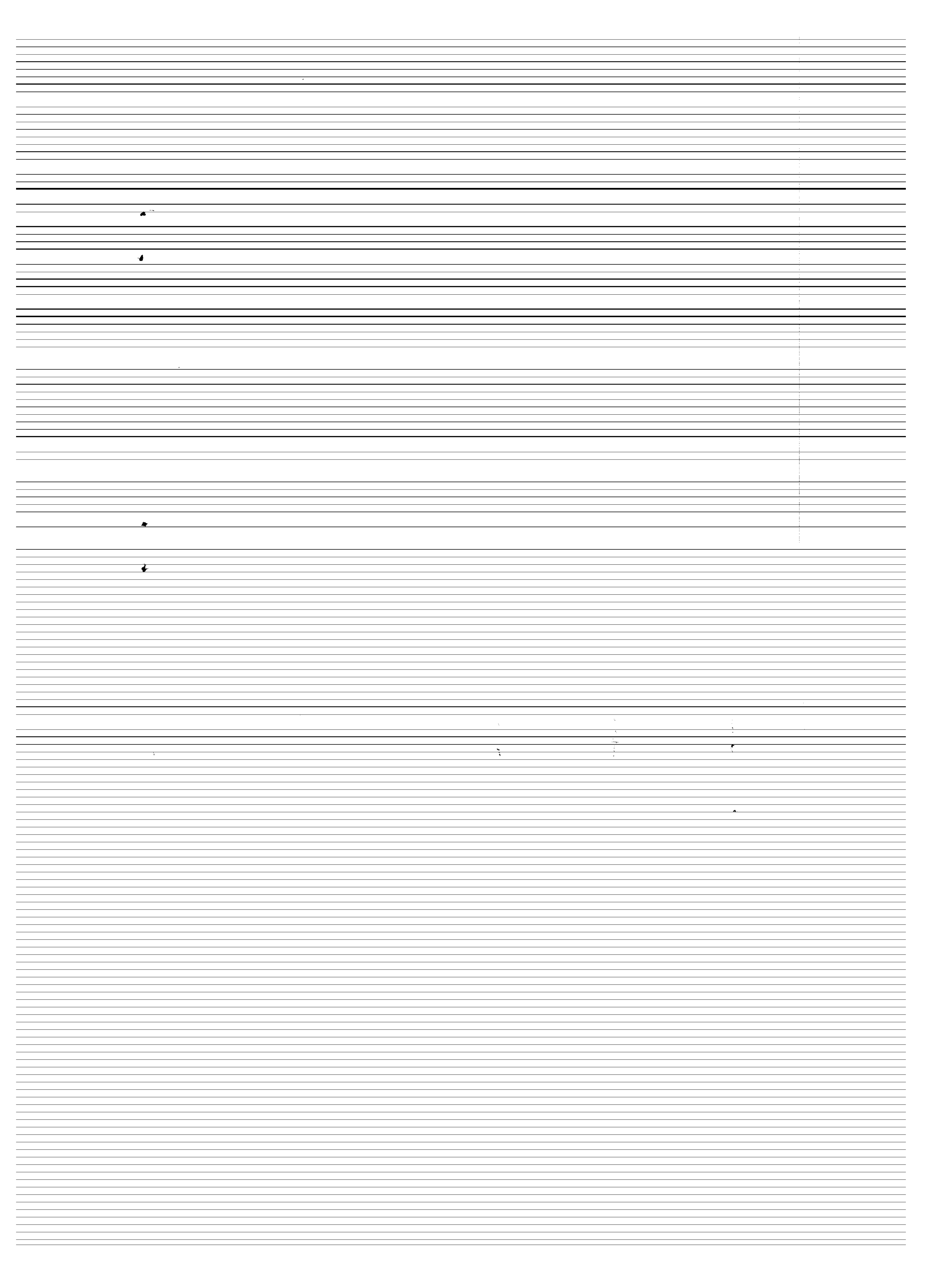
---

(١) الحيوان : ١/ ٨٨ .



المبحث الأول

مطبوعتا جمع الجواهر



رجعت في هذا البحث إلى مطبوعتين من كتاب : جمع الجواهر : أولاهما وأقدمهما : مطبوعة الأستاذ محمد أمين الخانجي الكُتبي الورّاق ، وقد صدرت سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م(١) . وثانيتهما : مطبوعة الأستاذ محمد علي البجاوي ، وقد صدرت سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م(٢) ، أي بعد عشرين عاما من صدور المطبوعة الأولى .

وقد حكى الخانجي -رحمه الله- قصة مطبوعته : كيف وقع له أصلها المخطوط ؟ ، وكيف ضن به عن البيع ؟ ، ثم كيف فكر في نشره ؟، ثم كيف نشره؟ فقال :

إن مخطوطة الكتاب وقعت له فيما كان اشتراه من كتب المرحوم الشيخ : محمد حفني المهدي- رحمه الله -، وإنه ضن بها أن تضيع أو تذهب هباء حين استشعر نفاستها ، وعرف قيمتها ؛ فأهدى منها نسخة فوتوغرافية إلى دار الكتب المصرية ، ثم عاد فباع أصل المخطوطة نفسه إلى دار الكتب ، مخافة أن تضطره الحاجة إلى بيعها إلى إحدى مكتبات أوربا كما فعل بغيرها(٣) .

ووصف هذا الأصل المخطوط الذي طبع عنه الكتاب بقوله :

"يقع الكتاب في مجلد حجم الثُّمن ، في ١٦٤ ورقة ، أي : ٣٢٨ صفحة ،

---

(١) عن المطبعة الرحمانية بمصر .

(٢) عن مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر . ثم صدرت طبعتها الثانية عن دار الجيل ببيروت لبنان سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . وهي الطبعة التي اعتمدت عليها .

(٣) جمع الجواهر (ط الخانجي) : ص : ج من المقدمة .

ومسطرة الصفحة ١٩ سطرا بخط مقارب لقلم الرقعة ، جاء في طرته بقلم الناسخ: " كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر" تأليف الشيخ الأديب البليغ المنشئ: أبي إسحاق إبراهيم بن علي المعروف بالحصري ".

وجاء في آخر صفحة منه عقب التمام : " بقلم الفقير إبراهيم بن الحاج علي الأحدب الطرابلسي الحنفي ، في سابع عشر جمادى الثاني سنة ١٢٧٤هـ " . ثم يلي ذلك بخط محمد حفني المهدي :

"الحمد لله أتممت مطالعة هذا الكتاب : " عقود الجواهر في الملح والنوادر " للعلامة : إبراهيم بن علي الحصري ، صاحب زهر الآداب ، وهو قروي(١) ، أي من القيروان كابن رشيق ، وهو من أهل القرن الرابع فيما أظن (٢) .

وكان إتمامي مطالعته بعد عصر يوم الجمعة ٢٩ محرم سنة ١٣٢٢ هـ ، بمدينة حلوان من أعمال مديرية الجيزة ، بمنزل صديقنا محرم باشا شاهين . و هذه النسخة هي بخط ناسخها: الأديب الشهير والشاعر الخطير، الشيخ إبراهيم الأحدب ، وهو رجل من أهل زماننا أدركنا حياته.. " (٣)

ثم ابتدأ الأستاذ الخانجي بعد ذلك طباعة الكتاب ، وأخبر الشيخ :عبد العزيز البشري فاستحسن صنيعه ، و لما سأله الخانجي أن يكتب مقدمة للكتاب ، كتب له

---

(١) قال الخانجى : جمع الجواهر : ص : د : هامش ١ «هكذا بخطه فى الأصل» . قلتُ : وهكذا وردت النسبة عند أبى بكر محمد بن خير فى فهرسة ما رواه عن شيوخه عند تعريفه بالحصرى : ٣٨٠ . ومعلوم أن النسبة إلى القيروان : قيروانى وهو المشهورأو قيروى .

(٢) توفى الحصرى على المشهور سنة ٤١٣هـ وانفرد ابن بسام بالقول إنه توفى سنة ٤٥٣ هـ والأول أصح وأشهر . فهو على كل حال من أهل الرابع مولداً ، ومن أهل القرن الخامس وفاة .. انظر : معجم المؤلفين ١/ ٦٤ ووفيات الأعيان ١/ ٣٧ ، والذخيرة : ٤ / ٣١ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٥/ ١٠٥ ، ١٠٦ ، والأعلام : ١/ ٥٠ ، وبغية الملتمس : ٢٠٩ .

(٣) جمع الجواهر (ط الخانجى) : ص : و من المقدمة .

المقدمة المثبتة في أول المطبوعة .

وقد وهِم بروكلمان في قوله- وهو يعدّد كتب الحصري- : "... ذيل زهر الآداب ، أو : جمع الجواهر في الملح والنوادر : ..ونشره عبد العزيز البشري بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ، وطبع في القاهرة في المطبعة الرحمانية بلا تاريخ "(١) ، فهذا موهم بأن الشيخ عبد العزيز البشري نشر الكتاب نشرة مستقلة سنة١٣٥٣هـ ، وأن طبعة المطبعة الرحمانية نشرة أخرى من الكتاب غير نشرة البشري . و قد علمت أنها طبعة واحدة طبعت في المطبعة الرحمانية في السنة المذكورة ، وأن الناشر للكتاب هو محمد أمين الخانجي، وأن الشيخ البشري هو الذي كتب مقدمة الكتاب لا غير .

ثم اضطلع الخانجي بتصحيح الكتاب بنفسه ، من أصل سقيم قليل التصحيح كما قال هو ، وأعانه أبو فهر :محمود محمد شاكر بمستدركه، الذي جُعل في آخر الكتاب تتمة للأصل ، وقد أشرت إلى هذا في مقدمة البحث .

فالأستاذ : محمد أمين الخانجي -رحمه الله - هو مكتشف مخطوطة هذا الكتاب ، وهو الذي ضن بها أن يبيعها لإحدى مكتبات أوربا، ووضع أصلها وصورة منه في دار الكتب المصرية ، ولولا ذلك لكانت على الأرجح إحدى سبايا الكتب العربية في مكتبات أوربا وأمريكا وغيرهما ، كأخوات لها كثيرات .

ثم هو الذي طبع الكتاب أول مرة وعرّف القراء والباحثين به ، وبقي الكتاب عشرين سنة لا يعرف إلا من خلال مطبوعته ، حتى أظهر الأستاذ البجاوي نشرته .

فكان من الغريب حقا ، ومن المنكر غير المبرر- بعد هذا - أن يبخس الأستاذ

---

(١) تاريخ الأدب العربى : ٥ / ١٠٥ ، ١٠٦ . ووهم بروكلمان أيضا حين عد لأبى إسحاق الحصرى كتبا ليست له ، وخلط بينه وبين ابن خالته أبى الحسن على بن عبد الغنى الحصرى مع أنه عرف الأخير وذكره فى كتابه . انظر : ١/ ١٠٦ ، ٥/ ١٢٢ ، ١٢٣ .

البجاوي حقّ الأستاذ الخانجي ، وأن يجحدهُ فضله ، و يغمطه سبقه ، وأن يجهِّل أمر المطبوعة الأولى وصاحبها تجهيلا كأنه مقصود ، فيقول في مقدمة زهر الآداب :

إن " لمؤلف هذا الكتاب-يعني زهر الآداب- كتابا آخر اسمه " جمع الجواهر في الملح والنوادر " ، طُبع باسم آخر هو : ذيل زهر الآداب ، و لناشره تعليل لهذه التسمية لا نقره عليها ؛ لأنه كتاب مستقل للمؤلف " (١) .

ثم يكرر هذا القول في مقدمة جمع الجواهر فيقول : "وطُبع الكتاب قبلُ في مصر باسم " ذيل زهر الآداب " أيضا.وقد عُلل لهذه التسمية بأن مؤلف كتاب زهر الآداب لم يذكر فيه ملحا و نوادر؛ ولذلك جعل هذا الكتاب ذيلا له ، فجمع فيه هذه الملح " (٢) .

فلا يزيد في العبارة الأولى على قوله : " و لناشره .. " دون أن يسمي ذلك الناشر ، ثم يضن بهذه الإشارة اليسيرة في العبارة الثانية فيقول : " وطُبع الكتاب .." دون أن يقول من طبعه !! ، ويقول : " وقد عُلل لهذه التسمية .." دون أن يذكر اسم من عَلَّلَ!! .

وقد رغبتُ أول الأمر في التماس عذر للأستاذ البجاوي ، فقلت : لعله عرف الكتاب أولا ووقف عليه ، كما تدل على ذلك عبارتاه اللتان نقلتهما عنه ثم غاب عنه الكتاب عند إخراج طبعته ، فحكى من الذاكرة لا من نص أمامه فأخطأ ، والخطأ فى مثل هذا يعذر فيه صاحبه ، ويسامح فيه قائله .

ثم امتنع العذر، واستُحق اللوم حين رأيت البجاوي يحيل في هوامش طبعته على نشرة الخانجي في أكثر صفحات الكتاب بقوله : " في : ط كذا"- يعني في

(١) مقدمة زهر الآداب : ص : و .
(٢) مقدمة جمع الجواهر (ط البجاوى) : ص : د .

المطبوعة – ، وإن لم يشر في المقدمة إلى أن معنى هذه العبارة الإحالة على المطبوعة على ما جرت به العادة في التحقيق العلمي ، وقد عرفتُ أنا ذلك من مراجعة المطبوعتين.

ومحمد أمين الخانجي –رحمه الله– وراّق نبيل وكُتْبي جليل ، من طبقة قدامى الوراقين في تاريخ الكتب العربية ، له فضل أي فضل على التراث العربي و المكتبة العربية . وقد ذكره الأستاذ عبد السلام هارون فقال : "وإني لأزجي الشكر صادقا إلى الأخ السيد : محمد نجيب أمين الخانجي ؛ لتيسيره نشر سلسلة هذه الرسائل –يعني رسائل الجاحظ– وغيرها من نفائس التراث العربي ، مقتديا في ذلك بوالده المغفور له السيد : أمين الخانجي الذي يحفظ له التاريخ سبقا مبكرا بارعا إلى إحياء كثير من المخطوطات العربية التي أولاها عنايته وإخلاصه "(١)

وأعجب ما دلتني عليه الموازنة بين المطبوعتين – بعد كل ما تقدم– أن الخانجي قدم لمطبوعته في صفحتين ، وترجم للحصري في خمس صفحات ونصف . وقدم البجاوي لمطبوعته بما دون الصفحتين ، ولم يترجم للحصري مكتفيا على الأرجح بتعريفه به في مقدمة كتاب :زهر الآداب ، وهو تعـريف يقع فيما دون النصف صفحة!!! .

وأعجب من هذا : أن البجاوي لم يعرف بمخطوطتي الكتاب اللتين طبع نشرته عنهما إلا بقوله :" ..وبحثت في دور الكتب بمصر عن مخطوطات الكتاب التي تساعد على تحقيقه ،فلم أجد إلا مخطوطتين في دار الكتب المصرية ، إحداهما : برقم ٦٣٤٧ أدب ، مكتوبة بتاريخ ١٢٧٤هـ ، وعدد أوراقها ١٦٤، ومسطرتها ١٩، والأخرى :برقم ٧ أدب تيمور غير مؤرخة ، وعليها تمليك تيموري وعدد صفحاتها

(١) مقدمة رسائل الجاحظ : ١ / ١٤ .

وموطن العجب أن المخطوطة الأولى التي ذكرها البجاوى هي بعينها مخطوطة إبراهيم الأحدب الطرابلسي ، أي: مخطوطة الخانجي التي أهدى صورتها لدار الكتب ، ثم عاد فباع أصلها للدار ، تعرف هذا يقينا بمراجعة ما كنت نقلته عن الخانجي من وصفٍ للمخطوطة ، و ذكرٍ لتاريخها ، وعدد صفحاتها ، ومسطرة كل صفحة .

والمخطوطة التيمورية هي-على الأرجح- صورة من هذه المخطوطة ، ومما يستدل به على ذلك قلة الفروق التي أثبتها الأستاذ البجاوي في هوامشه بين المخطوطتين .

فأي معنى -بعد هذا- لقول البجاوي : " وبحثت في دور الكتب بمصر عن مخطوطات الكتاب ,...إلخ " .وكيف لم يتنبه إلى أن مخطوطته الأولى هي بعينها مخطوطة الخانجي ؟! .

وأعجب من سائر ما تقدم ما اشتمل عليه كلام البجاوي عن الخانجي ومطبوعته من الخطأ، والمطبوعة كانت بين يديه !! : فقوله : " وطبع الكتاب باسم ذيل زهر الآداب ..." يوهم بأن الخانجي لم يسَمِّ الكتاب إلا بهذا الاسم ، ولم يُورد على غلاف المطبوعة إلا هذه التسمية . وصورة العنوان على غلاف مطبوعة الخانجي هو هكذا :

ذيل زهر الآداب

أو

جمع الجواهر في الملح والنوادر

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني المتوفى سنة ٤٥٣هـ

وعبارة " جمع الجواهر في الملح والنوادر "بينط أكبر بكثير من عبارة :" ذيل

زهر الآداب "، بحيث إن عبارة " جمع الجواهر .. "،وهي ما تأخذ عينك أولا عند النظر إلى صفحة الغلاف ، لا عبارة "ذيل زهر الآداب "، وإن كان كثير من الدارسين بعد ذلك قد استخف عبارة " ذيل زهر الآداب " فجعلوها عنوانا للكتاب، فعرف بها (١).

وقد نص الخانجي – كما نقلت عنه من قبل– على أن العنوان الذي كان على طرة المخطوط ، – أي : على الغلاف –، بقلم الناسخ هو : جمع الجواهر في الملح والنوادر " وقد أبقى على ما كان على غلاف المخطوطة .فهل يقال بعد هذا كله : إن الرجل سمى الكتاب ذيل زهر الآداب وكفى .!!

وقد تجوز البجاوي في قوله : إن الخانجي علل لتسمية الكتاب بـ" ذيل زهر الآداب " ، بأن الحصري لم يذكر في كتابه : زهر الآداب ملحا ونوادر ، وقصر كتابه جمع الجواهر على الملح والنوادر فصار الكتاب الثاني ذيلا للأول .

و الخانجي لم يقل هذا وإنما قال في آخر ترجمته للحصري :

"ولما كان الحصري رحمه الله جرى في كتابه : زهر الآداب على إغفال المجون غير النزر القليل منه ، وعرض علينا في كتابه هذا صورا مختلفة من أنواعه– قدرت أنه ألفه بعد الأول ؛ فجعلته ذيلا ، مع محافظتي على الطرة المخطوطة . والله الموفق للصواب "(٢) .

إلا إن تكون عبارة "الملح والنوادر" في قول البجاوي مرادفة للفظة "المجون" في عبارة الخانجي وهذا مستبعد عندي .

ولا أجد رابطا بين أن يكون الحصري لم يضمن كتابه زهر الآداب مجونا غير

(١) انظر : بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٥ / ١٠٥ ، والحوفي : الفكاهة فى الأدب : ٤٠٧ .
(٢) مقدمة جمع الجواهر : ص : ى .

النزر اليسير ، و أورد في كتابه : جمع الجواهر صورا منه، وبين أن يكون الجمع قد ألف بعد الزهر ، وأن يجعل الجمع ذيلا للزهر ، كما ذهب إلى ذلك الخانجي ، إلا أن يكون أراد أن اشتمال ثاني الكتابين ـ وهو : جمع الجواهر ـ على ما خلا منه الأول ـ وهو: زهر الآداب ـ يجعل الثاني كالتتمة للأول ، وتتمة الشيء ذيل له أو كالذيل .

على أن ما قاله الخانجي ظنا منه وحدسا : من أن جمع الجواهر قد ألف بعد زهر الآداب ، وجدت أنا -بعد لأي ، وطول بحث- نصا يقطع به :فقد أورد الحصري حكاية عن ثمامة بن أشرس مع المأمون في كتاب :جمع الجواهر .. ، ثم قال بعقبها : " وقد كتبتُ جزء مما قيل في طيبات الأغاني ، ومطربات القيان ، وأنا أعيد منه هنا قطعة ترتاح إليها الأرواح .. ـ وذكر أشعارا في هذا المعنى ـ"(١) .

وهذه الأشعار التي أعاد ذكرها في جمع الجواهر .. موجودة بعينها وعلى هيئتها في كتاب : زهر الآداب(٢) . وكأنما نقلت من هناك نقلا على صورتها بلا تصرف يذكر .

فدل هذا على أنه كان كتب الفصل الذي كتبه عن : طيبات الأغاني ومطربات القيان " في كتابه : زهر الآداب حين ألفه أولا، ثم نقل تلك القطعة عنه إلى كتابه : جمع الجواهر حين ألفه ثانيا ، وذلك عند الحاجة إليها . وقد وهم محمد بن سعيد الشويعر حين ظن أن " طيبات الأغاني ومطربات القيان " المذكورة في النص السابق عنوان كتاب مستقل للحصري ، وهي فقرة من كتاب زهر الآداب كما ترى .

هذا . و كتاب : "جمع الجوهر.." مختلف في اسمه من قديم : فمن العلماء

(١) جمع الجواهر : ٣١٧ .
(٢) زهر الآداب ٢ / ٦٠٩ .

من سماه :" جمع الجواهر في الملح والنوادر"(١) ، ومنهم من سماه :" الجواهر في الملح والنوادر"(٢) ، ومنهم من سماه :" عقود الجواهر في الملح والنوادر"(٣) ، ومنهم من سماه: " جواهر النوادر ولمح الملح"(٤) ، ومنهم من سماه :" جواهر النكت والملح"(٥).

وقال البجاوي في مقدمته : " جاء في مقدمة الكتاب- يعني : جمع الجواهر-: " سألتَ أطال الله بقاءك ... أن يَجمعَ لك كتابا في جواهر الملح ولمح الملح- كذا- . وكان مقتضى هذا أن يكون اسم الكتاب " جواهر الملح "(٦) . وعبارة الحصري : " ..أن يجمع لك كتابا في جواهر النوادر ، ولمح الملح ، وفواكه الفكاهات، ومنازه المضحكات .."(٧) .وهذا كما ترى بيان لمادة الكتاب ومحتواه . وبعيد أن يكون عنوانا له ، وإلا لوجب أن يكون العنوان : جواهر النوادر، ولمح الملح، وفواكه الفكاهات ، ومنازه المضحكات ؛ لأن المتاضيفات في الكلام كالشئ الواحد.

---

(١) الزركلى فى الأعلام : ١/ ٥٠ . وكذلك كان العنوان على الطرة المخطوطة للأحدب الطرابلسى التى طبع عنها الخانجى مطبوعته كما تقدم . ويرى بعض الدارسين أن أول من أطلق هذه التسمية على الكتا ب هو عبد القاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ . انظر : محمد ابن سعيد الشويعر : أبو إسحاق الحصرى القيروانى : ٨٠ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء : ١ / ٩٧ قال : «وله عندى كتاب : الجواهر فى الملح والنوادر كتبه عبد القادر البغدادى . « قلت : وهذا خطأ لأن ياقوتا متوفى سنة ٦٢٦هـ وعبد القادر البغدادى صاحب الخزانة متوفى ١٠٩٣هـ ولعله أراد عبد القاهر البغدادى الأصولى صاحب كتاب الأصول المتوفى ٤٢٩هـ . وانظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ١ / ٦٤ .

(٣) هو : محمد حفنى المهدى : جمع الجواهر (ط الخانجى) : ص د من المقدمة .

(٤) هو : حسن حسنى : نقلا عن : أبو إسحاق الحصرى القيروانى للشويعر : ٨٠ .

(٥) البغدادى فى : خزانة الأدب : ١ / ٢٣ .

(٦) ص : د من المقدمة.

(٧) جمع الجواهر : ١ .

وكان ابن رشيق ذكر في كتاب : الأنموذج(١) : أن أبا إسحاق الحصري ألف كتابا في : ملح الشعر والخبر ، صنعه في القيروان . فمن الباحثين من ظن أن هذا الوصف يصدق على كتاب :زهر الآداب...، ومنهم من رآه أليق بكتاب : جمع الجواهر... (٢) . وهذا عندي أقرب .

•••

وكما جحد البجاوي الخانجيَّ ومطبوعته حقهما ، وجار عليهما فعل مثل ذلك مع " مستدرك "(٣) أبي فهر محمود محمد شاكر ، وفيه من الجهد ما يكاد يماثل جهد البجاوي في تحقيق الكتاب ، وربما زاد عليه .

وقد بدا لي أن قابل بين هوامش البجاوي في تحقيقه وبين ما في مستدرك أبي فهر فرأيت شبها ظاهرا بين الإثنين في مواضع كثيرة ، من غير أن يذكر البجاوي هذا المستدرك ولا بكلمة واحدة ، لا تصريحا ولا تلميحا !!. وسأذكر بعض الأمثلة ليستدل بها على ما سواها ؛لأن استقصاء هذا هنا يخرج هذا البحث عن موضوعه :

١ ـ كان في مطبوعة الخانجي و أصلها المخطوط : " وقد قيل : إن عبد الله بن طاهر لما أسر نصر بن شبيب بن يكسوم ..."(٤) .فاستدرك عليه أبو فهر بقوله : " نصر بن شبيب بن يكسوم (كذا) : صوابها :" نصر بن شَبَث بِكَيْسُوم" . وذلك أن نصر بن شبث العقيلي كان قد خرج على المأمون بعد مقتل الأمين ، وتحصن

---

(١) شعراء القيروان من أنموذج الزمان لابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) جمعه زين العابدين السنوسي . دار المغرب العربي . تونس . الطبعة الأولى ١٩٧٣ . ولم يتيسر لي الاطلاع عليه ونقلت ما نقلت عن : أبو إسحاق الحصري .. للشويعر .

(٢) انظر : أبو إسحاق الحصري .. للشويعر : ٥٨ . وصاحب الرأي الأول هو : زين العابدين السنوسي جامع الأنموذج ومحققه ، وصاحب القول الثاني هو الشويعر نفسه .

(٣) انظر ما قلته في وصف هذا المشتدرك في مقدمة البحث : ص ٨ .

(٤) جمع الجواهر .. (ط . الخانجي) : ٥ .

بحصن على تلعة بكيسوم في شمال حلب ، وحاز ما جاورها .وتبعه خلق كثير حتى عظم أمره ؛ فوجه إليه المأمون عبد الله بن طاهر فظفر به وأسره ، وأنفذه إلى المأمون . ثم هدم كيسوم وخربها وذلك سنة ٢٩٠هـ " (١).

فأخذ البجاوي الصواب دون إشارة ، فقال : " وقد قيل : إن عبد الله بن طاهر لما أسر نصر بن شبث بكيسوم .."(٢) . وقد علمت أن مخطوطة الخانجي هي نفسها مخطوطة البجاوي ، فالخطأ كان في الاثنتين ، إلا أن يكون خطأ الخانجي كان في الطباعة ، لا في أصل المخطوطة ، وأراه مستبعدا.

٢ ـ كان في مطبوعة الخانجي ومخطوطتها : " ولو أن قائلا حكى قول مزيد– بالياء– المدني ..."(٣) . فاستدرك عليه أبو فهر مصححا بقوله :" في تاج العروس –مادة زبد– بالباء الموحدة مزبِّد كمحدِّث :اسم رجل صاحب النوادر. وضبطه عبد الملك، وابن ما كولا كمعظَّم ، وكذا وجد بخط الشرف الدمياطي ، وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربي . قال الحافظ : ووجد بخط الذهبي ساكن الزاي ، مكسور الموحدة اهـ . وسيمر بك ذكره كثيرا , ونكتفي بالإشارة إليه هنا وحسب"(٤).

فقال البجاوي في حاشية على هذه العبارة : " عيون الأخبار : ١/م .وفي هامشه خلاف شديد في هذا الاسم . وارجع إلى تاج العروس : مادة " زبد " فقد ضُبط فيه كمحدِّث "(٥) . ومن العجيب أن البجاوي عاد إلى الخطأ نفسه في بقية

---

(١) السابق : ٣٠٧
(٢) جمع الجواهر .. (البجاوى) : ٦ .
(٣) السابق ص : ٨ .
(٤) جمع الجواهر (الخانجى) : ٣٠٧ .
(٥) جمع الجواهر (البجاوى) : ٦ .

المواضع التي تكرر فيها في الكتاب ذكرُ مزبد، فذكره بالياء لا بالباء (١) !!!

٣ ــ وفي مطبوعة الخانجي : " ... لما نَكَب المتوكل محمد بن عبد الملك الزيات ، ورماه في تنور كان ابن الزيات اتخذه لابن السباط المصري ...الخ "(٢) . فاستدرك عليه أبو فهر بقوله : "ابن السباط المصري.. : صوابه :" ابن أسباط المصري" وهو: أحمد بن محمد بن أسباط ، ولعله كان من كبار عمال الخراج في مصر ، على عهد المعتصم ومن قبله .

وجاء في تاريخ الطبري ج ١١ص ٢٩ قال : فذكر عن ابن داود وأبي الوزير أنهما قالا : هو (يعنيان محمد بن عبد الملك الزيات) أول من أمر بعمل ذلك (أي التنور) فعذب به ابن أسباط المصري حتى استخرج جميع ما عنده ..". وجاء في تاريخ ابن الأثير مثل ذلك :ج ٧ ص : ١٣(حوادث سنة ٢٣٣هـ) وفيه : " ابن أسماط المصري- بالميم- وهو خطأ .

وقد ورد ذكر ابن أسباط هذا في قضاة مصر وولاتها للكندي ص :٤٤٤-٥٠٢ وفي ص : ٥٠٢ في الملحق به من كتاب : رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر ، ولم يقُصَّ الكندي وابن حجر أمر تعذيبه ، إلا أن في حديثهما ما يدل على اتهامه باحتجان المال ، وسيرة الغَشْم والظلم " (٣) .

كل هذا من تحقيق أبي فهر -رحمه الله- فأخذ البجاوي الصواب دون إشارة، وأثبته في صلب الكتاب فقال : " ...في تنور كان ابن الزيات اتخذه لابن أسباط المصري .." (٤) .

٥ ــ في مطبوعة الخانجي قول الشاعر :

(١) انظر : ص : ١٦ ، ١٧٦ . وانظر فهرس الأعلام ص : ٣٨٧ .
(٢) ص : ١٤ . (٣) ص : ٣٠٨
(٤) ص : ١٧ .

لما رأيتُ الشُّقر خيلا سُبَّقا ملكتُ منها أشقرا مُجَنَّبا (١)

فاستدرك عليه أبو فهر بقوله :" مجنبا .." : صوابها : محَنَّبا -بالحاء- من الحَنَب . و التَّحنيب هو : احْدِيدَابٌ واعوجاج غير بيِّن في وظِيفَيْ الفرس ، وهو من صفة الفرس الشديد "(٢) .فقال البجاوي في حاشيته على البيت : " التحنيب : احديداب في وظيفي الفرس وصلبها . وبالجيم في الرجلين -كذا - أو بعد ما بين الرجلين بلا فجج . أو اعوجاج من الساقين ، وهو محنب "(٣).

وأكتفي بهذه الأمثلة الخمسة من المقابلة ، و إن كنت قد أثبت في أوراقي كثيرا غيرها. وقد علمتَ أن مطبوعة الخانجي ، وفي آخرها مستدرك أبي فهر كانت بين يدي البجاوي وهو ينشر مطبوعته من الكتاب ، ومن هنا كان هذا التشابه مما يُوقف عنده ، ويُسأل عنه .

ولولا ما أحببتُ أن أظهره من جور بعض أهل العلم وحيفهم ، وقلة تناصفهم فيما بينهم ،- وهو داء العلماء الذي لا دواء له ، ومقتلهم الذي لا مهرب منه - ، لما تكلفت هذه المقابلة الشاقة المجهدة بين المطبوعتين .

على أن : كتاب جمع الجواهر ... هو مصدر هذا البحث ، وجل العمل فيه قائم على هذا الكتاب ؛ فتناول مطبوعتيه بالمقابلة ، على نحو ما فعلت من جملة البحث وليس خروجا عنه . وإني لأستحسن ألا يخلو بحث حول كتاب بعينه ، كهذا البحث من تناول طبعات الكتاب على نحو ما فعلت ، أو قريبا منه .

حتى لا أكون ممن عاب ووقع في مثل ما عابه أقول : إن للأستاذ البجاوي في

(١) ص : ٢٩٦ . (٢) ص : ٣٣٦ .

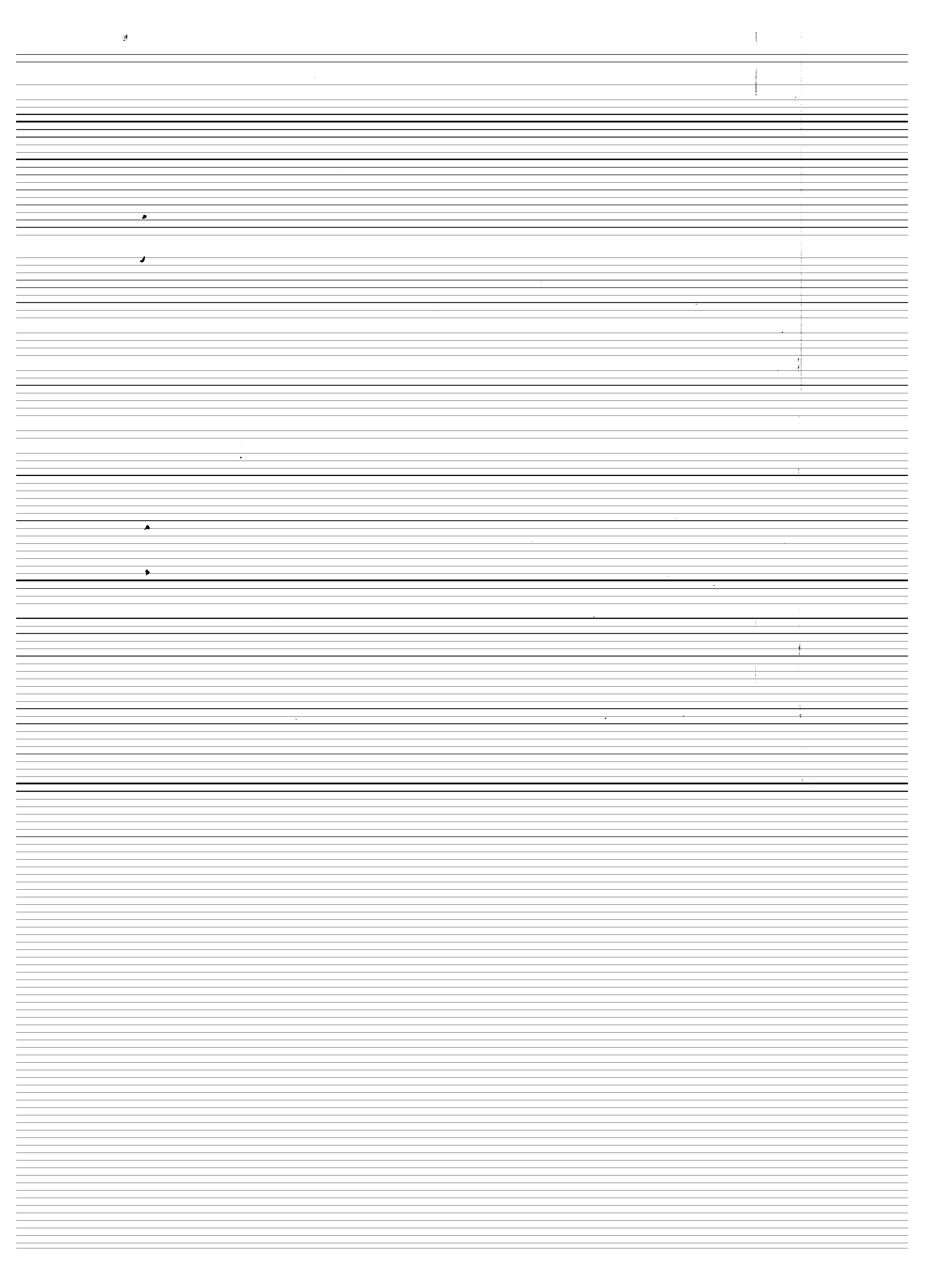
(٣) ص : ٣٥٦ ، والذى فى اللسان (جنب) : «وفرس مجنَّب : بعيد ما بين الرجلين من غير فجج. وهو مدح . والتجنيب : انحناء وتوتير فى رجل الفرس وهو مستحب» .

مطبوعته زيادة وفضلا : فقد أعاد طبع الكتاب بعد ما بَعُد العهد بطبعته الأولى ؛ فصار موجودا كمفقود ، وحاضرا كغائب ، ومطبوعا كمخطوط ، وأخرجه إخراجا أحسن من الإخراج الأول ، ووضع له "عنوانات" جانبية يسرت قراءته على قارئه ، وذيَّله بفهارس للموضوعات، والأعلام، والقوافي، والشعر، والكتب، في نحو ثلاثين صفحة . وكل ذلك مما يسر الانتفاع به .

•••

المبحث الثاني

من الدراسات السابقة في أدب الفكاهة



١

"أدب الملح و الفكاهات" كثير النصوص في التراث العربى ، غزير المادة متنوعُها : لم يخْلُ منه عصر من عصور أدب العرب ، أو بيئة من بيئاته ، أو فن من فنونه ، وقل أن يخلو منه كتاب من كتب التراث العربي ، أو سفر من أسفاره ، على مدى قرون طويلة.

وقد عُني بجمع الفكاهات والملح وتدوينها نفر غيُر قليل من المؤلفين العرب، فبثوها في كتبهم و رسائلهم وفرقوها ، أو جمعوها في فصول من فصول تلك الكتب أو أبواب من أبوابها ، أو خصوها برسائل من تلك الرسائل ، و ربما أفردوا لها كتبا كاملة كما فعل الحُصْري في هذا الكتاب ، وغيره .

ولكن القدماء لم يعنوا بدرس تلك الفكاهات والملح وتحليلها، ونقدها عنايتهم بجمعها وتدوينها والتصنيف فيها، إلا ما ندر .

ولم يولوا" أدب الفكاهة " -إجمالا- مثل ما أولوا " أدب الجد " ، أو قريبا منه : فلم يخصوا الفكاهات والملح بدراسات تكشف عن: أنواعها، وأصولها، وخصائصها، وبواعثها ، ومصادرها، ومضامينها ومراميها وغير ذلك(١) - إلا أن لهم أقوالا نظرية مما يدخل في باب" نظرية الفكاهة عند العرب "، وتصنيفات

(١) من أقدم من نبه على ذلك الأستاذ الحوفى : الفكاهة فى الأدب : ٤٠ .

تطبيقية أعانت الدارسين المعاصرين على دراسة أدب الفكاهة ، وهذا ليس بالجهد القليل ـ وسأعرض لهذا في موضعه من البحث .

ولا أعرف تفسيرا لذلك ، إلا أن يكونوا ظنوا أن الفكاهات والملح إنما يراد منها سماعها و قراءتها ، وما يجلبه ذلك السماع و تلك القراءة من : بهجة النفس ، وسرور القلب ، وانشراح الصدر ، وأنس الروح ؛ لما فيها من لطائف الفطن ، وطرائف الظَّرف ، وظرائف المُزاح ، وحلو الهزل .

فإن كانوا ظنوا ذلك فقد فاتهم شطر الصواب ؛ لأن الفكاهات والملح نصوص لغوية إنسانية غنية بالدلالة ، عميقة الغور في كشف خبايا النفس الإنسانية ، وفيها- إلى جوار ما تقدم- تصوير لواقع المجتمع ، وحكاية لظواهر العصر، ونقد للطبائع والأخلاق والنوازع البشرية ، وتحليلها تحليلا عميقا يكشف كثيرا من مطويات النفوس البشرية ،و الطبقات الاجتماعية في العصور التي كتبت فيها .

ولسنا مع ذلك نغمط أوائل العلماء العرب والرواة فضلهم ، أو نبخسهم حقهم في جمع هذه الفكاهات والنوادر وتصنيفها ، فلولا ذلك الجمع و التصنيف لما كان لأحد ممن جاء بعدهم من الباحثين أن يتوفر على دراسة هذا الباب من أبواب الأدب .

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف : أن الفكاهات في التراث العربي نوعان : فكاهة اللفظ الفصيح ، وفكاهات اللفظة العامية التي تُوُسِّع فيها في العصر الحديث ، و قال : إن العناية بفكاهات العامية أقل استصغارا لشأنها ، وترفعا عنها ، مع أنه قد يوجد في بعضها من الدلالة على حياتنا ونفوسنا ما لا يوجد مثله في بعض الأدب الفصيح :جده وهزله .

ويرى أن الصواب أن نضم صفحة حياتنا الفكهة ، بفصيحها وعاميها إلى صفحة حياتنا الجادة ؛ لنرى صورتنا في المرآة كاملة على حقيقتها(١) . وفكاهات اللفظ العامي في التراث العربي القديم موجودة ، ولكنها قليلة إذا قيست إلى فكاهات اللغة الفصيحة ، وسيأتي ذكر هذا فيما يلي .

٢

وفي العصر الحديث اتجه بعض الدارسين إلى العناية بأدب الفكاهة عند العرب : بدراسته والتأليف فيه ، وكُتبت في ذلك "كتب مؤلفة" ، و "رسائل جامعية" ، وقد أصبحت هذه الدراسات مادة علمية أساسية ، لا يستغني عنها من رام أن يكتب في باب الفكاهة . وهذا بعض ما تيسر لي الاطلاع عليه من هذه الدراسات السابقة :

أولا : الكتب المؤلفة :

أكتفي هنا بذكر خمسة كتب : أذكر محتواها إجمالا، وأرتبها- عدا الأخير منها -على توالي سني نشرها :

١ - ".الفكاهة في الأدب : أصولها وأنواعها " للدكتور أحمد محمد الحوفي(٢) . . وهو : دراسة تاريخية وفنية معا تقع في تسعة عشر فصلا ، تناولت الفكاهة في الأدب العربي من أوليتها فيه إلى الفكاهة في العصر الحديث في مصر ، وأثبتت كثيرا من نماذج تلك الفكاهات ، وحللت الكثير منها تحليلا أدبيا ولغويا واجتماعيا ، في فصول متعاقبة جاءت على النحو التالي :

(١) الفكاهة فى مصر : ٧ .
(٢) صدرت الطبعة الأولى منه عن دار نهضة مصر فى إبريل ١٩٥٦ . (انظر هامش : ١ ص: ٤) . واعتمدت على طبعة ١٩٦٦ م .

(الفكاهة والضحك ، الغفلة والتغافل ، التناقض ، اللعب بالألفاظ،، اللعب بالمعاني ، الحذلقة ، الدعابة ، التخلص الفكه ، الرد بالمثل ، القلب والعكس ، التهكم بالعيوب الجسدية ، التهكم بالعيوب الخلقية والنفسية ، تهكم الشخص بنفسه ، التهكم السياسي ، التهكم الاجتماعي ، دلالة الفكاهة اللغوية ، دلالة الفكاهة السياسية في مصر ، دلالة الفكاهة الاجتماعية في مصر ، أقصيص فكاهية) .

٢ ـ "جحا الضاحك المضحك " لعباس محمود العقاد(١) . و الكتاب وإن كان عنوانه جحا.. إلا أنه دراسة في الفكاهة والضحك بوجه عام ، وما جحا و فكاهته وضحكه وإضحاكه إلا جزء من الكتاب ، و فصل من فصوله, وقد اشتمل الكتاب على الموضوعات التالية :

("الكلمة والضحكة ، لماذا نضحك ؟، ثلاثة آراء في الضحك ، الضحك في الكتب الدينية ، الإنسانية والضحك ، ، جحا ونوادره ، ٦٠ نادرة ، ، خلاصة تاريخية) .

٣ ـ ".الفكاهة في مصر " للدكتور شوقي ضيف(٢) . تناول فيه:

(الفكاهة ، الفكاهة في مصر القديمة ، الفكاهة في العصور الإسلامية الأولى، الفكاهة في العصر الفاطمي ، الفكاهة في العصر الأيوبي ، الفكاهة في العصر المملوكي ، الفكاهة في العصر العثماني ، وأخيرا الفكاهة في العصر الحديث).

٤ ـ ".سيكلوجية الفكاهة والضحك " للدكتور زكريا إبراهيم(٣) : وهو

(١) صدر بعد كتاب الدكتور الحوفى بنحو خمسة أشهر . (انظر : الفكاهة فى الأدب للحوفى : ص : ٦ هامش : ٢) .

(٢) صدرت الطبعة الأولى منه فى فبراير ١٩٥٨ . واعتمدت فى هذا البحث على طبعة دار المعارف ١٩٨٨ . (عدد خاص من سلسلة اقرأ) .

(٣) طبع مكتبة مصر بالفجالة . وليس فى الكتاب ما يدل على تاريخ نشره أول مرة وفى المقدمة

بحث عميق في الفكاهة والضحك من الجوانب: الاجتماعية والنفسية والفلسفية ، وفيه عشرة فصول وخاتمة هي :

(بين الابتسام والضحك ، سيكلوجية الضحك(١) ، الضحك عند الطفل ، الدلالة الاجتماعية للضحك ، مشكلة تحليل الضحك ، العنصر الوجداني في الضحك ، العنصر النزوعي في الضحك ، العنصر الإدراكي في الضحك ، فن الكوميديا ودلالته الاجتماعية ، روح الفكاهة عند الفرد والجماعة ، ثم الخاتمة) .

وفي ثنايا كل فصل من فصول تلك الكتب الأربعة أقوال مروية ، وآراء علمية ، ونصوص من الفكاهة ، وتحليلات واستنباطات شتى.

٥ ـ الضحك لهنري برجسون(٢) : وهذا الكتاب كان في الأصل ثلاث مقالات فلسفية الطابع(٣) عن الضحك الذي تبعث عليه الأمور الهزلية .ثم طبع في كتاب من ثلاثة فصول : (الفصل الأول : عن مضحك الأشكال ومضحك الحركات ، و الفصل الثاني : عن مضحك الظروف ومضحك الكلمات ، و الفصل الثالث : عن مضحك الطباع) .

و قد ذكرت هذا الكتاب ضمن الدراسات السابقة ، -وإن لم يكن من الدراسات العربية في موضوع الفكاهة- ؛ لأن جُل الدراسات التي كتبت عن الفكاهة مما وقفت عليه منها و ذكرته هنا قد نقلت عن هذا الكتاب ، واعتمدت

= ص : ٦ أن فكرة تاليف الكتاب بدأت خلال تدريس المؤلف مادة علم النفس الاجتماعى لطلبة قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة القاهرة .

(١) هناك خطأ فى عد الفصول حيث جُعل الفصل الثانى ثالثا ثم استُدرِك الخطأ .

(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة الألف كتاب . ترجمة سامى الدروبى وعبد الله عبد الدايم .

(٣) نشرت أول مرة فى مجلة باريس : ١٠ ، ١٥ فبراير ، ١ مارس ١٨٩٩م ، الضحك: ص : ٧ .

عليه اعتمادا ظاهرا ، فهو أصل من الأصول التي اعتمد عليها كل من جاء بعده ، ممن كتب في الضحك والفكاهة في الأدب العربي ، و في الآداب الأوربية أيضا .

وقد أشار العقاد إلى أن برجسون اعتمد في دراسته هذه عن الضحك على أربعين مرجعًا في موضوع الضحك والفكاهة(١) . ؛ ولعل هذا مما جعل الكتاب أصلا يعتمد عليه في هذا الباب .

و تلك الكتب العربية التي وصفتُ محتواها- إجمالا- وبخاصة الثلاثة الأولي منها هي- فيما أعلم- باكورة البحوث العلمية عن الفكاهة في اللغة العربية في العصر الحديث ، وعليها عول كل من كتب عن الفكاهة بعدها كتبا أو رسائل جامعية ، فهي في موضع السبق والريادة إجمالا .

و الكتاب الذي يمكن أن يقال فيه : إنه الرائد حقا في مجال دراسة " أدب الفكاهة " في العصر الحديث ، وإنها قد استفتحت به ـ هو كتاب الدكتور الحوفي ، الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٦م(٢) ؛ لأنه بحث علمي موسع عن الفكاهة فتح به مؤلفُه البابَ لكل من جاء بعده من الباحثين ، وعبد لهم به السبيل (٣) .

فصدر كتاب العقاد : " جحا الضاحك المضحك " بعد صدور كتاب الحوفي بنحو خمسة أشهر، وصدر كتابُ الدكتور شوقي ضيف بعده بنحو عامين (١٩٥٨م)، ثم توالت بعد ذلك الكتب المؤلفة ، والدراسات الجامعية وسأذكر بعضا منها فيما يأتي .

على أن العقاد ذكر أنه كتب فصل : لماذا نضحك ؟، الذي ضمنه كتابه " جحا

(١) جحا الضاحك المضحك : ٤٤ .
(٢) الفكاهة فى الأدب : ٤ هامش : ١ .
(٣) وجدت بعد الفراغ من كتابة هذا البحث إشارة إلى كتاب : أشعب أمير الطفيليين لتوفيق الحكيم. صدر سنة ١٩٥٢ فهو أقدم من دراسة الحوفى . ولم يتيسر لى الاطلاع عليه .

الضاحك المضحك " سنة ١٩٢٧ ، وأنه كان ينوي حينئذ تأليف كتاب عن مصادر الأحاسيس، ومنها الإحساس بالضحك . وعلى هذا يكون العقاد من أوائل من استفتح دراسة الفكاهة في العصر الحديث ، بمقاله المذكور ، ويبقى كتاب الحوفي هو الرائد ، من حيث هو : دراسة موسعة في كتاب لا مقال مختصر .

وكتابا الحوفي و شوقي ضيف المذكوران يجمعهما أمر مشترك ، هو :أنهما دراسة أدبية الطابع تاريخية الإطار لموضوع أدب الفكاهة ،و في ثناياهما تحليل أدبي واجتماعي ولغوي للفكاهات ، وإيراد نصوص مختارة منها .

بيد أن دراسة الحوفي تناولت الفكاهة في الأدب العربي في سائر عصوره ومختلف بيئاته ، أي : في فترة زمنية ممتدة ، وبيئات متنوعة . أما دراسة شوقي ضيف فهي : دراسة للفكاهة في بيئة بعينها لا تتعداها و هي البيئة المصرية ، ولكن في سائر العصور التي مرت على مصر من العصر الفرعوني إلى العصر الحديث .

وكتابا العقاد و زكريا إبراهيم باب آخر من البحث غيرٌ ما في كتابي الحوفي وشوقي ضيف ؛ فهما ليسا من جنس الدراسات الأدبية الطابع للفكاهة والضحك ، بل هما أدخل في باب الدراسة الفلسفية ، و النفسية، و الاجتماعية للفكاهة . ومرجع ذلك إلى تأثرهما الشديد بالدراسات الغربية في موضوع الضحك والفكاهة.

وتأثر العقاد بالآداب الغربية في سائر دراساته من الأمور الواضحات ، ومراجعة محتوى كتابه الذي ذكرته آنفا يشهد لما قلته . و الدكتور زكريا إبراهيم أكثر تأثرا في كتابه هذا بالدراسات الغربية ، وحسبك أن تعلم أنه رجع فيه إلى تسعين مرجعا من المراجع الفرنسية ، والإنجليزية والأمريكية ، والألمانية في موضوع

الفكاهة ذكرها في ثبت مراجعه ، ولم يثبت فيه مرجعا واحدا بالعربية ، وإن كان ذكر في حواشي الكتاب بعض المراجع والمصادر العربية.

وهذا موضع فرق واضح بين ما وقفتُ عليه من الدراسات العربية ، والدراسات الغربية والمستغربة في موضوع الفكاهة ، فالدراسات العربية تنظر إلى موضوع الفكاهة على أنه من الدراسات الأدبية ، ولا تكاد تتعدى به هذه الدائرة إلا قليلا ، أما الدراسات الغربية فتنظر إلى الفكاهة نظرة أعمق من ذلك ، وتري فيها جوانب أخرى تتعدى جانبها الأدبي والفني مثل : الجانب الفلسفي ، و الجانب النفسي (السيكلوجي) ، والجانب العضوي (الفسيولوجي)، والجانب الاجتماعي .

ولذلك خاض فيها في الغرب الفلاسفةُ، وعلماء النفس ، وعلماء الاجتماع،كما خاض فيها نقاد الأدب والفن.كما أنهم طبقوا عليها المنهجين : التجريبي والإحصائي ، وهما من مناهج العلوم ، فاستعانوا بالتجريب والإحصاء في دراسة مظاهر الضحك ، وعلله عند الأطفال والبالغين ، وعند الرجال والنساء .. إلخ(١) . فنقلوها بهذا من المجال النظري البحث إلى مجال فيه التجريب والتطبيق .

و ظاهرة الضحك والفكاهة-كما يقول الدكتور زكريا إبراهيم- قد لفتت إليها انتباه الفلاسفة والعلماء من القدماء والمعاصرين ؛ فعني بدراستها أمثال : (أفلاطون) ، و (أرسطو)، و(ديكارت) و(هوبز) و(فولتير) و(كنت) و (هيجل) و (شوبنهور) و)اسبنسر) و (برجسون) و(فرويد) و(مكدوجال) ، وغيرهم(٢) .

وإن كان العقاد يرى أن (أفلاطون) و (أرسطو) وغيرهما من فلاسفة اليونان

---

(١) انظر : سيكلوجية الفكاهة والضحك : ١١ ـ ١٣ .
(٢) السابق : ١٠ .

القدماء لم ينفذا إلى جوهر موضوع الفكاهة والضحك نفاذ من جاء بعدهم من الفلاسفة ، لأنهم لم يدرسوا ظاهرة الفكاهة والضحك لذاتها ، بل في سياق بحثهم في موضوع المدينة الفاضلة ، أو البحث في الشعر وأقسامه(١) . .

ويرى العقاد أيضا أننا إذا كنا نشتكي من قلة البحث في الفكاهة والضحك في العصور القديمة ، فإن الشكوى في أوربا في العصور الحديثة من كثرة هذه الدراسات لا من قلتها (٢).

٣

ثانيا : الرسائل الجامعية :

اكتفي هنا بذكر ست رسائل جامعية من الدراسات السابقة : خمسة في أدب الفكاهة عند العرب قديما وحديثا ، وواحدة عن أبي إسحاق الحصري، وتراثه الأدبي والنقدي ، وأرتبها على توالي سني تأليفها أيضا كما صنعت مع الكتب المؤلفة :

١ ـ « الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري » : للدكتور فتحي محمد معوض أبو عيسى (٣) . وهي دراسة أدبية فنية، في إطار تاريخي ، وتقع في أربعة أبواب :

عرض في بابها الأول : لمقومات وأصول أدب الفكاهة ، وتناول في فصوله الستة : (مقدمة في معنى الفكاهة – الضحك من الناحية السيكلوجية ، الفكاهة من الناحية الدينية ، عناصر الفكاهة ، ألوانها وبيان كل لون ، فلسفة الفكاهة ، لماذا وجد أدب

(١) انظر : جحا الضاحك المضحك : ٢٨ .
(٢) السابق : ٤٥ .
(٣) سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م رسالة ماجستير مخطوطة فى كلية اللغة العربية . تحت رقم ٢٩ .

الفكاهة ؟)

وفي الباب الثاني عرض لـ : تطور أدب الفكاهة إلى نهاية عصر بني أمية : وتناول في فصوله الثلاثة قضايا : متى ظهرت الفكاهة في أدبنا العربي ؟ ، التربة التي نمت فيها الفكاهة في عصر صدر الإسلام و بني أمية ، ودرس من أعلام الفكاهة في هذا العصر علمين هما : أشعب ، وأبو دلامة).

وفي الباب الثالث تحدث عن: أدب الفكاهة إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، وتناول في فصوله الثلاثة : (المؤثرات العامة في ازدهار أدب الفكاهة في العصر العباسي ، والهجاء في العصر العباسي وعلاقته بأدب الفكاهة ، ودرس ثلاثة من أعلام الفكاهة في هذا العصر وهم : أبو نواس ،و أبو العيناء، و ابن الرومي).

وفي الباب الرابع تناول الفكاهة عند الجاحظ ، وعرض في فصوله الخمسة لـ: (الجاحظ والعوامل التي لونت أدبه ، خصائص أدب الفكاهة عند الجاحظ ، تهكم الجاحظ وسخريته ، سخريته في رسالة التربيع والتدوير ، مدرسة الجاحظ الكتابية ، ودرس فيها ثلاثة من أعلام مدرسة الجاحظ هم : أبو حيان التوحيدي ، وأبو بكر الخوارزمي ، وابن زيدون).

٢ ـ "الفكاهة بعد الجاحظ : دراسة ونقد ومقارنة " : للدكتور فتحي أبو عيسى أيضا(١) ، بدأها من حيث انتهت دراسته السابقة .، وتناول في بابها الأول : الفكاهة في القرن الرابع الهجري ، وعرض في فصوله الخمسة لـ:(الفكاهة عند أبي بكر الخوارزمي ، وعند أبي إسحاق الصابي ، وعند بديع الزمان الهمذاني ، وعند أبي حيان التوحيدي ، ثم الفكاهة في مدرسة التحامق ، ودرس من أعلامها : ابن حجاج، وأبا الرقعمق ، وصريع الدلاء) .

(١) سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م . رسالة دكتوراه مخطوطة فى كلية اللغة العربية ، رقم ٩٢٠ .

وجعل البابَ الثاني لدراسة :" الفكاهة في القرن الخامس الهجري إلى بداية العصر الحديث " ، (و فصلَه الأول : لدراسة الفكاهة عند ابن زيدون ، والثاني : لدراسة مسيرة الفكاهة من نهاية العصر العباسي إلى بداية العصر الحديث) .

أما الباب الثالث والأخير من أبواب الرسالة فجعله لدراسة الفكاهة في العصر الحديث ،(وعالج في فصوله الأربعة : الفكاهة عند عبد الله النديم ، ثم عند عبد العزيز البشري ، ثم عند محمد مصطفي حمام) .

٣ -"فن السخرية في أدب الجاحظ" :للسيد نشأت محمود العاني(١) . تناول في الباب الأول : السخريةَ في المجال الأدبي أربعةَ موضوعات في أربعةِ فصول هي : مفهوم السخرية وموضوعاتها ، مقوماتها وأهدافها ، دوافعها وعناصر نجاحها ، ثم مكانتها بين الألوان الأدبية .

وفي الباب الثاني : الجاحظ الأديب الساخر : تناول الباحث في فصوله الأربعة : حياةَ الجاحظ وأدبه ، وعواملَ نبوغه في السخرية ، وعلاقَاته الاجتماعية وأثرها في سخريته ، ثم وضعَه الثقافي والأدبي وصلتهما بسخريته .

وفي الباب الثالث : موضوعات السخرية في أدب الجاحظ : عرض لـلموضوعات التالية :العيوب الجسدية ، وغرابة الطباع والأخلاق ، وضعف العقل، والأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية. في أربعة فصول .

وجعل الباب الرابع لـ : الجوانب الفنية في سخرية الجاحظ : وتناول في فصوله الستة : التصويرَ الهزلي (الكاريكاتوري) ، وسخريةَ الموقف ، وسخريةَ التضاد ، وسخريةَ الحركة ، وسخريةَ الكلمة ،وأخيرا السخريةَ الذهنية .

---

(١) سنة ١٩٧٤م دكتوراه مخطوطة فى كلية اللغة العربية بالقاهرة رقم ٣٣٧٧ .

وفي الباب الخامس تحدث عن : دلالة سخرية الجاحظ على عصره وبحث فيه: الحياةَ الاجتماعية والأوضاعَ السياسية ،والعلومَ والثقافات ، والأخلاقَ والمعتقدات ، في ثلاثة فصول .

و في الباب السادس : ملامح شخصية الجاحظ من خلال سخرياته :تحدث عن : خلقته وأخلاقه ، وعلمه وأدبه ، ومكانته الاجتماعية ، وجرأته في النقد ، في أربعة فصول .

و في الباب السابع و الأخير : سخرية الجاحظ بين التأثر والتأثير ، عرض في فصوله الأربعة لـ : السخرية قبل الجاحظ ومدى إفادته منها ، والساخرين في عصره ومكانته بينهم ، وإجمالٍ لأثره في النقد الساخر بعده ، ثم سخريته في ميزان النقد .

٤ ـ "الفكاهة والسخرية بين المازني والبشري " لإبراهيم محمد قاسم(١) .

وجعل بابه الأول بعنوان : العصر والحياة ، وتناول في فصوله الثلاثة :(لمحات تاريخية ، و حياةَ البشري ، وحياةَ المازني . وفي بابها الثاني : أدب الفكاهة والسخرية بين البشري و المازني ، عالج في فصوله السبعة الموضوعات التالية: (الفكاهةَ والسخرية عند العرب ، وبواعثَ الفكاهة والسخرية عند البشري ، وبواعثَهما عند المازني ، ومظاهرَ الفكاهة والسخرية في أدب البشري ، ومظاهرَهما في أدب المازني ، ثم وجوهَ الاتفاق بين الرجلين في الفكاهة ، وأخيرا آراء الأدباء والنقاد في فكاهة الأديبين وسخريتهما)

٥ ـ «الفكاهة في الأدب المصري الحديث " لطاهر عبد اللطيف عوض(٢) . .

عرض في التمهيد لـ : (معنى الفكاهة ومدلولها ، والضحكِ من الناحية النفسية ،

(١) ١٩٧٨م . ماجستير مخطوطة فى كلية اللغة العربية برقم : ٣٩٨ .
(٢) ١٩٧٩م . دكتواه مخطوطة فى كلية اللغة العربية برقم : ٣٩٩٩ .

وماهية الضحك ، وبواعثه ، وأنواعه ، وموقف الإسلام منه ، وفائدته ، وأخيرا فلسفة الفكاهة وألوانها).

وفي الباب الأول من الرسالة : الفكاهة في الأدب الحديث : تناول في(الفصل الأول : العواملَ التي أدت إلى ظهور أدب الفكاهة ، وفي الثاني : أطوارَ فن الفكاهة في مصر .وفي الباب الثاني : خصائص أدب الفكاهة ، تناول في فصليه : الصورة والخيال ، والأسلوب والمحتوى).

وفي الباب الثالث : الفكاهة في اللغة الفصحى : تناول(فكاهات البشري في الفصل الأول ، وفكاهات حافظ إبراهيم وأحمد الزين في الفصل الثاني .وفي الفصول الثلاثة للباب الرابع والأخير تناول :الفكاهةَ في الأدب الشعبي ومميزاتها ، وبيرم التونسي وأثره في الفكاهة ، وحسين شفيق المصري وأثره فيها).

٦ ـ "أبو إسحاق الحصري القيرواني ، والنقد في كتابه زهر الآداب" : لمحمد بن سعيد بن عبد الله الشويعر(١) . وهو بحث رصين جاد عن الحصري وكتابه ، (عالج فيه في الباب الأول بفصليه : عصرَ أبي إسحاق الحصري : سياسيا ، وثقافيا ، واجتماعيا ، وحياةَ الحصري وثقافته .وتناول في الباب الثاني بفصوله الأربعة : ، شعر الحصري ، ونثره ، وكتابيه : المصون .. و، وزهر الآداب . . .

وفي الباب الثالث وهو : " القضايا النقدية في زهر الآداب " : عالج الباحث في فصوله القضايا التالية : السرقات الأدبية ، الموازنات الأدبية ، البديع ، النقد المجمل ، طرائق النثر الفني في زهر الآداب ، أبو تمام في زهر الآداب ، وأخيرا قضايا نقدية متفرقة) .

---

(١) سنة ١٩٧٧م ، وهو رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية اللغة العربية رقم : ٣٥١٦ .

و إذا أعدت النظر في هذا السرد الوصفي لمحتوى الرسائل الجامعية التي ذكرتها-عدا الرسالة الأخيرة- أمكنك أن تلاحظ لأول وهلة تداخلا بين بعض الموضوعات ، وتكرارا لها حتى عند الباحث الواحد :

فالدكتور فتحي أبو عيسى تحدث في رسالته الأولى : (الماجستير) عن الفكاهة عند : أبي حيان التوحيدي ، و ابن زيدون ، وعبد العزيز البشري ، بوصفهم من أعلام المدرسة الجاحظية ، ثم عاد إلى الحديث عن هؤلاء الثلاثة مرة أخري في رسالته الثانية (الدكتوراه) .

ولكنه زاد في الثانية زيادة واضحة على ما كان قال في الأولى . وحسبك أن تعلم أن حديثه عن الخوارزمي كان في (الماجستير) في أربع صفحات ، و صار في (الدكتوراه) ثماني عشرة صفحة(١) ، وحديثَه عن : أبي حيان التوحيدي في(الدكتوراه) بلغ اثنتين وأربعين صفحة(٢) ، وكان في (الماجستير) في ثلاث عشرة صفحة(٣) ، وحديثَه عن البشري كان في (الماجستير) في اثنتي عشرة صفحة(٤) ، وأصبح في (الدكتوراه) في نحو تسع وعشرين صفحة(٥) .

وربما كرر في الدراسة الثانية بعض ما كان قاله في الأولى مع تغيير في اللفظ، ولكن الأغلب عليه هو الزيادة والإضافة في الدراسة الثانية على ما كان قاله في الأولى .

وفكاهة الجاحظ كانت بابا في خمسة فصول عند أبي عيسى ، وصارت موضوع الدراسة بكاملها في رسالة العناني .

---

(١) من ص : ٤٧ ـ ٦٥ .
(٢) من : ١٢٣ ـ ١٦٥ .
(٣) من : ١٩١ ـ ٢٠٤ .
(٤) من : ٢١٤ ـ ٢٢٦ .
(٥) من : ٣٥٩ ـ ٣٨٨ .

و فكاهة البشري هي قسيم فكاهة المازني في دراسة : إبراهيم قاسم ، وهي أحد فصول دراسة الباحث : طاهر عبد اللطيف ، وقد سبقهما إلى الحديث عن فكاهة البشري أبو عيسى في رسالتيه جميعا.

ولم أجعل من همي تتبع ما أخذه اللاحق من السابق في هذه الدراسات الجامعية التي وصفتُ محتواها إجمالا ، فهذا شئ يطول جدا ويخرج البحث عن موضوعه ،وإن كان الاشتراك في الموضوع مظنة التلاقي في بعض الأفكار أخذا أو توارد خواطر . على أني لاحظت أن أحدا من هؤلاء الدارسين لم يشر في مراجعه إلى الرسائل التي سبقته إلى موضوعه ، مع أن الرسائل جميعها مسجلة في كلية واحدة هي : كلية اللغة العربية بالقاهرة!! .

وإني لأستحسن الآن أن يذكر كل باحث جامعي -بين يدي موضوعه- الرسائلَ الجامعية التي سبقته إليه ، في الكلية التي سجل فيها بحثه على الأقل ، وأن يصفها وصفا عاما على نحو ما فعلت ، أو قريبا منه قبل الشروع في بحثه.

وكل الرسائل الجامعية التي ذكرتُها قد استفادت استفادة واضحة من الكتب المؤلفة التي أشرتُ إليها ، وأخذت منها وعدّتها في مراجعها.

وهذه الكتب والدراسات الجامعية التي ذكرتها هنا موضوعُها- كما ترى- الفكاهةُ في الأدب العربي : قديمه وحديثه ، لا فكاهةُ الحصري في كتابه : جمع الجواهر.. ، التي هي موضوع بحثي ، ولكنها مما لم يستغن عنه بحثي هذا ، ولن يستغني عنها أي بحث غيره يتناول جانبا من موضوع : الفكاهة في الأدب العربي قديما أو حديثا .وقد انتفعتُ بهذه الكتب والدراسات انتفاعا مباشرا أو غير مباشر ، وأحلتُ على ما أخذته منها في مواضعه .

ولعلك تقولُ : لِمَ لَمْ يعرض الدكتور أبو عيسى للفكاهة عند أبي إسحاق الحصري ضمن رسالته الثانية : التي تناول فيها الفكاهة بعد الجاحظ ، و الحصري واقع في هذه الفترة الزمنية ؟ والجواب : أنه كان يدرس مبدعي الفكاهات لا رواتّها .و الحصري -كما ستعلم بعد- جامع للفكاهات في كتابه راو لها لا غير .مع أن عنوان الرسالة يحتمل لأنه قال : الفكاهة بعد الجاحظ ، ولم يقل : إبداع الفكاهة بعد الجاحظ ، ولفظ الفكاهة بعد الجاحظ يحتمل مبدعيها ورواتها بعد الجاحظ ، ويقوي هذا أن الجاحظ راوي فكاهات ومبدع فكاهات معا ، وسيأتي الحديث عن هذا.

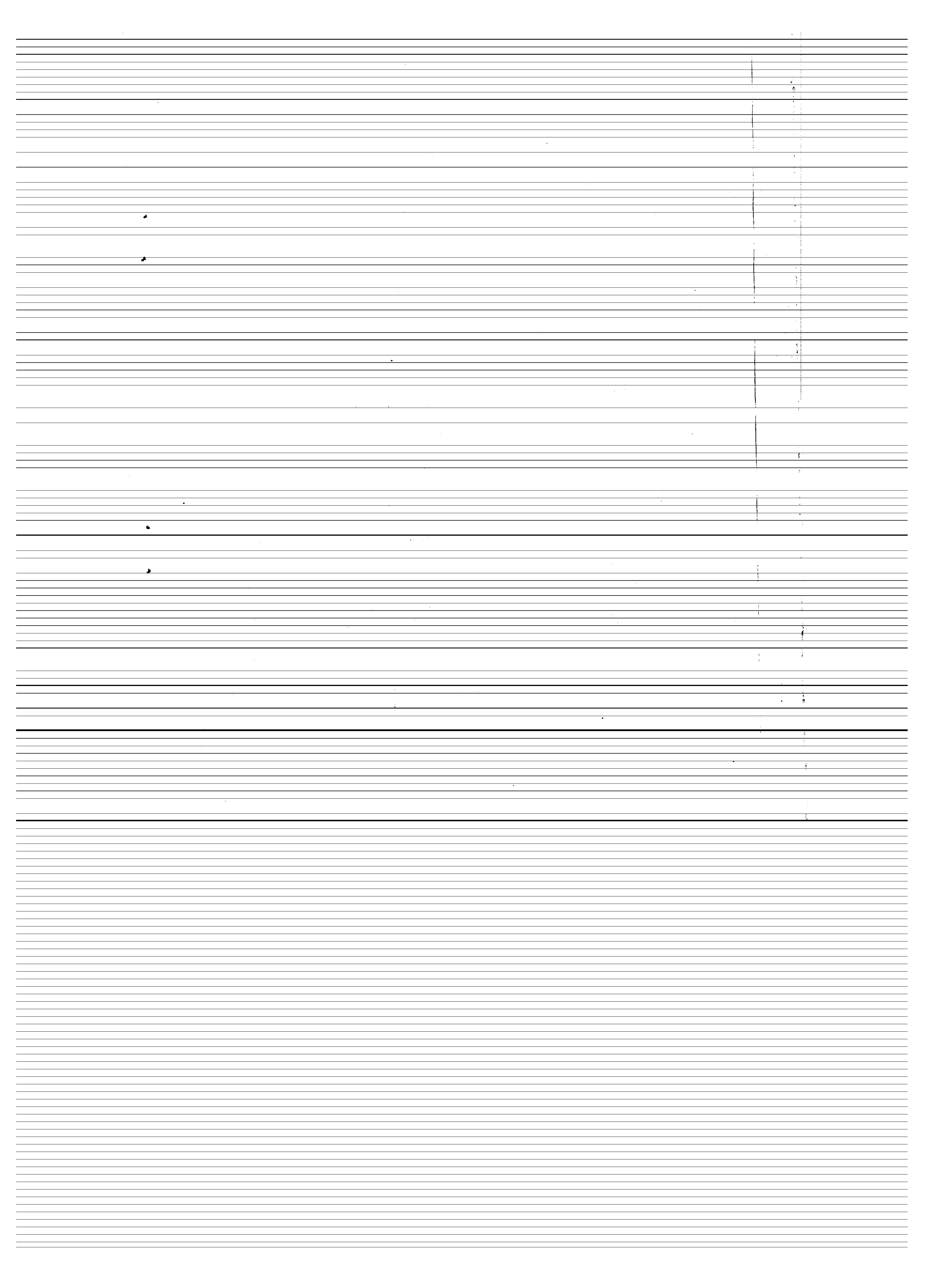
وممن أخذ بعض مادة كتاب : جمع الجواهر .. الحوفي أبو عيسى ، وعداه في جملة مراجعهما . أما محمد الشويعر فإنه لم يعرض للكتاب بالدراسة والتحليل – في دراسته عن الحصري وكتابه زهر الآداب – و عرض لكتابه الثالث : المصون في سر الهوى المكنون .. ـ و إن كان ذكر كتاب : جمع الجواهر وأشار إليه – وفي الكتاب كثير من الآراء النقـدية ، كانت حرية أن تدخله ضمن موضوع الباحث .

•••

(١) ص : ٩٧ وما بعدها من الرسالة .

المبحث الثالث

الحصري ونظرية الفكاهة



العنوان المقترح عليَّ هو : الفكاهة في جمع الجواهر ...، و الحُصْري لم يستخدم لفظ " الفكاهة " في عنوان الكتاب ،. ولكن مادة الكلمة مستخدمة في ثنايا كتابه ، مثل قوله : " سألتَ... أن يجمع لك كتابا في جواهر النوادر ، ولمح الملح ، وفواكه الفكاهات ، ومنازه المضحكات ..." و قوله : " وهل يستغني أهل الأدب وأولوا الأرب عن معرفة ظريف المضحكات ، وشريف المفاكهات "..وقوله : فحدثته عن مآثر آبائه ففَكِه لها . "..فاستخدم -كما ترى- "الفُكَاهات " : وهي : جمع فكاهة و "المفَاكَهَات " : وهي: جمع مفاكهة ، والفعل" فَكِه " ، فمادة الفكاهة ليست غريبة إذن عن الحصري وكتابه .

واستخدم الحصري في عنوان الكتاب بدلا من لفظة الفكاهة لفظتي : "المُلَح" وهي :جمع مُلحة ، و"النوادر وهي : " جمع نادرة. فما الذي يجمع بين هذه الألفاظ الثلاثة : الفكاهة ، الملح ، النوادر في الاستعمال اللغوي ؟

"الفكاهة " كلمة تؤول إلى معنى : المُزاح وطيب النفس : فالفكاهة -بفتح الفاء-مصدر فكه الرجل -بكسر الكاف- فهو فكِه :إذا كان طيب النفس مزاحا , والفاكه : المزَّاح والمازح ، وقيل :هو ذو الفكاهة مثل : التَّامِر و اللَّابن . وفي حديث أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفكَهِ الناس مع صبي ، ومن حديث زيد ابن ثابت : أنه كان من أفكَهِ الناس ، إذا خلا بأهله .

و" الفُكَاهة " -بضم الفاء- وكذا" الفَكِيهَة " - وهما الاسم من فَكِه- :المُزاح . وفَاكَهْتُ القوم بملح الكلام والمزاح مفاكهة : مازحتهم . والمفاكهة : الممازحة .

ورجل فَكِه وفَاكِهٌ وفَيْكَهَان : طيب النفس مزَّاح . والفَكِه : الذي يحدث أصحابه فيضحكهم . وفكَّههم بملح الكلام : أطرفهم(١) . فالوشائج الدلالية منعقدة ، والصلات المعنوية قائمة كما ترى بين معاني : الفكاهة والمَزح ، وطيب النفس ، والإضحاك ، والممالحة ، فكلها تؤول إلى معنى المُزاح.

وكلمة " المُلَح " تؤول إلى معنى : الاستطابة والاستعذاب .فالمُلحَة والمُلَحَةُ : الكلمة المليحة .وملَّح الشاعر : إذا جاء بمليح الشعر ، والمُلْحة -بضم الميم -: واحدة الملح من الأحاديث . وفي هذا المعني قول الأصمعي : " بلغت بالعلم ونلت بالمُلَح".

ومن الطريف أن العلم يقال له : مِلح . والعلماء أيضا يقال لهم : مِلح . والمِلح: في الطعام معروف . والملاحة في النساء : الحسن(٢) .فالاستطابة : هي المعني الجامع بين هذه الألفاظ جميعها : فبالمِلْح يستطاب الطعام ، وبالملاحة تُستطاب النساء ، وبالمُلَح يُستطاب الكلام ، ولولا العلم والعلماء لما استطيبت الحياة ؛ فكأنهما ملح الحياة .

و الاستطابة : هي المعنى الجامع كذلك بين الفكاهات والملح ، فكلاهما يستطاب ويستعذب ..

أما كلمة " النَّوَادر" ، و" النادرة " فإنهما تبعدان قليلا في أصل معناهما عن معنى : الفَكَاهة و المُزاح .فأصل النُّدُور في اللغة : الشذوذ والخروج عن المعهود المألوف . ونوادر الكلام : هي ما خرج منه وشذ عن جمهوره(٣) . و لهذا كانت النوادر و النادرة مما يستعمل في باب الجد ، كما يستعمل في باب الهزل و الفكاهات ؛ ولذا قيل : نوادر اللغة ، ونوادر الشعر ، ونوادر الأخبار، ونحو ذلك .

(١) لسان العرب : (فكه) . وانظر : الفكاهة فى الأدب : ٨ . والفكاهة فى مصر : ١٠
(٢) لسان العرب : (ملح) . (٣) لسان العرب : (ندر) .

كل ذلك في الجِد .

فإذا وُصفت النادرة أو أضيفت إلى ما يسلكها في باب الفكاهة ، كانت حينئذ في الاستعمال مثل الفكاهة والملحة .وقد استخدمها الحصري هذا الاستخدام فقال : " ويجب إذا حكى النادرة الظريفة ، والحكمة اللطيفة ألا يعربها فتثقل .. "(١) . فإضافة الظريفة إلى النادرة جعلها بمعنى الفكاهة والملحة .

و استخدمها في موضع آخر بمعنى الفكاهات والملح من غير وصف أو إضافة فقال : " وهذه النوادر أكرمك الله وإن وقع عليها اسم الهزل وأسقطت من عين العقل ..." (٢) .ومن هنا صارت النادرة تستعمل بمعنى الفكاهة والملحة .

فالحصري -كما ترى- استخدم المُلَح والنوادر في عنوان الكتاب بمعنى : الفُكاهات . واستخدم في ثنايا الكتاب ألفاظا أخر ليست بعيدة عن معنى المُلَح والفكاهات مثل : المُضْحِكات(٣)، والمطَايَبات ، والمداعبات(٤) ، والمَزْح(٥) .

هذا في الاستعمال اللغوي . وفي الاستعمال الأدبي الاصطلاحي يرى بعض الدارسين : أن الفكاهة لفظ جامع لألفاظ شتى ، كلها داخل تحته ومندرج في معناه، وعد منها : الغفلة و التغافل ، والتناقض ، والتخلص الفكه ، والدعابة ، والمزاح ، والهزل ، والتهكم والسخرية ، واللعب المعنوي ، واللعب اللفظي ، بشرط أن تكون هذه كلها مثيرة للضحك ؛ لأن الفكاهة عنده هي : كل باعث على الضحك من فنون القول وإن اختلف الاسم "(١) .

---

(١) جمع الجواهر : ١٠ .
(٢) السابق : ١١ .
(٣) ص : ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ . ١٩ . ٢٥ . ٢٦ .
(٤) ص : ٧ .
(٥) ص : ٧ .

وقال آخر : " كلمة الفكاهة من الكلمات التي حار الباحثون في وضع تعريف دقيق لها ، والسبب في ذلك كثرةُ الأنواع التي تتضمنها، واختلافها فيما بينها ؛ إذ تشمل : السخرية و اللذع والتهكم والهجاء والنادرة والدعابة والمزاح ، والنكتة و"القفش " والتورية والهزل والتصوير الساخر " الكاريكاتوري " والسخريةُ أرقى أنواع الفكاهة» ..(٢) .

ومن الدارسين الأوربيين من قال : إن الفكاهة عكس التهكم ؛ لأن التهكم هو : وصف ما ينبغي أن يكون على أنه هو الكائن فعلا ، والفكاهة : وصف ما هو كائن فعلا بأنه ما ينبغي أن يكون ، وهما عنده صورتان من صور الهجاء(٣) . وهذا تدقيق فلسفي لم استطع فهمه على وجه دقيق .

وقال غيره إن : البسمة والضحكة : هما المظهر الحسي الخارجي للشعور الداخلي بالرضى والارتياح ، ولولا ذلك المظهر الخارجي ما عرف ذلك المخبر الدفين. والبسمة : مشروع ضحكة ، أو : ضحكة لم تكتمل ، أو : ضحكة خافتة يبين المرء فيها أنه ليس من الحماقة بحيث يضحك(٤) . وهذا كلام عن الفكاهة والضحك حقه أن يُعَد من الفكاهة ، ومما يُضحك منه ، فهو من تعريف المضحِك بالمضحِك ، و الفكِه بالفكِه.

والأنواع التي ذكرها الحوفي و شوقي ضيف هي صورٌ للنص الفكاهي ، وأنواع للفكاهات أو أقسام لها ، وكل من رام تعريف الفكاهة بعدهما لم يكد يخرج في تعريفها عما قالاه ؛ لأنهما الرائدان في الكتابة عن الفكاهة في الدراسات

(١) الحوفى : الفكاهة فى الأدب : ٩ .
(٢) شوقى ضيف : الفكاهة فى مصر : ١٠ .
(٣) الفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون : الضحك : ٨٥ .
(٤) انظر : الدكتور : زكريا إبراهيم : سيكلوجية الفكاهة والضحك : ١٩ ـ ٢٥ .

الحديثة.وما أراهما عرَّفا الفكاهة بما قالا تعريفا كافيا شافيا ، وما أرى الفكاهة إلا كالشعر ، والغناء ، والموسيقى ، وغيرها ما يستعصي على التعريف الجامع المانع .

٢

تأملت " مادة الفكاهة " في كتاب : "جمع الجواهر..." فوجدتُها قسمين غير متساويين : أولهما و أقلهما : أقوالٌ نظرية للحصْري و لغيره فيما يمكن أن يوضع تجوزا تحت عنوان : " في نظرية الفكاهة " ، وثاني القسمين وأغزرهما مادة : فكاهات متنوعة مروية ، وملح شتى مجموعة ، مما يمكن تناوله تحت عنوان " صنوف الفكاهات في الكتاب " ، وقد تناولت القسم الأول في هذا المبحث ، وتركت القسم الثاني للمبحث التالي:

قال الحصري : إن لاختيار المُطَايبات والمُدَاعبات ، وما أشبهها من الملح والمزح -أصولا تلتزم ، وفصولا لا تُتَجاوز(١) . فدل هذا على أن الفكاهات فن من فنون القول ، له أصول حقها أن تراعى في اختياره ، ومتى كانت له أصول تراعى عند اختياره فلا بد أن تكون له أصول وقواعد تراعى عند إنشائه وإبداعه ، ثم عند نقده و الحكم عليه . وهذا ما أعنيه بنظرية الفكاهة ، وأكثر ما للحصري في هذا هو مسبوق إليه ؛ ولهذا قلتُ : الحصري و نظرية الفكاهة ، ولم أقل : " نظرية الفكاهة عند الحصري " .

ومن أصول نظرية الفكاهة :

١ . أن الهزل ليس من لغو القول ، و مُطَّرح الكلام كما يُظن لأول وهلة ؛ فإنه مُحتاج إليه في موضعه كما يُحتاج إلى الجد في موضعه . فقد صار الجِد والهزل

---

(١) جمع الجواهر : ٧ .

في هذا سواء في الحاجة إليهما وعدم الاستغناء عنهما .قال: " وهذه النوادر أكرمك الله ، وإن وقع عليها اسم الهزل ، و أُسقطت من عين العقل ، عند من لا يعلم مواقع الكلم ، ولا يفهم مواضع الحِكَم ،- فليس ذلك بمروجها-كذا- ولا بمبهرجها عند [illegible]قول وأولي التحصيل العارفين بمَعاقِد المعاني ، وقواعد المباني ، وهل يُستندر من [illegible] والمشهورين ويستظرف من المغفلين والمعقلين إلا ما خَرَجَ عن قدر أشكالهم ، ويَبعُد من فكر أمثالهم ، وإنما يُذكر ما يستظرف لخروجه عما يعرف .

[illegible]ها ما يدخل في باب الطيب و الاستندار . وقد قال الجاحظ : ليس شئ من الكلام يس[illegible]ط البتة ، فسخيف الألفاظ يحتاج إلى سخيف المعاني (١) . وقد قيل لكل [illegible] مقال " (٢) .

وقال : " وقد يحتاج العاقل المميز ، والفاضل المبرز ، إلى الهزل كاحتياجه إلى الجِد ، ويفتقر إلى الجور كافتقاره إلى القصد ، وعلمُ الفتى في غير موضعه جهل"(٣).

وقال في موضع آخر : " وهل يستغني أهل الأدب ، وأولوا الأرب عن معرفة ظريف المضحكات ، وشريف المفاكهات إذا لاطفوا ظريفا ، أو مازحوا شريفا ؟ فقد قال الأصمعي : بالعلم وصلنا وبالملح نلنا (٤) .

وروى أبو هفان(٥) قال : دخل أبو نواس على يحيى بن خالد، فقال له :يا أبا علي أنشدني بعض ما قلت ؛ فأنشده :

(١) عبارة الجاحظ : «.. إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني ، وقد يُحتاج إلى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني ..» البيان والتبيين : ١ / ١٤٥ .

(٢) جمع الجواهر : ١٣ . (٣) جمع الجواهر : ١٦ .

(٤) عبارة الأصمعي : «بلغت بالعلم ونلتُ بالملح» اللسان (ملح) .

(٥) هو : عبد الله بن حرب بن أحمد المِهْزَميّ راوية عالم بالغريب وشاعر مجيد مقل من شعراء بني

كم من حديث مُعْجِبٍ ليَ عندكَا لو قد نبذتُ به إليكَ لسَرَّكَا

إني أنا الرجلُ الحكيمُ بطبعه ويزيدُ في علمي حكايةُ من حكَى

أتتبعُ الظرفاءَ أكتبُ عنهُمُ كَيْمَا أحدّثُ من أحبُّ فيضحكَا

فقال له يحيى : يا أبا علي إن زَنْدك ليُورَى بأول قدحة "(١) .

٢ ـ وأورد الحصري كثيرا من أقوال مَنْ رخَّص في المزاح وحسنه ، و مَنْ كرهه وقبَّحه :

فنقل من أقوال من حسن المزاح ، ورخص فيه :

ـ "لا باس في المُزاح بغير ريبة "

ـ "المُزاح من أخلاق ذوي الدمائة "

ـ ورُوي عن علي رضي الله عنه : " من كانت فيه دُعابة فقد برئ من الكِبْر "

ـ "المازح يُقرّب من ذي الحاجة إليه ويُمكّن من الدالة عليه "

ـ "وما زال الأشراف يمزحون ويسمحون بما لم يغض من دياناتهم ، ولا يقدح مروءاتهم "

ـ وقالوا : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قولُ المُزاح وسماعه . وروي مثل ذلك عن أصحابه (٢).

ـ وقال رجل لابن عيينة : " المُزاح سبة " فقال : " بل سبة لمن لا يحسنه ، وأنشد :

= العباس . انظر ترجمته في : سمط اللآلىء : ٣٣٥ ومراجع الترجمة في هامش (٢) منها .

(١) جمع الجواهر : ٢٦ .

(٢) ص : ٣٥ ـ ٤٠ .

يا ساعةً في مُجُوني قدطبتُ فيــكِ وطِبْتِ
إني إذَا ضــاقَ صدرِي قطعتُ بالسُّخْف وقْتي(١)

ونقل من أقوال من كره المزاح وذمه :

- قال أكثم بن صيفي : " المُزاح يُزيح بهجة الأشراف ".

- وقال عمر بن الخطاب للأحنف بن قيس : " من كثُر ضحكه قلت هيبته ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر مُزاحه كثر سَقَطُه ، ومن كثر سقطه قل ورعه، وذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه مات قلبه "

- وقال أبو سليمان الداراني : "أنا أكره المُزاح لأنه مزاح عن الحق "

- وقال الحسن البصري : المزاح اختراع من الهواء "كذا وأظن الصواب :من الهوى .

- وقال زياد بن أبي سفيان : " من كثر مزاحُه قل إلى النباهة ارتياحُه "

- وقال عمر بن عبد العزيز : " إياك والمـُزاح فإنه يجر القبيحة ، ويُورث الضغينة".

- وقال الأحنف بن قيس : " لن يسود مزاح ، ولن يعظُم مفاكه "

- وقال سعيد بن العاص لابنه : " لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنيء فيجترئ عليك "

وقال أبو نواس :

صَار جِدا ما مزحْتَ بِهِ رُبَّ جِدٍّ ساقَهُ اللعِبُ

---

(١) محاضرات الأدباء ١ / ١٧٨ .

وقال ابن المعتز : من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به ، أو حقد عليه ".
وهي من عبارة سعيد بن العاص لابنه المذكورة آنفا (١) .

وما جمعه الحصري هنا من كلام من رخَّص في المزاح وسوغه ، ومن كرهه وذمه مجموع أو مفرق في كلام من تحدث عن الفكاهة قبله , ولا فائدة من تتبع ذلك هنا (٢) .

وقد اجتهد الحصري في التوفيق بين أقوال الفريقين ؛ فقال : إن مَنْ ظاهرُ أقوالهم كراهةُ المزاح وذمه ، لم يكرهوا أصل المزاح ، ولم يذموا المزاح نفسه ، وإنما ذموا الإكثار منه ، والغلو فيه ، بأن يكون المزاح مستوليا على الشخص غالبا عليه في كل أحواله ، وكرهوا أن يتجاوز به موضعه ووقته ، بأن يجريه المازح في كل وقت ، ومع كل إنسان . أو بأن ينحرف به عن غايته ؛ بأن يتخذه الشخصُ وسيلة للتعريض بالمعائب ، والتنبيه على المثالب ، قال : فحينئذ يكره قوله ويذم ، ويكون صاحبه مستوجبا اللوم(٣) . .

وإذا راجعت الأقوال السابقة ، وتأملتها مليا علمت جودة تخريج الحصري للمسألة ، وهو لا يخرج فيه عن تخريج من سبقوه ، وتأويل من تقدموه ، مثل الجاحظ وابن قتيبة وأضرابهما . وسأعود إلى بيان هذا في موضعه .

وكأني بالذين كرهوا المزاح على كل حال قد نظروا إلى مَضَرته و مساءته لا غير ، وبالذين استحسنوه على كل حال نظروا إلى فوائده وعوا[illegible] غير ، والذين رخصوا فيه بشروطه هم الذين نظروا إلى جانبيه جميعا ، وأحاطوا

---

(١) ص ٣٤_٣٥ .
(٢) راجع : البيان والتبيين ٢ / ١٨٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٤ / ٧٣ ، عيون الأخبار مج ١ / ٣١٨ ، ٣١٩ ، والموشى : ٣١ ، ٦٩ .
(٣) انظر : ٣٤ ، ٣٥ .

بطرفيه معا .

والدرجة المرضية أن يوضع الجِد في موضعه ، وعند الحاجة إليه ، وأن يوضع المزاح في موضعه ، ولا يتجاوز به وقته وحَدَّه . وقد روي عن عطاء : أن سعيد بن جبير كان لا يقص عليهم إلا أبكاهم بموعظته ، و لا يقوم من مجلسه حتى يضحكهم بمزحه (١) .

وكتب كاتب إلى صديق له : " .. ولنا بعدُ مذهبٌ في الدعابة جميل ، لا يشوبه أذى ولا قذى ، يخرج إلى الأنس من العبوس ، وإلى الاسترسال من القطوب، ويلحقنا بأحرار الناس الذين ارتفعوا عن لِبْسَة الرياء والتصنع "(٢) .

و دخل عبد الملك بن مروان على معاوية بن أبي سفيان وعنده عمرو بن العاص ، " فجلس أي-عبد الملك- مليا ثم انصرف ، فقال معاوية ما أكمل مروءة هذ الفتى ، وأخلقه أن يبلغ . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين إن هذا أخذ بخلائق أربع وترك ثلاثا : أخذ بأحسنِ الحديث إذا حَدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر المؤونة إذا خُولف ، وبأحسن البشر إذا لقِي . وترك مُزاحِ من لا يوثق بعقله و لا دينه ، وترك مخالفة لئام الناس ، وترك من الكلام ما يُعتذر عنه " (٣)

فهذا هو حد الاعتدال ، وإدراك التوفيق .

٣ ـ ويرى الحصري أن للفكاهات والملح فوائدَ وعوائد على قائليها ، ولهم فيها مقاصد ومآرب فوق ما فيها من إيناس النفس ، وسرور القلب ، وإضحاك السن ، عَدَّ منها :

(١) انظر اللطائف والظرائف للثعالبي : ٥٩ نقلا عن الفكاهة في الأدب : ٣٠ .
(٢) عيون الأخبار : مج ١ / ٣٢٥ .
(٣) الموشى : ٦٩ .

أ ـ أنها ربما خلصت من الهلاك ، وفكت من الأشْراك ، وحفظت الحياة ، وحالت دون قطع الرقاب ، وصرفت مخُوفا ، وأنقذت ملهوفا. وذكر في هذا ملحا لأعراب ولغيرهم ، حفظت عليهم الملحُ حياتهم ،وخرجوا بها من مضائق ما كان لهم أن يخرجوا منها لولاها(١). .

ب ـ وأنها كثيرا ما أفادت الرغائب ، وبلغت المطالب ، ورفعت الخامل ، وقربت المقصى . وذكر من ذلك أمثلة كثيرة(٢) .

وما تقدم كله يدخل في دائرة دفاعه عن الفكاهة ، وبيان وجه الحاجة إليها ، وأنها ليست مما يُستغنى عنه ويُترك .

٤ ـ أن النادرة إنما تُستندَرُ و تُستطاب و يُضحك منها ؛ لكونها حارة منضَجة،أو باردة مثلجَة ؛ لأن إفراط البرد يعود بها إلى الضد، أي :الحرارة . قال: " وقد يستندر الحار المنضج ، والبارد المثلج ؛ لأن إفراط البرد يعود به إلى الضد ... وإنما الموت المحبب والسقم المغيب أن تقع النادرة فاترة ؛ فتخرج عن رتبة الهزل والجد ، ودرجة الحر والبرد ؛ فيكون بها جهد الكرب على القلب ... ومن أمثال البغداديين : هو أثقل من مغن وسط ، ومن مضحك وسط " (٣).

فالفكاهات ليست إذن من جنس ما يقال فيه : " خير الأمور أوسطها .

٥ ـ قال : و قد يُستجلب الهزل الظريف من الجِد الصريح . فمن المشهور في باب الجد الصريح قولهم : " من حفر لأخيه حفرة وقع فيها " ، وقولهم : " من سل سيف البغي قُتل به ". قال : فأخذ هذا المعنى عبَادة المخنث ، فنقله من الجِد إلى

---

(١) انظر : ٢١ ـ ٢٤ .
(٢) انظر : ٢٤ ـ ٣٣ .
(٣) جمع الجواهر : ٧ .

الهزل، وذلك حين نكب المتوكل محمد بن عبد الملك الزيات ، ورماه في تنوره الذي كان اتخذه لعذاب ابن أسباط المصري وغيره ، فاطلع عبادة على ابن الزيات وهو في التنور فقال :" أردت أن تَخبِز في هذا التنور فخُبِزْتَ فيه ، فضحك المتوكل فقال عبادة :

هذا يا أمير المؤمنين مثل رجل كان حفارا للقبور مات ، فمرت به واحدة من أصحابنا فقالت : أما علمت أنه من حفر لأخيه حفرة يسقط فيها ؟ (١) " .

ومكمن الملحة هنا في فرق ما بين تنور وتنور : تنور يخبز فيه الخبز، – وله صنعت التنانير– ، وتنور يعذب فيه ابن الزيات ، وهي فكاهة مبناها على اللفظ المشترك . وقول عبادة : " فمرت به واحدة من أصحابنا " فكاهة أخرى حارة ؛ لأنه أراد مخنثا مثله ، فجعله واحدة وقال من أصحابنا ؛ لأنه أحد المخنثين .

وفكاهات المخنثين من أحر الفكاهات ، وهذه واحدة منها وسيأتي الحديث عنها في موضعها .

وكما يُستخرج الهزل من الجد يُستخرج الجد من الهزل أيضا والقانون واحد وهو نقل المعاني من أبوابها . وكما تنقل معاني الشعر من غرض إلى غرض، وتنقل معاني الكتابة من باب إلى باب ، ينقل الكلام من الجد إلى الهزل ، ومن الهزل إلى الجد .

٦ ـ والفكاهة تحكي على هيئتها وبلفظها ولغة قائلها و منشئها ، سواء أكانت معربة اللفظ في الأصل أم عامية غير معربة ، فهي كالأمثال لا تغير . قال : " ويجب إذا حَكَى – يعني المسامر و المنادر – النادرةَ الظريفة ، والحكمة اللطيفة ، ألا يُعْرِبها

(١) السابق : ١٧ ، ١٨ .

فتثقُل ، ولا يَجْمِجَهَا(١) فتجُهل ، ولا يُمَطْمِطَهَا (٢) فتبرُد ، ولا يقطَعَها (٣) فتجْمُد "

وضرب مثلا بما حكي عن مزبد المدني – وقد أكل طعاما فثَقُل عليه – فقيل له : " تقيأه يذهب عنك ما بك " فقال : "خبزٌ نقيٌ ولحم جدي ، والله لو وجدته قيًا لأكلته " ، قال : " فلو أعطاه حقه من الإعراب ، فقال : خبز نقي(٤) ، ولحم جدي ، والله لو وجدته قيئا لأكلته ؛ لخرج عن حده ، وأفلج من برده"(٥) .

هذا فيما قاله قائله من النوادر غير معرب . أما نوادر الأعراب ، وفصحاء الحضر التي لا تخرج منهم إلا معربة ، فإنها إذا ترك فيها الإعراب ، وجُنِح بها إلى اللحن استغثت و استبردت (٦).

وقد أورد الحصري في كتابه نماذج للمعرب وغير المعرب من الفكاهات ، وإن كان غير المعرب من الفكاهات في الكتاب قليلا جدا .

٧ ـ وأخلاق المفاكِه والممازِح- فيما يرى الحصري- جزء من استملاح ما يأتي به من الفكاهة ، ويحكيه من المزح ؛ ولذا اشترَط في " المسامر والمنادر أن يكون خفيفَ الإشارة ، لطيف العبارة ، ظريفا رشيقا، لبقا رفيقا ، غير فَدْم ولا ثقيل ، ولا عنيف ولا جهول ، قد لبس لكل حلة لباسها، وركب لكل آلة أفراسها؛ فطبق

(١) المجمجة : أراد بها التغيير والتحريف . وأصل المجمجة : تغيير الكتاب وإفساده عما كتب . اللسان (مجج) .
(٢) المطمطة : أراد ألا يزيد فيها . وأصل المطمطة : مد الكلام وتطويله . اللسان (مطط) .
(٣) وأراد بيقطعها : يختصرها ولا يتمها .
(٤) وفى اللسان عن ابن الأثير : النَّقِىّ : الخبز الحُوَّارِىّ . اللسان (نقا).
(٥) جمع الجواهر : ١٠ . ومزبّد قالَ ملحته على هيئة لا إعراب فيها . ولا أدرى كيف نطق بها إلا أن يكون نطق بها مسكنة الأواخر .
(٦) نفسه : ١٠ .

المفاصل ، وأصاب الشواكل ، وكان برائق حلاوته وفائق طلاوته يضع الهناء مواضع النقب ، ويعرف كيف يخرج مما يدخل فيه إذا خاف ألا يُستحسن ما يأتيه "(١)
.وهذه شروط كما تري في القائل لا في القول ، وفي اللافظ لا في اللفظ .

وهذا الربط بين الفُكاهة و الفَكِه ، والمُلَح و المَلِح ، أي بين الكلام والمتكلم من صائب الرأي ، ولهذا اشتهر بعض الملحين و الفكهين حتى عدوا من فحول الظرفاء وأهل النادرة ، ولم يشتهر سواهم وإن كانوا مثلهم في حرارة نوادرهم وملحهم .

وإنما اشترط هذا ومثله في المسامر والمنادر ، والمفاكه والمضحك ، حين صادرت النوادر والملح صنعة كصنعة الشعر والكتابة ، وحين صار السمار والمنادرون طبقة يحتاج إليها الخلفاء والولاة ، وغيرهم من أهل القصور والمجالس حاجتهم إلى الشعراء والكتاب .

وقد روي عن أشعب أمير الفكهين أنه قال لأحد الولاة- و الغاضري(٢) عنده ينازعه الطمع-: أيها الأمير إنه يريد أن يدخل عليَّ في صناعتي ، وبشاركني في بضاعتي ، وهيأته هيئة قاض " والأمير يضحك " ، والغاضري أيضا ممن تروى عنه الفكاهات ، والإضحاك . فقد جعل أشعب الفكاهات كما ترى صناعة و بضاعة ، وقوله: «وهيأته هيئة قاض» يدل على أن الظرفاء والفكهين من قديم كانت لهم هيأة تخصهم وسمت يعرفون به"، وقد كشف عن هذا الوشاءُ في كتابه " الموشى "بما لا مزيد عليه(٣) ..

وهذا الكلام في أدب المسامرة والمفاكهة غير بعيد مما كان استحسنه واختاره عبد الحميد بن يحيى الكاتب لإخوانه من طبقة الكتاب في هيأتهم وأدبهم ؛ والداعي

(١) جع الجواهر : ٩ .
(٢) الغاضرى من المعروفين بالفكاهة .
(٣) انظر : الموشى : ١٩٩ وما بعدها .

في الحالين واحد وهو : أن الكتاب و المنادرين كليهما يخالطون الخلفاء والأمراء و يمازجونهم ، ويختصون بالقرب منهم في ما هو من أخص أحوالهم ، وأوقاتهم .

وحق ذلك الرأي أن يكون في سائر الأدب جده وهزله ، شعره ونثره ؛ لأنا نجد الشعر يستحسن من منشد ولا يستحسن هو عينه من منشد آخر ، وكذا الموعظة و كل ما كان من هذا الباب .

٨ ـ أن يكون الفَكِه والمَلِح حين يروي فكاهاته وملحه وسطا بين الإطالة والتقصير ؛ لأنه إذا أطال أمل ، وإذا قصر أخل . قال :" ويجب على اللبيب المطرب ألا يطيل فيمل ، ولا يقصر فيخل ، فللكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية "(١)

قال : ومن تمام ذلك أن يُمسك الفاكِه المَلِح عن الفكاهة والتملح وبالمستمع إليه حاجة ، وعنده منه طلبٌ المزيد ، وأن لا يحمله استحسانٌ ما مر له من نادرة مضحكة ، أو ملحة مستطابة محركة ، على أن يكرر ويتزيد، ويطيل ويستطرد ؛ فيقع في النقص من حيث ظن أنه زاد ، وينتقل إلى الإساءة من حيث ظن أنه ازداد في الإحسان .

وأورد رسالة في هذا المعنى كتبها ابن العميد إلى صديقه أبي عبد لله الطبري حين استحضره عضد الدولة للمنادمة . وكان مما قاله له فيها :" ..واركب في الخدمة طريقة تُبعدك عن المَلَال ، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال ، ولا تسترسل

(١) جمع الجواهر : ١١ ، وآخر العبارة منقول نقلا من الجاحظ دون إشارة . قال الجاحظ : «قيل لإياس : ما فيك عيب إلا كثرة. الكلام قال : فتسمعون صوابا أو خطأ؟ قالوا : لا بل صوابا . قال: فالزيادة من الخير خير . وليس كما قال . للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الاسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه» البيان : ١/ ٩٩ . وقد علمت الآن من أين أخذ الحصرى رأيه فى عدم إطالة الفكاهات والملح أو تقصيرها .

كل الاسترسـال ؛ فلأن تُدعى من بعـيد مـرات خير من أن تُقصى من قريب مرة ..."(١) .

وإذا تتبعنا الأخبار المروية عن مجالس الخلفاء ومن إليهم عرفنا أن العالم و الأديب ، وصاحب الألحان والغناء كانوا يقربون أكثر، وينالون من العطاء أغزر، وأوفر إذا أضاف أحدهم إلى ما يحسنه في بابه حفة روح ، وحلاوة نادرة ، وحضور جواب وانتزاع ملحة أو فكاهة ، أو روايتها ، وهذا معنى قول الأصمعي " ... ونلت بالملح " .

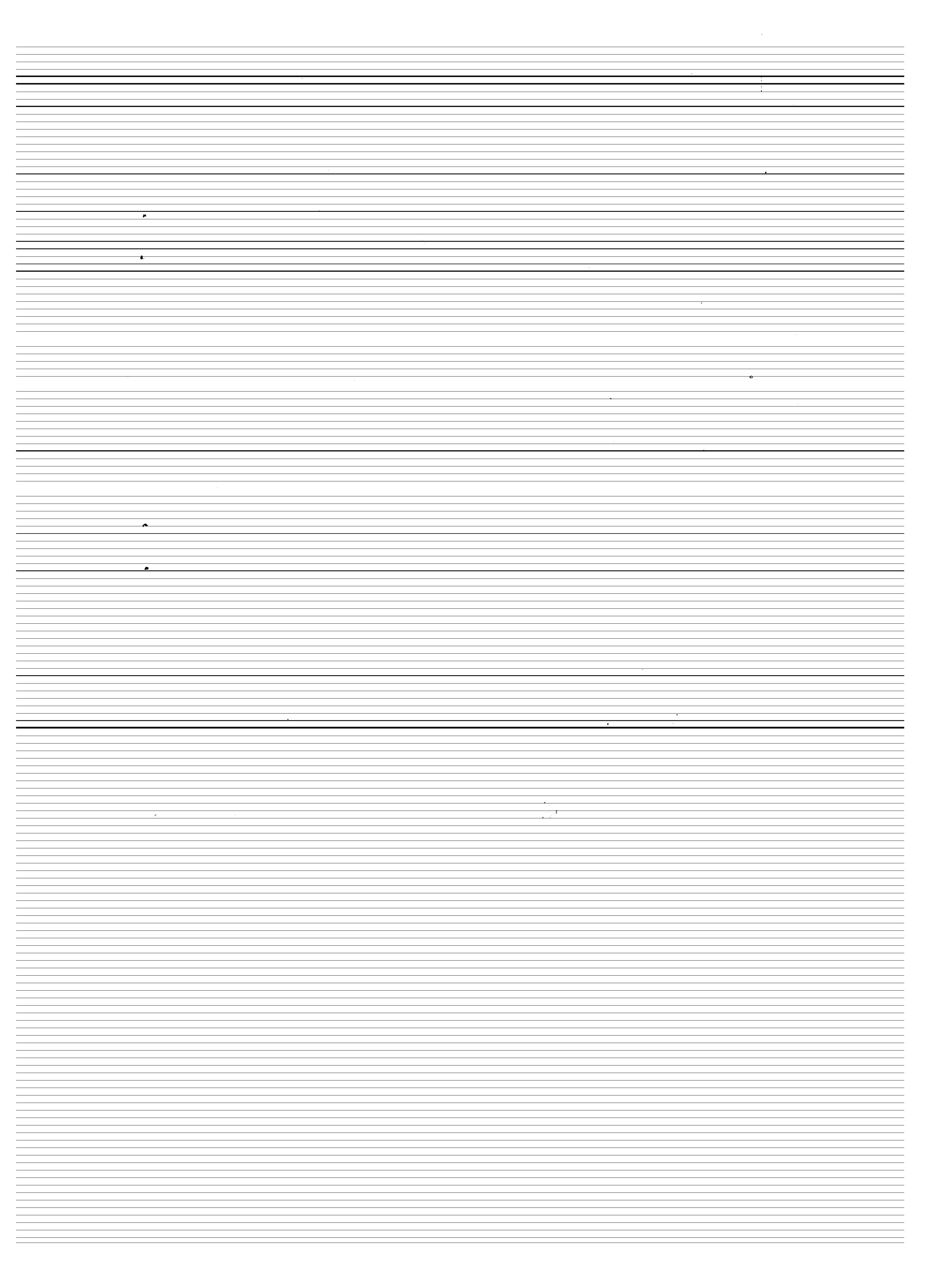
تلك هي أبرز الأصول المتصلة بنظرية الفكاهة في كتاب جمع الجواهر: أكثرها مما يعود إلى النص الفكاهي نفسه ، وأقلها مما يتصل بالمفاكه والمسامر. والحصري في جُلها آخذ ممن تقدمه ناقل عمن سبقه .وسأعود إلى بيان هذا في مبحث : من مصادر الحصري في كتابه .

•••

(١) جمع الجواهر : ١٢ .

المبحث الرابع

صَنُوف الفكاهات في جمع الجواهر



جمع الحصري في كتابه : " جمع الجواهر .." صنوفا من الفكاهات مفرقة غيرَ مبوبة ، وصورا من الملح مبثوثة غيرَ مرتبة ، وفنونا من النوادر شتى غير جَمِيَعة ؛ فبدا لي أن أجعل بعضَ عملي في هذا البحث تصنيفَ جانب من هذه المادة تصنيفا وصفيا ، على أساس المعاني الإنسانية ، والمواقفِ التي تولدت حولها تلك الفكاهات والملح والنوادر ، و الطبقاتِ التي نُقلت عنها أو دارت حولها .

وإنما قلت : " جانبا من هذه المادة " ؛ لأن الفكاهات والملح والنوادر الواردة في الكتاب من التنوع بحيث يستعصي تصنيفُها جميعا ، أو إدراجُ سائرها تحت تصنيف مستوعب و تبويب مستقص ، ولم أورد في هذا التصنيف إلا ما رواه الحصري ، على أني مخَضْتُ الكتاب واخترتُ زبدة ما فيه من الفكاهات :

١ـ فمن فكاهات الخُرق والحُمق والغفلة :

أ ـ " وسأل أبو عون رجلا عن مسألة فقال : على الخبير سقطتَ . سألتُ عنها أبي فقال : سألتُ أبي فقال : لا أدري "(١) .

ب ـ " قيل لمغفل :قد غلا الدقيق . فقال : وما أبالي ؛ إني اشتري الخبز من السوق "(٢) .

جـ ـ " قال حيان بن غضبان العجلي ـ وقد ورث نصف دار أبيه ـ : أريد أن

(١) جمع الجواهر : ٨٩ .
(٢) السابق : ١٦١ .

أبيع نصف حصتي من الدار واشتري الباقي ، فتصير الدار كلها لي "(١)

د ـ " قال المدائني : جاء رجل إلى جار له من الأشراف فقال له : جارك فلان توفي ولا كفن له ؛ فتأمر له بكفن ؟ فقال : والله الآن ما عندي شئ ، ولكن تعاودنا بعد أيام !! قال : فنُمَلِّحه إن شاء الله إلى أن يتيسر الكفن !! "(٢)

هـ ـ " كان معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان مغفلا ، فبينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان إذ نظر إلى حمار يدور بالرحى وفي عنقه جُلْجُل ، فقال للطحان : لم جعلت في عنق الحمار جلجلا؟ قال : لربما أدركني سآمة أو نَعْسَة ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمتُ بأنه قد قام فصحتُ به، فقال له معاوية : أرأيتَ إن قام ومال برأسه هكذا وهكذا ـ وحرك رأسه ـ ما علمك أنه قائم ؟ فقال الطحان : ومن لحماري بمثل عقل الأمير أعزه الله تعالى "!(٣)

***

٢ ـ ومن فكاهات الوسوسة والجنون :

أ ـ " قال رجل لبُهْلُول المجنون : قد أمر أمير المؤمنين لكل مجنون بدرهمين ، فقال له بهلول : فهل أخذت نصيبك ؟ "قال : " ولبهلول هذا حكم(٤) ، وكان يتشيع فقيل له يوما : أيما أفضل علي أم أبو بكر رضي الله عنهما ؟ فقال : أما وأنا في كندة فعلي ، وأما وأنا في ضبة فأبو بكر . وكندة بالكوفة من غلاة الرافضة وبنو

(١) السابق والصفحة . وعد الحوفى : هذه الملحة من باب التناقض : الفكاهة فى الأدب : ٥٨ ، ولا يبعد أن تعد من الخرق والغفلة كما عددتها ..

(٢) ص : ١٩٩ .

(٣) ص ٢٠٢ . وانظر فكاهات وملحا أخرى من هذا الصنف : ٢٣٢ ، ٢٤٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٤) انظر بعض ملح بهلول فى : البيان والتبيين : ٢ / ٢٣٠ ، وأخبار الأذكياء : ٢٨٦ .

ضبة أهل سنة " (١)

ب ـ " ولما دخل الرشيد الكوفة خرج الناس للنظر إليه فناداه بهلول ثلاثا فقال: من المجترئ عليَّ في هذا الموضع؟ قيل : بهلول المجنون . فرفع السجَافة و قال : بهلول ؟ قال لبيك يا أمير المؤمنين،روينا عن أيمن بن نائل قال حدثني قدامة عن ابن عبد الله العامري قال : رأيت رسول الله يرمي جمرة العقبة ، لا ضربَ ، ولا طردَ ، ولا قيل بين يديه : إليكَ إليكَ ، وتواضُعُك في سفرك هذا خير من تجبُّرك وتكبُّرك .

فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على الأرض !!! وقال : أحسنت يا بهلول زدنا يرحمك الله "(٢).

جـ. " وقال هارون المخزومي : رأيت مجنونين يتنازعان رغيفا يقول أحدهما: هذا أنت تأكله ، ويقول الآخر : بل أنت تأكله . قال فقلت لهما وأنا أظن أن أربح عليهما : أنا آكله . فقالا : يا أحمق إنه مع إدَام ، فقلت : وما أدامه ؟ قالا : وَجُّ الحلق، وصفعُ العنق . فوليت عنهما ، فقالا : يا مجنون ، لولا بشاعة الأدم لكنا أكلناه منذ حين "(٣)

د." قال الجاحظ : كان جعيفران الموسوس يماشي رجلا من إخوانه على قارعة الطريق ؛ فدفع الرجل جعيفران على كلب فقال : ما هذا ؟ قال :أردت أن أقرنك به ، قال : فمع من أنا منذ الغداة ؟ " (٤) .

***

(١) ص : ١٦٣ . (٢) ص : ١٦٤ .

(٣) السابق والصفحة . ولم يرد «وَجّ» فى اللسان بالمعنى المراد هنا . وقال الأزهريُ :«ما أراه عربيا محضا» . اللسان (وجج) .

(٤) ص : ١٨٩ . وبعض أخبار جُعيفران وشعره فى البيان والتبيين : ٢ / ٢٢٧ ، والمذاكرة فى ألقاب الشعراء : ٢٦٠ .

٣ ـ ومن فكاهات المتنبئين :

أ ـ " وادعى رجل النبوة في أيام المأمون فأحضره المأمون ، وقال له : ما دليل نبوتك ؟ قال : أنا أعلم ما انعقد عليه ضميرك . فقال : ما هو ؟ قال : في نفسك- أصلحك الله- أني كاذب ؛ فضحك منه وتركه . "

ب ـ وأُتي المعتصم برجل ادعى النبوة . فقال : ما آيتك ؟قال : آيةُ موسى . قال : فألق عصاك تكن ثعبانا مبينا . قال : حتى تقول : أنا ربكم الأعلى " .

جـ ـ وادعى آخر النبوة بالكوفة فأدخل على واليها ، فقال : ما صناعتك ؟ قال : حائك . قال : نبيٌ حائكٌ ؟! . قال : فأردتَ نبيًا صَيْرَفِيًا ؟ " الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسَالَتهُ " (١).

د ـ " وادعى رجل النبوة في زمن المهدي وأدخل عليه فقال : أنت نبي ؟ قال : نعم . قال : إلى من بعثتَ ؟ قال : أو تركتموني أبعثُ إلى أحد؟ بعثتُ بالغداة ، وحبستُ بالعشي . فقال: صدقت ، أعجلناكَ . وضحك منه ، ووصله ، وأطلقه"(٢).

والجامع بين هذه الأصناف الثلاثة من الفكاهات والملح :(الخرق . الجنون . التنبؤ) هو: قضية " العقل" ، الذي به تكريم الإنسان ، وعليه مدار تكليفه . فالجنون: انحلال العقل وذهابه كله أو بعضه ، والخرق والتنبؤ : انعدام الانتفاع به جهلا أو تعمدا ، وإن كان باقيا موجودا .

وقد نص الجاحظ على أنهم إذا تحدثوا عن فكاهات النوكى والموسوسين

(١) ص : ١٢٦ . والآية في الأنعام : ١٢٤ .
(٢) ص : ٢٠٥ .

والحمقى ، فإنهم لا يريدون بهم من ضَرب على عقولهم جملة ، ومن لا يتأتى منهم صواب ألبتة ؛ لأن هؤلاء لا يرجى منهم خير في جد ولا في هزل ، وإنما الأحمق عندهم والموسوس : من يتكلم بالصواب الجيد ثم يأتي بخطأ فاحش .(١).

وتنطوي هذه الفكاهات على سخرية ناقدة ، وتندر بقصد الإصلاح ؛ لأن في بواطنها تعظيما لنعمة العقل ، وإكباراً لذوي اللب ؛ إذ السخرية من شيء فيها تفضيل ضده عليه ، ولا يسخر من أثر الخرق والغفلة إلا من يحسن عنده أثر العقل والكيس .

وفي هذه الفكاهات إشارة إلى أن الخرق والحمق داء يكون في الشريف من الناس وفي غير الشريف. وكما أن الأخرق لا ينبغي أن ينفعه شرفهُ ، فكذلك الخسيس ينبغي أن يرفعه عقلُه . و من وُصفوا بالجنون من ذوي الفكاهات كان منهم المعقُول فعلا ، و كان منهم من يتخذ الجنون ستارا وتقية ، وقد أشار الحصري إلى أن بهلولا الذي وصف بالمجنون لم يكن مجنونا ، و أنه إنما كان يستعمل الجنون سترا على نفسه . (٢) . وهذا هو السبب في أنك تجد في كلام هؤلاء ـ أحيانا ـ عقلا يربو على عقل ذوي العقل .

أما ما روي عن هؤلاء المتنبئين فهو ـ على الأرجح ـ حيلة منهم ، وجودة مخرج ، وكلام أعدوه سلفا لينجوا به ساعة المساءلة إن كانوا يعتقدون التنبؤ حقا . أو أنهم اتخذوا التنبؤ حيلة و ذريعة للوصول إلى أبواب الخلفاء والولاة ، وأعدوا معه هذه الملح والفكاهات لنيل ما أرادوه من الصلات وقد تنبه إلى هذا من ناطقوهم من الخلفاء والولاة ، فضحكوا منهم ، وجعلوا الصلات بدل العقوبات جزاء لهم .

---

(١) انظر البيان والتبيين : ١ / ٢٤٩ .

(٢) جمع الجواهر : ص : ١٦٤ .

٤ ـ ومن فكاهات اللحْن واللُّكْنَة :

أ ـ " مات أخ لأبي علقمة النحوي ، فأتى ابنه يُعلم أبا علقمة بموت أخيه ، فقال : ما كانت علته ؟ فقال الغلام : تورمت رجلاه فانتهى الورم إلى ركبتاه ، فقال أبو علقمة ؟ لحنتَ . فقل : إلى ركبتيه .فقال الغلام : لقد شق عليك موت أبي !! حيث لم تدع بغضك ساعة " (١).

ب ـ و كان بالرملة كاتب جاهل ألكن ، فأرسل غلامه يبتاع له شرابا، فاشترى له شرابا وحمله على حمار ، فقبض عليه أصحاب المصالح وأخذوا الحمار والشراب، فأتى مولاه فأخبره " فكتب إلى متولي النظر في أمرهم : أما بعد : فإن غلاما ، وإن حمارا ..فضرباه خمسين رطلا في رِكْوَة ، فرأيك في إطلاق الحمار، وأبقاك " (٢).

جـ ـ " وكتب رجل إلى قاض في أمر قوم من جيرانه اختصموا : إن الذي لم يجْرِ بينهما غير مفهوم ، وقد أردت الاستصلاح فعاد استفسادا، فإن رأى القاضي– أدام الله عزله– أن يصفح عن كتابي فإن فيه نقصا . فقال القاضي : لا بل فيه زيادة لام كفانا الله شرها "(٣) .

وبعض تلك الفكاهات المذكورة مما يقوم في النفس أنه موضوع مصنوع ، وسأعود إلى هذه القضية . وهي مع ذلك فاترة أو أقرب إلى الفتور.وقد أورد الجاحظ نماذج أجود منها من فكاهات اللحن .(٤)

---

(١) ص : ١٩٦ .
(٢) ص : ٢٣٨ . والرَّكْوَة : إناء منجلد يشربُ فيه الماء . اللسان (ركا) .
(٣) ص : ٢٣٩ .
(٤) البيان والتبيين ١/ ١٦١ ـ ١٦٥ .

٥ ـ وفي مقابل فكاهات اللحن والعي تأتي **فكاهات التقعر والتعالم** ، ومن أمثلتها في جمع الجواهر ...:

أ ـ " كان رجل من التجار له ولد يتقعر في كلامه ويستعمل الغريب ، فجفاه أبوه استثقالا له وتبرما به ومما كان يأتي به ، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت ، فقال : أشتهي أن أرى ولدي فأحضروهم بين يديه ، وأُخر هذا ثم أُخر حتى لم يبق سواه فقالوا له :ندعو لك بأخينا فلان ؟ فقال : هو والله يقتلني بكلامه .

فقالوا : قد ضمن ألا يتكلم بشيء تكرهه ؛ فأذن له فلما دخل قال : السلام عليك يا أبت . قل : اشهد أن لا إله إلا اللهُ ، وإن شئت قل : أشهد أن لا إله إلا اللهَ فقد قال الفراء كلاهما جائز ، والأولى أحب على سيبويه .....فصاح أبوه العليل : السلاحَ السلاحَ . صيحوا لي بجارنا الشماس ؛ لأوصيه أن يدفنني مع النصارى ، واستريح من كلام هذا البندق !!!" (١) " .وأحر بهذه الملحة أن تكون موضوعة .

ب ـ" وحصلت لأبي علقمة النحوي علة ، فدخل عليه أعين الطبيب فقال : ما تجد ؟ قال : أكلت من لحوم هذه الجَوَازِل ، فطَسِئْت طَسْأَةً ، فأصابني وجع ما بين الوابلة إلى داية العنق، فما زال يزيد وينْمى ، حتى خالط الخِلْب والشرَاسِيف ، فماذا ترى ؟

قال : خذ خربقا، وسلفقا ، وشبرقا، فزهزقه ، وزقزقه ، واغسله بماء روث ، واشربه فقال : ما تقول ؟ ! فقال : وصفتَ لي من الداء ما لا أعرف ، فوصفتُ لك من الدواء ما لا تعرف . قال : ويحك ، فما أفهمتني . قال : لعن الله أقلنا إفهاما لصاحبه " (٢) .وهذه الطرفة مشهورة (٣).

جـ . " قال أبو العبر : قال لي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب :الظبي

---

(١) ص : ١٣٨ ، ١٣٩ . وانظر : باب الاستثناء في : شرح الأشموني : ١ / ٣٩٠ وما بعدها .

(٢) ص : ١٨٠ .

(٣) انظرها في البيان والتبيين : ١/ ١٤٢ ، وعيون الأخيار : ٢ / ١٦٢ . والعقد الفريد ٢/ ٤٨٩، وهامش (٢) من الجمع . والجوازلُ : فراخُ الحَمَام وَطِسىء فهو طَسِيء إذا اتخم من الدسم

معرفة أو نكرة ؟ فقلت : إن كان مشويا على المائدة فمعرفة ، وإن كان في الصحراء فهو نكرة . فقال : ما في الدنيا أعرف منك بالنحو ". وليست هذه الملحة من جنس أخواتها السابقات ، وإنما ألحقَها بهن صلتُها بعلم النحو »(١).

•••

٦ ـ ومن فكاهات الغلط وقلب الكلام :

أ . " ودخل رجل على المتوكل فقال : ما اسمك ؟ قال : قطان . قال :وما صناعتك ؟ قال : حمدان . قال : لعل اسمك خمدان ، وصناعتك قطان ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ولكني دهشت لهيبتك " .وهذا من قلب الدهش ، وانعقاد اللسان من الفجاءة .

ب . ودخل مطيع بن إياس الحارثي " على الهادي في حياة المهدي وهو ولي العهد فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له : مه ! فقال : بعد أمير المؤمنين". وهي مثل التي قبلها .

جـ ـ وأبو العبر ومحمد بن حكيم كانا– كما قال الحصري– يتعمدان قلب الكلام رقاعة وتماجنا وتملحا ، وأبو العبر هو الذي كتب لبعض إخوانه : "أما قبلُ: فأَحكِم بنيانَكَ على الرمل ، واحبس الماءَ في الهواء ، حتى يغرق الناسُ من العطش ، فإنك إذا فعلتَ ذلك أمرتُ لك كل يوم بسبعة آلاف درهم ، ينقص كل درهم سبعة دوَانق " .

وذكر أبو العبر أنه كان يختلف وهو حدث ، مع أحداث مثله إلى رجل

= والوابلة : طرف رأس العضد والفخذ . والخلب : الظُّفر . والشراسف : الغضاريف المتعلقة بالأضلاع اللسان (ج زل) و(طَسَا) . و(وبل) و(خلب) و(شرسف) .
(١) ص : ١٨١ .

يعلمهم الهزل ، فكان يقول لهم : " أولُّ ما تريدون قلبُ الأشياء"، فكنا نقول إذا أصبح : كيف أمسيتَ، وإذا أمسى : كيف أصبحتَ (..... ولكلامه بقية)(١) . .

وهذا يدلك على أن الفكاهات كانت يومئذ فنا يعلَّم ، وله أصول تفهَّم ، وشيوخٌ يؤخذ عنهم ، وأبو العبر نفسه أحد فحول الفكهين في العصر العباسي

والجامع بين هذه الأصناف الثلاثة الأخيرة من الفكاهات : (اللحن , التقعر . الغلط) هو قضية :"البيان " ، كما كان الجامع بين الثلاثة الأولى هو : قضية "العقل"، وكما كانت السخرية من الحمق والخرق وما اتصل بهما إعظاما لنعمة العقل ، فإن السخرية من العي واللحن ، وما ألحق بهما تعظيم لنعمة البيان ، والعقل والبيان قرينان ، فالعقل هو البيان المستور، والبيان هو العقل الظاهر .

●●●

٧ ـ ومن فكاهات الطمع و التطفيل(٢) :

أ ـ " وجدت إمرأة أشعب دينارا فأتته به فقال : إدفعيه إليَّ حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين ، فدفعته إليه فصار يدفع إليها في كل أسبوع درهمين ، فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه فقال لها : مات في النفاس . قالت : ويلي عليك كيف يموت الدينار ؟ ! فقال لها : الويل لك على أهلك . كيف تصدقين بولادته ، وتنكرين موته في نفاسه ؟!".

ب ـ " ونصب أبو الحارث حمير مع رفقاء له قدرا وجعل فيها لحما ، فلما

---

(١) انظر فى الفكاهات السابقة : ص : ٨٠ ، ٨١ .
(٢) انظر فى أصل إطلاق لفظ «طفيلى» : البخلاء : ٧٨ .

تلهوجت(١) نشل بعضهم قطعة وقال : تحتاج إلى ملح ، ونشل آخر قطعة وقال : تحتاج إلى أبزَار، ونشل آخر قطعة وقال : تحتاج إلى بصَل ، فرفع أبو الحارث القدر وقال : والله تحتاج هذه القدر إلى لحم " (٢)

جـ ـ " أراد قوم من البصرة الجمع فقال أحدهم : عليَّ الطعام ، وقال أحدهم ، عليَّ الشراب ، وقالوا ما عليك أنت يا أبا إسحاق قال : لعنةُ الله عليَّ إذ لم آكل وأشرب معكم ؛ فضحكوا منه ومضوا به ".

د ـ " دخل طفيلي عرسا ثم يقدر على الدخول ؛ فأخذ قرطاسا وأدرجه ولم يكتب فيه شيئا، وسأل عن العروس(٣) هل له قرابة غائب ؟ فقالوا : أخوه ، فكتب عنوان الكتاب : من فلان بن فلان إلى أخيه ، وجاء فدق الباب ، وقال معي كتاب من أخي العروس، فخرج العروس مبادرا فأدخله وأحضر له الطعام . فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله . تراه نسي أسمي إذ لم يكتبه على الكتاب ؟ فقال الطفيلي: وأعجبُ من هذا أنه لم يكتب داخله شيئا من العجَلة . فعلم مراده وأدخله."(٤)

***

٨ ـ ومن فكاهات البخل والشح :

أ ـ " وطبخ بعض البخلاء قِدرا فقعد هو وامرأته يأكلان ، فقال : ما أطيب هذا القدر لولا الزحام ! قالت : أي زحام هنا ؟ ! إنما أنا وأنت !قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر ".

(١) اللهوجة : ما دون النضج فى الطعام . وشِواَء ملهوَج لم ينضج . اللسان (لهج)
(٢) ص : ٢١٥ ، ٢١٦ .
(٣) العروس : نعت يستوى فيه الرجل والمرأة . اللسان (عرس) . وانظر فى معنى لفظ «العُرس» و«العروس» البخلاء : ٢١٣ . (٤) راجع الفكاهات الثلاث ص : ١٩٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

ب ـ " وقال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام ، وأغلق الباب . فقال : يا مولاي هذا خطأ. إنما يقال : أغلق الباب ، وهات الطعام ، فقال له ، أنت حر لوجه الله ؛ لمعرفتك بالحزم ".

جـ ـ " كسا مزبد المديني امرأته قميصا ، فشكت إليه غلظه وخشونته ، فقال : أترينه أخشَن من الطلاق ؟ ".

د ـ " ومن أظرف ما قيل في بخيل :

وأخٍ مسَّـهُ نــزولِي بقَرْحٍ   مثلما مسَّني من الجوعِ قرحُ

قال إذ زرتُ وهو في شدَّة السَّكْــرةِ بالهم طافحٌ ليس يطفُو:

لِمْ تغربتَ قلت : قال رسولُ اللـــه والقولُ منه نصحٌ ونُجْحُ:

سافروا تغنمُوا فقال : وقد قا   لَ تمامَ الحديثِ: جُوعُوا تَصِحُّوا

هـ ـ " " اشترى مزبد رأسين فوضعهما بين يدي امرأته ، وقال : اقعدي نأكل . فأخذت رأسا فوضعته خلفها وقالت : هذا لأمي . فأخذ مزبد الرأس الآخر ووضعه خلفه وقال : هذا لأبي ، قالت : فماذا نأكل ؟ قال : ضعي راس أمك ، وأضع رأس أبي " (١)

وفكاهات التطفيل والبخل من أحر الفكاهات ، وطبقتا الطفيليين والبخلاء من أظرف الطبقات في باب الفكاهة ، وأطرف أهل التطفيل وأظرفهم جميعا " أشعب " ، الذي نال درجة : أمير الطفيليين »(٢) ، أما البخلاء فهم كثير .

والطفيليون هم صعاليك الحَضَر، رأوا لأنفسهم حقا في طعام الممتلئين البِطَان، كما رأى الصعاليك الأُوَل لأنفسهم حقا في مال الأغنياء الكانِزين ، غير أن

(١) ص : ٢١٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٦١ ، وانظر : ص : ٧٨ ، ٧٩ ، ١٥٢ .
(٢) جمع الحصرى بعض فكاهاته فى الجمع : ٦٦ ـ ٧٣ .

الصعاليك أخذوا ما رأوه حقا لأنفسهم بأيديهم وسيوفهم ، وأخذه المتطفلون باحتيالهم وذكائهم . وقد " عُوتب طفيلي على التطفيل فقال : والله ما بنيت المنازل إلا لتُدخل ، ولا نصبت الموائد إلا لتُؤكل ، وإني لأجمع في التطفيل خلالا : أدخلُ مجالسا ، واقعدُ مستأنسا ، وأنبسِطُ وإن كان رب الدار عابسا ، ولا أتكلفُ مغرَما، ولا أنفِقُ درهَما، ولا أُتعِب خادما " (١).

وفي وصية ابن دراج لأصحابه من أهل التطفيل ، وهي لهم كرسالة عبد الحميد إلى الكتاب !! يقول :" لا يهولنكم غلقُ الأبواب ، ولا شدةُ الحجاب ، ولا عنفُ البواب ، وتحذيرُ العقاب ، ومبارزة (في زهر الآداب : منابذة) الألقاب ؛ فإن ذلك صائر بكم إلى محمودِ النوال ، ومُغْنٍ لكم عن ذل السؤال ، واحتملوا الوكزةَ المؤهنة ، واللطمةَ المزمنة ، في جنب الظفَرَ بالبُغية ، والدركِ للأمنية ، والزموا الطوزجةَ للمعاشرين ، والخفةَ بالواردين والصادرين ، والتملقَ للملهين والمطربين ، والبشاشةَ بالخدم والموكلين ، فإذا وصلتم إلى مرادكم فكُلوا محتكرين ، وادخروا لغدكم مجتهدين ، فإنكم أحق بالطعام ممن دُعِي إليه ، وأولى ممن صُنِع له ؛ فكونوا لوقته حافظين ، وفي طلبه متمسكين ، واذكروا قول أبي نواس :

لِيُخْمسَ مالُ الله من كل فاجر ... وذِي بطنةٍ للطيباتِ أكُولِ (٢)

وفي آخر هذه الوصية الدليل على ما قلته من اعتقاد الطفيليين : أن لهم حقا في طعام ذوي البطنة الأغنياء . بل إن ابن دراج يرى نفسه ، وإخوانه من الطفيليين أولى بهذا الطعام ممن دُعِي إليه ، وممن صُنِع له!!، وينقل عن أبي نواس أن هذا الحق يبلغ في الوكَادَة مبلغَ أن يكون خُمسا ، كخُمّس الغنَائم !!!.

---

(١) جمع الجواهر : ٣٣٨ .
(٢) السابق : ٣٣٨ .

وبحث هذه الفكاهات ، في بابي التطفيل و البخل يفضي بنا إلى مسألة : "المال " ، وقضية الفقر والغنى ، والإسراف والعوز في هذا العصر، وهي دراسة اجتماعية اقتصادية ليس هذا موضعها .

•••

٩ ـ ومن فكاهات الأزواج و المحبين :

أ ـ " وكان احمد بن أبي طاهر قبيح الوجه ، وكان له جارية من أحسن النساء، فضحك إليها يوما فعبست في وجهه ؛ فقال لها : أضحك في وجهك فتعبسين في وجهي ؟ فقالت : نظرتَ أنت إلى ما سرك فضحكتَ ، ونظرتُ أنا إلى ما ساءني فعبستُ " .

ب ـ " طلب العتبي بعد ثمانين سنة أن يتزوج ، فقيل له في ذلك فقال : " أولادُ الزمان فسدوا ؛ فأردتُ أن أذِلهم باليُتم، قبل أن يذلوني بالعُقُوق" "

ومما حكاه الجاحظ :" وقالت امرأة لزوجها : ما لك إذا خرجتَ إلى أصحابك تطَلَّقْتَ وتحدثتَ ، وإذ كنت عندي تعَقَّدْتَ وأطرقتَ ؟! قال : لأنني أجِلُّ عن دقيقك، وتدقِّين عن جَليلي " (١)

جـ ـ " تعشق أبو القماقم(٢) السقاء قينة ، فبغث إليها : حضر عندي إخوان فابعثي إلي بجام "لوزينج" آكله على ذكرك، فبعثت به إليه . فلما كان من الغد، قال: أرسلي إلي بطبق "مازورد" آكله على ذكرك ، فقالت : جعلتُ فداك ، ذكروا : أن منبع الحب من القلب ، فإذا تناهى بلغ إلى الكبد ، وأنا أرى حبك لا يتجاوز معدتك. فقال : إنما فعلت هذا لأقوى على محبتك ، ألم تسمعي قول الشاعر :

(١) البيان والتبيين : ١ / ٣٠٥، ٢ / ٤٠ .
(٢) هي في البخلاء : ١٢٤ برواية تخالف ما هنا كثيراً .

إذا كانَ فى قلبِى طعامٌ ذكرتُهَا
وإن جعتُ لم تخطُر ببالِى ولا فكرِى

وإن كان هذا العــامُ قد قلَّ بقلهُ
فيقْبُحُ من يهــوَاكِ يا ربَّــةَ الخِدْرِ

و يزدادُ حبي إن شبعــتُ تَجددًّا
وإن جعتُ يوماً لم تكُوني على ذِكرِي (١)

•••

١٠ ـ ومن فكاهات المخنثين :

أ ـ " خرج مخنث في شدة الهاجرة ببغداد ، وهو وقت لا يتصرف فيه أحد ، فلقيه رجل فقال : لكم الليل ، ولنا النهار ، فقال : صدقتَ ، ولكن رأيتُ وجهك ، فظننته قطعة من الليل "

ب ـ " هبت ريح شديدة فقال الناس : قامت القيامة ، فقال ربْدة المخنث : يا حَمقاه . القيامة هكذا على البارد، بلا دابة ، ولا دجال ، ولا دخان ، ولا يأجوج ، ولا مأجوج " .

ورأى مخنث شيخا هرما ، فقال : عدمتهُ كأنه قصر ابن هبيرة ، ذهب رسمُه وبقي اسمه ".

جـ ـ ومن المخنثين الفكهين عبادة المخنث ، الذي كان خاصا بالمتوكل ، حتى أذن له أن يدخل عليه على كل حال ، وذكر الحصري بعض فكاهاته وملحه ومنها : أنه دخل على المتوكل " وهو نائم مع جارية سوداء كان يحبها ، فلما رآه أمرها أن

(١) انظر : ص : ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٤٠ ، ٣٣٦ ، وانظر : ٣٤١ .

تغطي وجهها ! فقال : يا أمير المؤمنين ومن معك ؟ قال : ويلك وبلغ فضولك إلى هذا الموضع ؟! ومدت الجارية رجلها؛ فبانت سوداء فقال : يا أمير المؤمنين تنام ورجلك في الخف !فقال المتوكل : قم عليك لعنة الله ، وضحك وأمر له بصلة .."

د ـ " قيل لمخنث : كم ورثت أختُك من زوجها ؟ قال : أربعةَ أشهر وعشرا . يريد العدة " (١) .

وهذان الصنفان الأخيران من الفكاهات (الأزواج و المحبون . والمخنثون) ، يجمعهما أنهما في وصف بعض سجايا الرجال والنساء وطبائعهما ، وسجايا وطبائع الساقطين بين الرجال والنساء ، لا هم إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء، وهم المخنثون !، وهم طبقة أوجدتها رخاوة الحضارة ، وميوعة الترف ، ورويت عنهم ملح وفكاهات كثيرة ، وربما وُضِع عليهم ، ووُلد لهم منها ما يشاكل طبائعهم ، ويصف ميولهم .

●●●

١١ ـ ومن فكاهات الأعراب :

أ ـ " مر أعرابي بأبي نواس وهو ينشد بعض الأمراء :

ويلي على نُجْلِ العيو ن النُّهْدِ والقُبِّ البطونْ
الكاتباتِ على الضميـــــر لنا بالسِنَةِ الجفُونْ

فقال الأعرابي : ويلُك أنت وحدك من هذا ! ، بل ويلي أنا ، وويل أبي وأمي ، وبني عمي ، وهذا الفاعل القائم بين يديك "يعني الأمير الذي كان ينشده أبو نواس .

(١) انظرها ص : ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ .

ب ـ " وقالت أعرابية لقاض قضى عليها : عظم رأسك فبعد فهمك ، وانسدلت لحيتك فانشمر عقلك ، وما رأيت ميتا يقضي بين حيين قبلك "

جـ ـ " وولى الحجاج أعرابيا على تَبَالَة(١) فجمع أهلها وقال : إن الأمير أوصاني عليكم ، و والله لا أحسن أن أقضي بين خصمين مرتين ، و والله لا أُوتَى بظالم ولا مظلوم ، إلا وضربته حتى أقتله ؛ فتناصف الناس بينهم "

د ـ " وابتاع أعرابي غلاما , فقالوا له : إننا نبرأ إليك من عيب فيه قال : ما هو؟ قالوا : يبول في الفراش, قال : إن وجد فراشا فَلْيَبُل ".

هـ ـ " وقال أعرابي لأبيه : يا أبت إن كبير حقك عليَّ لا يبطل صغير حقي عليك ، والذي تمُتُّ به إليَّ أمُتُّ بمثله ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكن لا يحل الاعتداء "(٢) .

وفكاهات الأعراب هي صورة نفوسهم وطبائعهم ، ومرآة حياتهم و معائشهم، وهي الوجه المقابل لفكاهات أهل الحاضرة ، التي غلبت على الأصناف المتقدمة .وقد امتدح الجاحظ فكاهات الأعراب ، وأحاديثهم الحلوة ، وقال إنها من أكثر ما يُعْجَبُ له (٣) .

وقال في موضع آخر :" وظرف الأعراب لا يقوم له شيء"(٤)، يعني في جودته وملاحته . وإنه لكذلك فهو من أحر الظرف وأطيبه، وأكثره طبعا ، وأبعده من التكلف، وأكثره اختصارا ، وأبعده عن حشو وإطالة ، وأكثره جرأة وأبعده من

---

(١) تبالة : بلد باليمن خصبة عن الجوهري . اللسان (تبل) . وفي أخبار الأذكياء : ٩٧ أن هذا الأعرابي هو : أبو العاج . وانظر : محاضرات الأدباء : ١ / ٩٦ .

(٢) انظرها في: ١٣٨ ، ١٨٨، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، وانظر : ١٧٥ وما بعدها .

(٣) انظر ما يأتي ص٩٨ (٤) البيان والتبيين ٣ / ٥١

رياء وخوف .

و قال الجاحظ :" وقد يتملح الأعرابي، بأن يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية ، كقول العماني(١) للرشيد، في قصيدته التي مدحه فيها

مَن يلقهُ من بطلٍ مسْرَنْدِ   في زَعْفَةٍ محكمة بالسرْدِ

تحول بين رأسه والكَرْدِ

يعني بالكَرْد : العنق"(٢) .

وذلك إنما يكون إذا تحضر الأعرابي وخالط أهل الحضر، فأدخل في كلامه بعضا من اللفظ غير العربي ، فيشتمل كلامه حيئذ على وجه جديد من الملاحة غير الوجه السابق ، مرده إلى إخلاف التوقع ، ومفارقة الطبع إذ لا يتوقع من الأعرابي اللفظ غير العربي ، وليس هذا في طبعه .و تكون الملاحة في زج اللفظ الأعجمي بين ألفاظ عربية أعرابية ليست من جنسه إذا كان اللفظ مكتوبا ، أو في طريقة نطقه إذا كان منطوقا ، كما يحاكي الريفي في زماننا كلام أهل الحضر .

وقد ذكر العقاد: أن كثيرا من علماء الأجناس البشرية يعتقدون أن القبائل الموغلة في البداوة والهمجية لا تضحك ولا تعرف الفكاهة ، وإنما عُرفت الفكاهة والضحك عندما ترقى الإنسان في سلم المدنية ، وابتعد عن الحياة الهمجية (٣) . ولا ريب في أن التفنن في الفكاهات من طبيعة الحضارة ، وكثير من الفكاهات التي ذكرتها هنا ، وكثير مما لم أذكره أيضا مما اقتضته حياة التحضر عند العرب ، بما فيها من ترف ورخاوة ، وجنوح إلى اللهو والدعة .

(١) هو : محمد بن ذؤيب بن محجَن لقب بالعمانيّ لصفرة لونه ، وهو بصريّ شاعر راجز من شعراء بني العباس . انظره في الأغاني : ١٨ / ٢٢٦ ـ ٢٣٣ وهوامشها .
(٢) البيان والتبيين ١/ ١٤٢ وانظرتفسير هارون في هامش (٣) منها .
(٣) انظر : جحا الضاحك المضحك : ٢٣ .

والعرب في بداوتهم لا يصدق عليهم ما نقله العقاد ؛ لأنهم في اليمن وما جاورها وأشبهها من حواضر العرب كانوا متحضرين أو أقرب إلى التحضر ؛ ولأنهم لم يكونوا بمعزل عمن جاورهم من الأمم المتحضرة مثل الفرس والروم ؛ ولأن باديتهم كانوا أصحاب طبائع نقية ، وفطر سوية دلتهم على كثير من الرذائل والفضائل ، فقام لهم هذا مقام التحضر، وباعد بينهم وبين البداوة الهمجية .

وعرفوا – من جملة ما عرفوه من الفضائل – فضيلة الضحك والسرور فعدوه من جملة القِرى . قال الجاحظ : " ..ولأن العرب تجعل الحديث و البسط ، والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القِرى ، ومن تمام الإكرام به . وقالوا : " من تمام الضيافة الطلاقةُ عند أول وهلة ، وإطالةُ الحديث عند المؤاكلة " " وذكر أشعارا في هذا المعنى منها قول الشاعر :

أضَاحكُ ضيفِي قبلَ إنزالِ رَحْلهِ
ويُخصِبُ عنــدي والمحَلُّ جَدِيبُ
وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثُرَ القِرَى
ولكنَّما وجهُ الكريمِ خصيبُ (١)

وأنا أظن أن الفكاهة لم تفارق الإنسان منذ وجد على هذه الأرض ؛ لأنها مركوزة في الطبائع والفطر كما قال الجاحظ ، حتى إن الصبي يضحك قبل أن يعقل من أمر الحياة شيئا ذا بال ، مع التسليم باختلاف موجبات الضحك بين البداوة والحضارة .

والأعراب الذين رويت عنهم الفكاهات والملح أكثرهم ممن استوطن الحاضرة

---

(١) البيان والتبيين : ١ / ١٠ ، ١١ ، والبيتان للخريمي : إسحاق بن حسان بن قوهي . انظر السابق: هامش (٢) ص : ١١ .

، أو نزلها لضرورة من ضرورات العيش ، ولكنهم يمثلون طبقتهم من أعراب البادية الذين لم ينزلوا الحاضرة . وقد حكى الجاحظ عن شداد الحارثي وكان خطيبا عالما ، أنه قال : " قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت يا سوداء ؟ قالت لسيد الحضر يا أصلع .قال : قلت : أولستِ سوداء ؟ قالت : أولستَ أصلع ؟ قلتُ : ما أغضبك من الحق ؟ قالت : الحق أغضبك . لا تشتم حتى تُرهب ، ولأن تتركه أمثل"(١). فالفطنة وروح الملحة لم تحرم منهما هذه الأعرابية في باديتها .

ولست أرتاب في أنه كان للعرب في بداوتهم ملح وفكاهات ، في مجالسهم وأنديتهم التي كانوا يسمرون فيها ، وأن كثيرا منها لم يصلنا وابتلعته الصحراء ، كما ابتلعت كثيرا من آدابهم وأخبارهم .وأكثر ما وصل عنهم في ذلك إنما هو : ما أثر عنهم في الحواضر حين نزلوها وخالطوا أهلها ، أو ما نقله عنهم الرواة الذين نزلوا البوادي، وشافهوا الأعراب .

•••

١٢ ـ ومن الفكاهات المنقولة عن الأمم الأخرى :

أ ـ " وفي كتاب للهند : أن ناسكا كان له سمن وعسل في جرة ، ففكر يوما فقال : أبيع هذه الجرة بعشرة دراهم ، فأشتري خمس أعنز ، فأولدهن في كل سنة مرتين ، فيبلغ النتاج في سنتين مائتين ، وابتاع بكل أربع بقرة ، وأزرع ، وينمى المال في يدي ، فأتخذ المساكن والعبيد ، ويولد لي ولد ، فأسميه كذا ، وآخذه بالأدب ، فإن هو عصاني ضربت بعصاي رأسه ـ وكانت في يده عصا فرفعها كالضارب ـ ، فأصابت الجرة ، فانكسرت ، وتبدد السمن والعسل "(٢) .

(١) رسالة فخر السودان على البيضان : رسائل الجاحظ : ١/ ١٧٨ .
(٢) ص : ١٨٤ والحكاية في العقد : ٤/ ٣٨٢ . وانظر جمع الجواهر : ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٣٠٦ .

١٣ ـ وختم الحصري الكتاب بصفحة ونصف في : نوادر تُحكى عن غير الإنسان !:

أ ـ " قيل لإبليس لعنه الله : ماذا لقيتَ من المتعلمين ؟ قال : التعلم يُنسيهم ، وهم يلعنونني !!"

ب ـ " قيل للعقرب : لم لا تَشَمَّسين في الشتاء مع الناس ؟ قالت من كثرة إحساني إليهم في الصيف "

جـ ـ " وقف جدي على مكان ، فمر به ذئب فشتمه ، فقال له : لم تشتمني ، إنما شتمني المكان الذي أنت فيه "

د ـ" نظر كلب إلى رغيف فقال له : إلى أين قال : إلى النهروان ، قال : فإن تركتك فابلغ إلى مرو " (١) .

والمنقول من فكاهات الأمم الأخرى في جمع الجواهر قليل جدا ، وإنما عددتُها في صنوف الفكاهات ؛ ليعرف أن سائر ما عداها من الفكاهات عربي النتاج .

والجاحظ يروي في كتبه كثيرا من الملح المنقولة عن الأمم الأخرى ، وقد أشار في الحيوان إلى نوادر "ديسموس" الموسوس اليوناني ، صاحب النوادر العجيبة ، وقال : إن الحكماء يروون له أكثر من ثمانين نادرة ، ما منها نادرة إلا وهي من عيون النوادر ، وذكر الجاحظ منها أربعا (٢). .

أما الفكاهات المروية عن غير الإنسان !!، فهي مما وضعه الإنسان على لسان

(١) انظر ص : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
(٢) انظر الحيوان : ١ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

غيره من الحيوان ، وأظن أنها أو أكثرها من المنقول من كتب المترجمة مثل : ابن المقفع ، وسهل بن هارون ، و أضرابهما .

وقد ذكرت ها هنا أمثلة من صنوف الفكاهات والملح التي كثُرت نماذجها في كتاب : جمع الجواهر ..، وتنوعت . وهناك صنوف أخرى من الفكاهات لم تبلغ نماذجها من الكثرة والتنوع ما بلغت الصنوف التي ذكرتها ، منها :

فكاهات : أهل الصنائع بألفاظ صنائعهم(١) ، و فكاهات : اللصوص(٢) ، والأطباء(٣) ، والفقهاء(٤) ، والقضاة (٥) ، وفكاهات العيوب الجسدية(٦) ، وفكاهات : اللغز ، و المعاريض(٧) ، وإخلاف التوقع(٨) ، والمنام(٩) ، والحيلة(١٠) ، والأماني(١١) ، وغيرها.

وهذا التصنيف الذي صنعته للفكاهات إنما هو : تصنيف موضوعي طبقي ، أي : قائم على أساس المعاني و الموضوعات التي عبرت عنها الفكاهات ، وطبقاتِ من نقلت عنهم الفكاهات ورويت لهم .وليس تقسيما فنيا للفكاهة .

وقد حاول بعض الدارسين من العرب وغيرهم تقسيم الفكاهات والمضحكات ، ولكنهم جميعا معترفون بصعوبة التقسيم الجامع المانع ، وربما استحالته (١٢) ، حتى قال بعضهم : إن لدينا من أفانين الضحك ، بقدر ما لدينا من

---

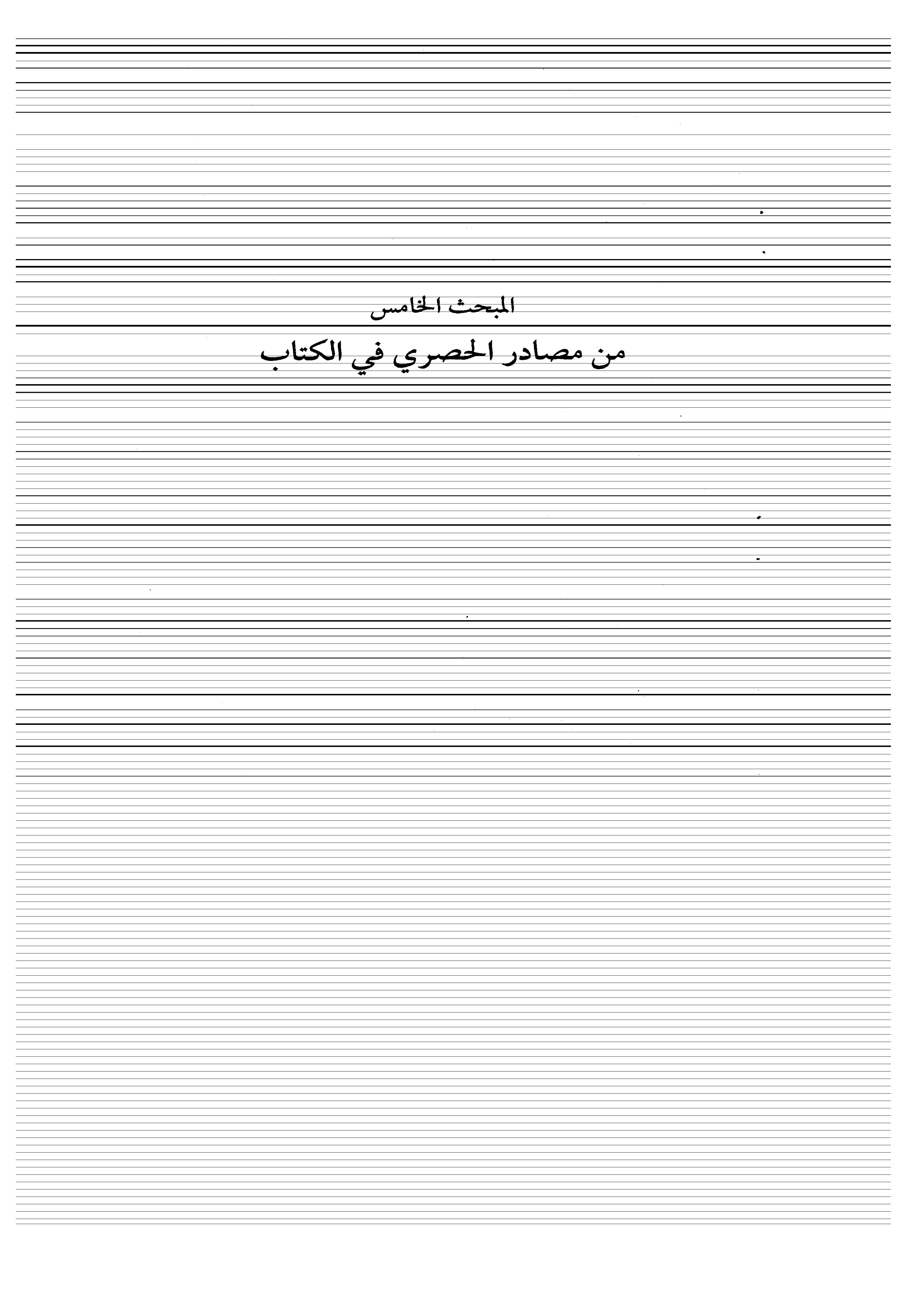
(١) ص : ١٤١ وما بعدها .
(٢) انظر ص : ١٩٥ ، ٢٤٨ .
(٣) انظر : ١٩٥ ، ٢٣٤ .
(٤) انظر : ١٩٦ ، ٢٣٠ .
(٥) انظر : ٢٣٣ .
(٦) انظر : ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ .
(٧) انظر : ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
(٨) انظر : ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٩) انظر : ١٠١ .
(١٠) انظر : ٥٦ ، ٥٧ .
(١١) انظر : ١٨٤ .
(١٢) انظر : الحوفى : الفكاهة فى الأدب : ٥ ، ١٠ . والعقاد : جحا الضاحك المضحك : ٧ ، ٨ . وشوقى ضيف : الفكاهة فى مصر : ١٥ ، ١٦ ،

نماذج بشرية (١) ، وهذا هو السبب في أنك تجد الفكاهات مروية عن سائر طبقات الناس، من الأنبياء، والأتقياء ، والعلماء ... إلى النوكى ، والموسوسين .

وإنه ليخيل إلي أن كل معنى من المعاني العقلية ، أو موقف من المواقف الإنسانية له وجهان : وجه جِد يراه الجادون من الناس ، ووجه هزل يراه الهازلون ، فيعمد الجادون إلى الوجه الجاد فيعبرون عنه ، ويعمد الهازلون إلى الوجه الهازل فيعبرون عنه . وسأعود إلى شئ من التقسيم الفني للفكاهات في المبحث الأخير : نقد الفكاهات في الكتاب .

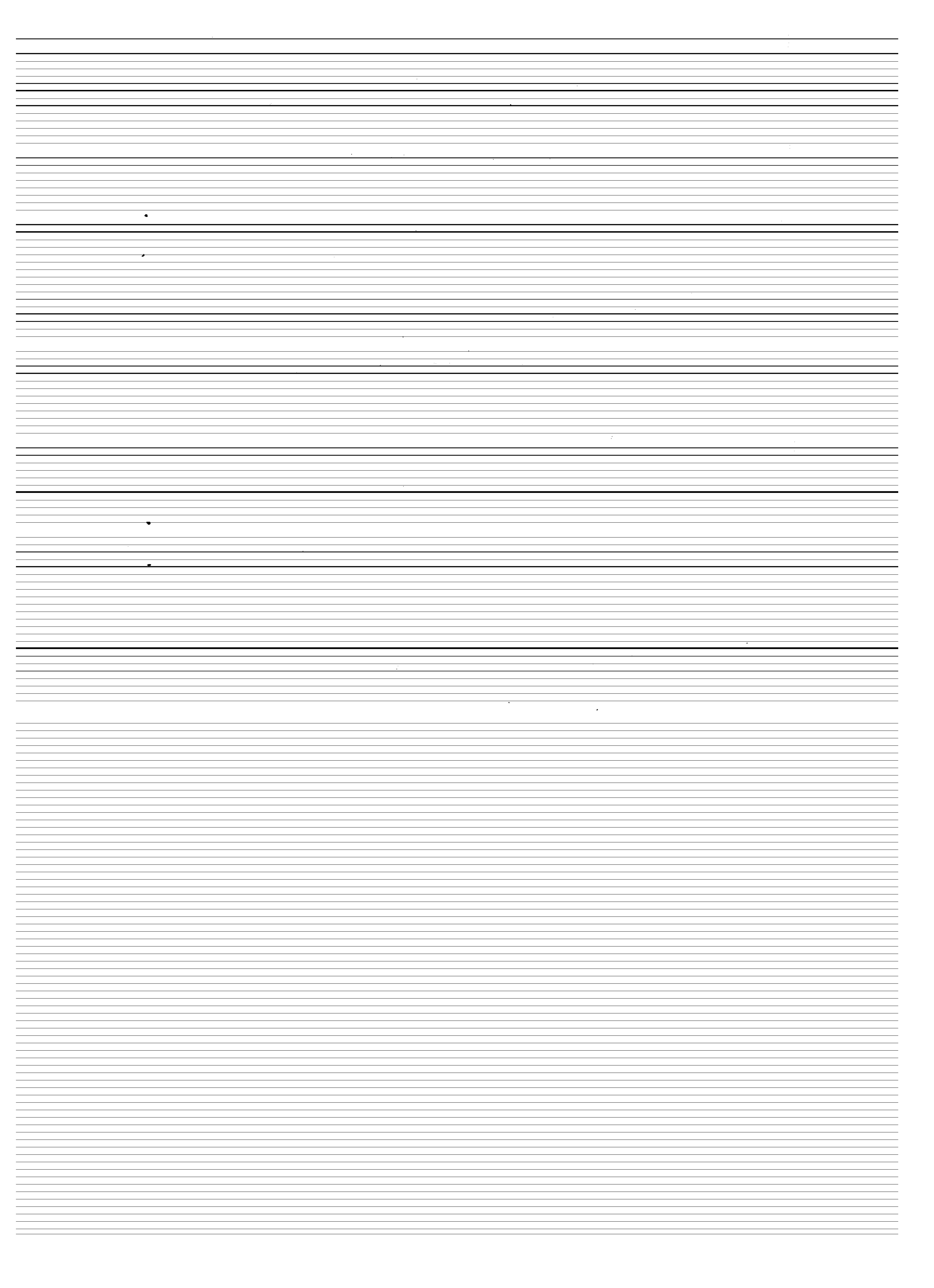
•••

(١) د.زكريا إبراهيم : سيكلوجية الفكاهة والضحك : ٢٦٥ .



المبحث الخامس

من مصادر الحصري في الكتاب



١

والحصري في أكثر الأقوال التي ذكرتها في مبحث : "نظرية الفكاهة " ، والفكاهات التي صنفتها في مبحث : " صنوف الفكاهات " – ناقلٌ عمن تقدمه من العلماء والأدباء ، منتفع بآرائهم ، آخذ من كتبهم ، وهو يصرح بالأخذ عنهم حينا ، ويدع التصريح حينا آخر .!!!

١ – فتقسيمه النوادر إلى حارة ، وباردة ، وفاترة ، منقول من قول أبي عثمان الجاحظ : " .. كما أن النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا ، وإنما الكرب الذي يختم على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا باردة ، وكذلك الشعر الوسط ، والغناء الوسط ، وإنما الشأن في الحار جدا ، والبارد جدا .

وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغن وسط، وأبغض من ظريف وسط " (١) .

وإذا وازنت بين نص الجاحظ هذا ، ونص كلام الحصري الذي نقلته في موضع سابق(٢) ظهر لك جليا أن الحصري أخذ فكرة الجاحظ كما هي ، وأكثر ألفاظه، وغير في بعض اللفظ : فعبارة : " الحارة جدا " في كلام الجاحظ جعلها

(١) البيان والتبيين : ١ / ١٤٥ .

(٢) انظر ما سبق ص : ٥٩ .

الحصري : " الحارة المنضجة "، وعبارة : " الباردة جدا" عند الجاحظ جعلها الحصري " الباردة المثلجة "،. وقول الجاحظ : " وإنما الكرب الذي يختم على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس .." ، صار عند الحصري :" وإنما الموت المحبب ، والسقم المغيب " . وقول الجاحظ " وكان محمد بن كاسب يقول "..جعله الحصري : " ومن أمثال البغداديين "، وابن كاسب بغدادي كما يلوح من كلام الجاحظ . وليس هذ التغيير الذي فعله الحصري من جنس ما تُمتلك به الفكرة ، أو يشارَك لأجله السابقُ في الفضل ، وينازع الإحسان . ولم يذكر الحصرى الجاحظَ فى هذا الموضع .

٢ - وقول الحصري : إن النادرة تحكى على هيأتها ، فلا تعرب إن كانت عامية، ولا يترك إعرابها إن كانت فصيحة أو أعرابية(١) ، هو مسبوق إليه بما قاله الجاحظ أيضا ، ومن بعده ابن قتيبة :

قال الجاحظ : " ومتى سمعت - حفظك - الله بنادرة من كلام الأعراب ، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها :بأن تلحن في إعرابها ، وأخرجتها مخارج كلام البلديين ، والمولدين ، خرجتَ من تلك الحكاية ، وعليك فضل كبير .

وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحُشوة و الطَّغام، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب ، أو تتخير لها لفظا حسنا ، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا ؛ فإن ذلك يفسد الاستمتاع بها ، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له ، ويذهب استطابتهم إياها ، واستملاحهم لها "(٢)

(١) انظر ما سبق ص :٦٠ .

(٢) البيان والتبيين ١/ ١٤٥ ، ١٤٦ .

هكذا قال في البيان و التبيين .

وكان قال بهذا القول قبلُ في الحيوان(١) حين حكى كلاما غير معرب لأبي إسحاق بن سيار النظام في خطاب كلب ألح عليه في طريقه-وكان الجاحظ بصحبته - قال النظام في جملة كلام : " إن كنت سبْعٌ فاذهب مع السباع ،وعليك بالبراري والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم " .

قال الجاحظ : " و لا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون من قولي : إن كنت سبعْ . ولم أقل سبعا "! وأنا أقول : إن الإعراب يُفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يُفسد كلام الأعراب ؛ لأن سامع الكلام إنما أعجبته تلك الصورة ، وذلك المخرج ، وتلك اللغة وتلك العادة ، فإذ أدخلْت على هذا الأمر الذي أضحك بسخفه، وبعض كلام العجمية التي فيه ـ حروفَ الإعراب والتحقيق والتثقيل ، وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته "(٢) .

وهذا الذي قال به أبو عثمان- رحمه الله- قال به من بعده – وكأنه منه أخذ- ابن قتيبة – رحمه الله ـ قال : " واللحن إن مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه ، وأردنا منك أن تتعمده ؛ لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه ، وشاطر النادرة حلاوتها . وسأمثل لك مثالا : قيل لمزبد المديني وقد أكل طعاما كظّه _ قِي .قال : ما أقي ؟ أقي نقا ولحم جدي ! مَرَتي طالق لو وجدتُ هذا قيا لأكلته". ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالإعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ، واستبشعها سامعها، وكان أحسن أحوالها أن يكافئ لطف معناها ثقل

(١) ألف الجاحظ البيان . بعد الحيوان . انظر مقدمة هارون للبيان والتبيين : ١/ ١٥ .

(٢) الحيوان ١ / ٢٨١ ، ٢٨٢ .

ألفاظها .." (١).

والجاحظ وإن كان له فضل السبق والتقدم ، فإن في كلامه زيادة على ما في كلامي ابن قتيبة ، و الحصري فقد جمع الفضيلتين : السبق والزيادة .

وكأني بأبي إسحاق الحصري قد لفَّق كلامه من مجموع كلامي الجاحظ وابن قتيبة وإن لم يصرح بالرواية عنهما ، وكلامه أقرب إلى كلام ابن قتيبة ؛ لاتفاقهما في رواية ملحة مزبد ، مع ما بينهمامن اختلاف لفظي في روايتها ، وإن كان أصل المعنى واحدا ، وهو روايتها ملحونة غير معربة .

٣ ـ وقول الحصري : إن الهزل يُحتاج إليه في موضعه(٢)، كما أن الجد يحتاج إليه في موضعه . هي قضية الجاحظ التي دافع عنها دفاع الرجال ، وناضل دونها نضال الأبطال ، وتبعه في ذلك ابن قتيبة وغيره :

ذكر الجاحظ معاصره إبراهيم بن هانئ ، وحكي طرفا من كلامه الذي مال فيه إلى المجون ثم قال : " وكان ماجنا خليعا ، وكثير العبث متمردا ، ولولا أن كلامه هذا، الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجد ، لما جعلته صلة الكلام الماضي . وليس في الأرض لفظ يسقط البتة ، ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن "(٣).

وقد مر بك قوله : " .. إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني ، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع ، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ ، والشريف من المعاني "(٤)

(١) عيون الأخبار : ١ ص : ك من المقدمة . (٢) انظر ما سبق ص ٥٣ ـ ٥٩ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٩٣ . وهامش (٤) منها .

(٤) انظر : ص ٥٤ في الحاشية .

ودفاع الجاحظ عن الفكاهة والضحك أوضح وأصرح في مقدمة كتابه " البخلاء "، وهو رائد كتب الفكاهة عند العرب . قال :" ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء :تبينُ حجة طريفة ، أو تعرفُ حيلة لطيفة ، أو استفادةُ نادرة عجيبة. وأنت في ضحك منه إذا شئت ، و في لهو إذا مللت الجد .

... ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك ، وقبيحا من المضحك ، لما قيل للزهرة و الحِبَرة ، والحَلْي والقصر المبني : كأنه يضحك ضحكا . وقد قال الله تعالى جل ذكره : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (١) . فوضع الضحك بحذَاء الحياة ، و وضع البكاء بحذاء الموت ، وإنه لا يضيف الله إلى نفســـــه القبيح ، ولا يمن على خلقه بالنقص .

وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ؟ ومن مصاحبة الطباع كبيرا؟ وهو شيء في أصل الطباع ، وفي أساس التركيب ؛ لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي ، وقد تطيب به نفسه ، وعليه ينبت شحمه ، ويكثر دمه الذي هو علة سروره ، ومادة قوته .." (٢).

وإذا عدت إلى تأمل دفاع أبي عثمان وجدت أنه يستخدم فيه قواه جميعا : قوة جنانه، وقوة بيانه ، وقوة ثقافته ، وقوته في الجدل والحجاج والاستدلال . ويحتج لسيوغ الفكاهة ،وقوة الحاجة إليها بدليل من الشرع ، ودليل من العقل ، ود[illegible] اللغة : أما دليل الشرع فلأن الله جعل الضحك بحذاء الحياة كما قال ، وكأنه يريد أن يقول : إن ما وضع بإزاء الحياة يكون لازما لزوم الحياة . وأن [illegible] في جملة ما امتن به على خلقه ، والله لا يمن على خلقه بال[illegible] لا يكون مما لايحتاج إليه.

(١) النجم : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) [illegible]

وأما دليل العقل فلأن الضحك -كما قال- شيء مركوز في أصل الطباع ، بدليل أنه يظهر من الطفل قبل أن يكلف ، وقبل أن يُعمل اختياره ، وكأنه يريد أن يقول : إن ما ركز في الطباع ، ولزم في أصل الخلق ، كيف لا يكون محتاجا إليه من المخلوق ؟.

وقد أصاب أبو عثمان ، وأجاد وأبدع ، فالنفوس السوية ، والطبائع السليمة تألم للمؤلم ، وتُسَر للسار ، وتبكي للمحزن ، وتضحك للمضحك ، وهذا كله باب واحد ، والأصل فيه واحد .

وليس شئ يحتاج إليه الخاص والعام ، والسيد والمسود ، والعالم والجاهل ، والحاضر والبادي ، مثل الضحك وأنس القلب وسرور النفس ، والضحك لا يكون إلا مما يضحك منه وهو : الفكاهات والملح .وكان أرسطو يرى : أن الملاهي تطهر النفس كما تطهرها المآسي (١) .

ومتى كانت الفكاهة من لبيب فطن ، ومثقف درب ، اشتملت -مع ما فيها من أنس النفس ، ومسرة القلب- على حسن الفائدة ، وجودة العائدة ؛ فكانت صقالا للعقل والنفس جميعا ، وزادا للرأس والروح معا ؛ ولذا تعلق الأشراف بخاص المجالس التي توضع فيها مؤونة التحفظ ؛ لما يكون فيها من طرائف وظرائف، وفكاهات وملح ، و شوارد ونوادر :

روي أن هشام بن عبد الملك شكا ما يجده من فقد الأنيس المأمون الخلوة ، الذي تُترك عنده النفس على سجيتها ، فقال : " أكلتُ الحامض والحلو ، حتى ما كاد أجدلهما طعما ، وأتيتُ النساء حتى ما أبالي أَمرأةً لقيتُ أم حائطا ؟!، فما بقيت لي لذة إلا وجود أخ أضع بيني وبينه مؤونة التحفظ "

(١) جحا الضاحك المضحك : ٥٤ .

وقال معاوية لعمرو بن العاص : ما اللذة ؟ قال : تأمر شباب قريش أن يخرجوا عنا، ففعل ، فقال : اللذة طرح المروءة . وقد صدق عمرو : ما تكون الزماتة والوقار إلا بحمل على النفس شديد "(١) .

ومما يدل على استحسانهم الفكاهة ؛ لأنها في أصل الطبائع والفطر أنهم ضاقوا بضدها وهو : الثقل والجهامة ، وعابوا الثقيل الكز من الناس ، وأفردوا أحاديث لثقلاء ذموهم فيها، كما أفردوا أحاديث لملحاء مدحوهم فيها .وجعلوا للثقلاء بابا ، كما جعلوا للظرفاء بابا .ومما رواه ابن قتيبة في " باب الثقلاء " :

"قيل لأيوب : ما لك لا تكتب عن طاووس ؟ ، فقال : أتيته فوجدته بين ثقيلين : ليث بن أبي سليم ، وعبد الكريم بن أبي أمية " . و" كان أبو هريرة إذ استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له ، وأرحنا منه "

"وقال بختيشوع الطبيب للمأمون : لا تجالس الثقلاء فإنا نجد في الطب : مجالسة الثقيل حُمَّى الروح .وقال بعض الشعراء :

إني أجالِسُ معشرًا نَوْكَى أخفهمُ ثقيلُ
قومٌ إذا جالستَهم صَدئَت لقربهمُ العقولُ
لا يُفْهمونني قولَهُم ويَدِقُّ عنهم ما أقُولُ
فهمُ كثيرٌ بي وأعلمُ أنني بهمُ قليل "(٢)

وقال الجاحظ : " وكان يقال : تركُ الضحك من العجب أعجبُ من الضحك بغير عجب "(٣) ، قلتُ : لأنه مفارقة لما ركز في الطباع ، وما وقر في الفِطَر .

(١) رسائل الجاحظ : ١/ ١٤٦ .

(٢) عيون الأخبار : مج ١ / ٣٠٩ . وقول جالينوس في زهر الآداب؛٢ / ٨٦٣ .

(٣) البيان والتبيين : ٢ / ٨٣ .

وفي هذا النص من كلام الجاحظ معنى آخر وهو : أن الإضحاك يكون حيث يكون التعجب من الشيء ، وأن المألوف المتوقع وما تتقبله الأنفس دون توقف فيه أو تعجب منه لا يكون فيه إضحاك ، وبالتالي لا يعد من الفكاهات والملح .

وهذا المعنى هو أصل الأصول في نظرية الفكاهة ، وعليه بنى كثير من علماء الغرب نظريتهم في الفكاهة والضحك ، وقد أعود إليه .

و الجاحظ ـ وهو تجريبي النزعة في أكثر مؤلفاته ـ ينصب من نفسه معيارا– كما ترى – لحاجة الطبع السليم إلى الفكاهة ، واحتياج النفس السوية إلى الضحك ، في قوله " ..وأنا استظرف أمرين استظرافا شديدا . أحدهما : استماع حديث الأعراب ، والأمر الآخر : احتجاج متنازعين في الكلام وهما لا يحسنان منه شيئا ، فإنهما يثيران من غريب الطيب ما يضحك كل ثكلان وإن تشدد ، وكل غضبان وإن أحرقه لهيب الغضب .."(١) .

وحُق لأبي عثمان أن ينصب من نفسه معيارا في موضوع يعود إلى سلامة الطبع ، واستقامة الفطرة ، فقلَّ أن يُزاحم الشيخ في هذا.

ـ وأما دليل اللغة ـ وهو أعجب استدلاله ـ فلأنهم لما استحسنوا من الزهرة المتفتحة ، والثوب المخطط المذهَّب ، والذهب المصوغ المشكَّل ، والقصر المشيد– ألوانَهَا وحُسنَها لم يجدوا أفضل في التعبير عن استحسان ما استحسنوه منها من أن يقولوا : هي تضحك .

وكأنه يريد أن يقول : إن الضحك لو كان مما يُعاب لما وضعه واضع اللغة في هذا الموضع من الاستحسان الشديد ، والرضى الذي لا مزيد عليه .

---

(١) الحيوان : ٣/ ٧ .

وقول الجاحظ : " وليس في الأرض لفظ يسقط البتة ، ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن " – من دقائق النظرية البيانية ، و لا تكاد تجده عند غير أبي عثمان – رحمه الله – . وهو يريد أن يقول: إن المعوّل عليه في أمر الألفاظ هو المقامات التي تُقال عندها ، والسياقات التي تُساق فيها ، والمواضع التي تُطلب لها ، والمعاني التي يعبر عنها بها ، لا ذوات الألفاظ فقط.

فإذا وافقت الألفاظ مقاماتها ، وسيقت في سياقاتها ، وحلت في مطمئن مواضعها ، وطابقت معانيها التي جيء بها لأجلها – جاءت مرضية محمودة ، وسائغة مقبولة ، وقد تكون في أنفسها بخلاف ذلك ، وهذا ينتهي بنا إلى قضية النظم ونظرية المقام والسياق .

ونظرية (المقام والسباق) هي ما يمكن أن يفسر على أساسه قول الجاحظ السابق : إن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني ، وإن السخيف من الألفاظ والمعاني يمتع في بعض المواضع ، بأكثر مما تمتع الألفاظ الجزلة الفخمة ، والمعاني الكريمة الشريفة .

وتلك هي القاعدة التي يصلح لأجلها أن يكون الهزل في بعض المواضع جدا، أو معدودا من الجد ، أو أن يكون وُصلة للجد ، وتتمة له ، أو أن يكون نافعا نفع الجد ، مطلوبا كما أن الجد مطلوب .وهذا هو مراد الجاحظ بقوله : إن كلام إبراهيم ابن هانئ –وهو هزل– يدخل في باب الجد ؛ فوَصل هو به الجد . لا أن الهزل يفارق طبعه، ويصير في نقسه جدا.

وقول الجاحظ : إن " الضحك أول خير يظهر من الصبي ، وقد تطيب به نفسه، وعليه ينبت شحمه ولحمه ، ويكثر دمه الذي علة سروره ،ومادة قوته "،– وهو

شيء انتفع فيه فيما يبدو بمقالات أطباء عصره- مما توسعت فيه الدراسات الأوربية الحديثة التي تناولت الضحك عند الأطفال ، وركزت على الجوانب النفسية (السيكلوجية) ، والعضوية (الفسيولوجية) من موضوع الضحك والفكاهة عندهم.

٤ - ورأي الحصري السابق في أن الاستطراف مبني على إخلاف التوقع ، والخروج على ما يعرف ، وأن الشيء إنما يستطرف ويضحك منه ، إذا جاء ممن لم يكن يتوقع مجيئه منه ، أو كان يتوقع منه ضده(١) . هذا الرأي أصله فصل جيد جدا لسهل بن هارون رواه عنه الجاحظ في : البيان والتبيين ، قال فيه سهل :

لو خطب رجلان أو تحدثا ، أو وصفا ، أو احتجا ، وكان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة ، وفي وزن واحد من الصواب ، وكان لأحدهما جمال وجلال وحسنُ لباس وحَسَب ، وكان الآخر قميئا قليلا ذميما باذ الهيئة مجهولا خامل الذكر ، لحكم الناس للثاني منها على الأول ، مع تساويهما في إحسان القول ؛ لمكان الاستطراف ، ولأن تعجبهما من بذاذة الثاني ، وخموله يصير إعجابا به .

ثم بنى على هذا الرأي وعلل له فقال : " .. لأن الشيء من معدنه أغرب ، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم ،وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبدع .

وإنما ذلك كنوادر كلام الصبيان ، وملح المجانين ؛ فإن ضحك السامعين من ذلك اشد ، وتعجبهم منه أكثر ، والناس موكلون بتعظيم الغريب ، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الراهن ، وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى ، مثل

---

(١) انظر ما سبق ص :٥٤ .

الذي لهم في الغريب القليل ، وفي النادر الشاذ ، وكل ما كان في ملك غيرهم .

وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم ، والأصحاب في الفائدة من صاحبهم ، وعلى هذا السبيل يستطرفون القادم عليهم ، ويرحلون إلى النازح عنهم ، ويتركون من هو أعم نفعا ، وأكثر في وجوه العلم تصرفا ، وأخف مؤونة وأكثر فائدة ، ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق ، والطارف على التليد " (١).

وقد أطلت بنقل كلام سهل لنفاسته في نفسه ، ولأهميته في موضوع : نظرية الفكاهة ، و بيان ما للتراث العربي فيها من إسهام ومشاركة .وسهل معدود في أساتذة الجاحظ ، و نقل عنه الجاحظ كثيرا في كتبه ، ونقوله عنه تدل على تقديمه له ، وتعظيمه إياه .

٢

وأبرز الذين كتبوا في نظرية الفكاهة قبل أبي إسحاق الحصري ، وجمعوا من نصوصها ما جمعوا ،و تأثر هو بهم أكثر من غيرهم ، ونقل عن كتبهم ، أو عمن نقل عنها ، بأكثر مما نقل عن سواهم ثلاثةُ رجال : أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ)، وابن قتيبة (٢٧٦هـ)، والمبرد(٢٨٥هـ):

والجاحظ ـ كما عرفت فيما مَرَّ ـ هو فاتح باب الفكاهة في الأدب العربي ، ثم دخل وراءه ، وسلك سبيله ، واقتفى أثره كل من جاء بعده . وربما كان الجاحظ هو أول من نص على أن " المُلَح " فن من فنون الأحاديث ، و باب من أبواب الأدب ، في قوله : " ..ومن هذا الجنس من الأحاديث وهو يدخل في باب المُلَح. "...(٢)

(١) البيان والتبيين ١ / ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) البيان والتبيين ١ / ١٩٩ .

وقوله : " ..وقد روينا نوادر من كلام الصبيان ، والمحَرَّمين من الأعراب ،ونوادر كثيرة من كلام المجانين ، وأهل المِرَّة من الموسوسين ، ومن كلام أهل الغفلة من النوكى ، وأصحاب التكلف من الحمقى ـ فجعلنا بعضها في باب الاتعاظ والاعتبار ، وبعضها في باب الهزل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل " (١). .

وجعل الجاحظ " الظرفاء والملحاء" طبقة من عداد الطبقات ، كالخطباء والنساك وغيرهم ، ونقله عن أولئك كما نقل عن هؤلاء في قوله . ":وسنذكر أيضا بقية أسماء الخطباء، والنساك ، والظرفاء، والملحاء ، إن شاء الله "(٢).

وأنا أظن أن الذين جعلوا الفكاهات بابا من أبواب كتبهم ، أو فصلا من فصولها، بعد الجاحظ مثل ابن قتيبة وابن عبد ربه قد انتفعوا بهذه الاشارات ، ناهيك بمن ألفوا فيها كتبا مستقلة كالحصري وغيره .

وهو ـ أى الجاحظ ـ أول من فتح باب الاحتجاج للفكاهة ، وناضل دونها، مستعينا بقدرته الهائلة على الجدل ، ومُكنته الشديدة في باب الاحتجاج ، فقال في احتجاجه الطويل لنفسه وكتبه ، في أول كتاب الحيوان ، وهو احتجاج عجيب وطويل انحدر فيه إنحدار السيل ، وصال فيه صولة الفحل ، :

ـ "وقلتَ : وما بال أهل العلم والنظر ، وأصحاب الفكر والعبر ، وأرباب النحل، والعلماء، و أهل البصر بمخارج الملل ، وورثة الأنبياء ، وأعوان الخلفاء ـ يكتبون كتب الظرفاء، والملحاء ، وكتب الفراغ ، و الخلعاء، وكتب الملاهي ، والفكاهات ..."(٣) .

(١) البيان والتبيين : ٢ / ٢٢٢ . (٢) السابق : ١ / ٣٨٥ .

(٣) الحيوان : ١ / ٢٥ .

وقال : " وعبتني بكتاب : الملح والطرف(١) ، وما حر من النوادر وبرد ، وما عاد بارده حارا لفرط برده ، حتى أمتع بأكثر من إمتاع الحار . وعبتني بكتاب : احتجاج البخلاء ، ومناقضتهم للسمحاء ..»(٢). وقال أيضا : " وعبتني برسائلي ، وبكل ما كتبت به إلى إخواني وخلطائي، من مزح وجد ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف.. ومن ملح تضحك ، ومواعظ تبكي .. "(٣).

وكأني بهذا العائب لكتب أبي عثمان ، ولما فيها من الاشتغال بالهزل والفكاهات ، ورواية كلام الفكهين والهازلين والمبطلين - هو الذي فتح للجاحظ بابَ هذا الاحتجاج . ونصرةُ الجاحظ لنفسه وكتبه ، هي التي جرته إلى نصرة هذا الباب من أبواب الأدب ، وهو باب الفكاهة . ورب انتصار للنفس ، بحق أو بباطل ، فتح بابا من أبواب العلم كان مغلقا ، و مهد سبيلا إلى نصرة حق ، كان غير ممهد .

وكان من جملة ما قاله الجاحظ في الرد على عائبه : " وهذا كتاب موعظة وتعريف ، وتفقه وتنبيه . وأراك قد عبته ، قبل أن تقف على حدوده ، وتتفكر في فصوله ، وتعتبر آخره بأوله ، ومصادره بموارده .

وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من مزح لم تعرف معناه ، ومن بطالة لم تطلع على غورها ، ولم تدر لم اجتلبت ، ولا لأي علة تكلفت ، وأي شيء أريغ بها . ولأي جد احتمل ذلك الهزل ، ولأي رياضة تجشمت تلك البطالة .

(١) لا أعرف للجاحظ كتابا اسمه الملح والطرف إلا أن يكون أراد رسالة التربيع والتدوير وكانت تسمى كما قال الحصري رسالة المفاكهات ، ورسالة : الجد والهزل التى كتب بها لابن الزيات وقد أشرت إليها فى مقدمة البحث .

(٢) الحيوان : ١ / ٣ ، ٤ . وهو يشير بهذا إلى كتابه البخلاء . انظر مقدمة البخلاء : ١ .

(٣) نفسه : ١ / ٧ .

ولم تدر أن المزاح جِد إذا اجتلب ليكون علة للجد ، وأن البطالة وقار ورزانة إذا تكلفت لتلك العاقبة .ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه ، حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يتوصل إلى ما يحتاج إليه ، إلا بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه .." (١)

وكان قال في موضع آخر : "وللضحك موضع ، وله مقدار ، وللمزح موضع وله مقدار ، متى جاوزهما أحد، أو قصر عنهما أحد ، صار الفاضل خطلا والتقصير نقصا . فالناس لم يعيبوا الضحك إلا بقدر ، ولم يعيبوا المزح إلا بقدر . ومتى أريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشيء الذي له جعل الضحك ، صار المزح جدا ، والضحك وقارا " (٢)

وهذا الاحتجاج الطويل للفكاهة عند الجاحظ ، وإلحاحُه الشديد عليه، وتكراره في مواضع متفرقة من كتبه - يدل على أن المسألة كانت في عصره من مسائل الخلاف لا من المتفق عليه ؛ فانتدب نفسه لنصرة ما يراه حقا فيها كما انتدب نفسه لنصرة ما رآه حقا في كثير من مسائل الخلاف في عصره ، وأعانته على ذلك معتزليته وكلاميته .

والجاحظ مع هذا الاحتجاج الشديد للمُزاح ممن يرى الاقتصاد في المزاح ، والإقلال من الهزل ، يقول في رسالة المعاش والمعاد يخاطب أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد : " واقتصد في مُزاحك ؛ فإن الإفراط فيه يُذهب البهاء ، ويجرئ عليك أهل الدناءة ، وإن التقصير فيه يقبض عنك المؤانسين ؛ فإن مزحت فلا تمزح بالذي يسوء معاشريك "..(٣)

(١) الحيوان : ١ / ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) البخلاء : ٧ ، والفكاهة في الأدب : ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) رسائل الجاحظ : ١ / ١٢٨ .

وقد تأملت احتجاج من احتج للفكاهة والمزح بعد أبي عثمان الجاحظ ، وفيهم الحصري نفسه ، فرأيتهم جميعا لا يكادون يخرجون عما قال ، وإن اختلفت الألفاظ (١) .

وإذا كان الجاحظ يعد الرائد فى باب أدب الفكاهة لكثرة ما روي من نصوصها، ونقل من كلام أهلها ، فإنه يعد أيضا فيلسوف أدب الفكاهة ؛ لما غاص عليه من دقائقها ، وحرر من أصولها النظرية ، وناضل دونها .

والحصري يصرح بالنقل عن الجاحظ في مواضع معدودة من كتابه : جمع الجواهر .. (٢) . وفي هذا اعتراف منه بفضله ، ولكنه في بعض نقوله عنه ، لا يظهر كل ما لأبي عثمان من الفضل ، ولا يسند إليه كامل ما له من الرأي . ومن أمثلة ذلك قوله :

"كما حكى الجاحظ عن الشرقي بن القطامي : أن ابن أبي عتيق لقي عائشة رضي الله عنها على بغلة ، فقال : إلى أين يا أماه ؟ فقالت له : أصلح بين حيين تقاتلا . فقال : عزمت عليك إلا ما رجعت ، فما عسلنا أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة .

وهذه حكاية أوردها الشرقي ، لغله ، و دغَله على وجه النادرة ؛ لتحفظ ، ويضحك منها ، ويتعلق بها من ضعف عمله ، وقل عزمه ؛ فيكون ذلك أنجع وأنفع ، لما أراد من التعرض لعرض أم المؤمنين ، رضي الله عنها . "(٣)

(١) انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ص : ى ، ك من المقدمة . والمبرد : الكامل ٢ / ١ ، ١٩ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، والوشاء : الموشى : ١٥٣ ، والتوحيدى : الامتاع والمؤانسة : ٣ / ٢٧ .

(٢) انظر أمثلة فى جمع الجوامع : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣٦٦ .

(٣) جمع الجواهر : ٤ .

فظاهر هذا النص أن ما للجاحظ في هذا الخبر إنما هو نقل الحكاية عن الشرقي ، وأن انتقاد الحكاية ، والاستدراك عليها، إنما هو للحصري نفسه !! .

والحقيقة أن الجاحظ هو الذي تعقب هذه الحكاية ، وانتقد حاكيها ، بأكثر وأعمق مما في كلام الحصري ؛ فقد أوردها ، من غير أن ينسبها إلى الشرقي ، وإنما قال : " وقالوا : وقع بين حيين من قريش منازعة .. " ، ثم قال تعقيبا عليها :

.. "هذا ـ حفظك الله ـ حديث مصنوع ، ومن توليد الروافض ، فظن الذي ولّد هذا الحديث ، أنه إن إضافه إلى ابن أبي عتيق ، وجعله نادرة وملحة ، أنه سيشيع ، ويجري عند الناس مجرى الخبر عن أم حبيبة ، وصفية .

ولو عرف الذي اخترع هذا الحديث طاعةَ الناس لعائشة رضي الله عنها، لما طمع في جواز هذا عنها ...فأمر عائشة أعظم ، وشأنها أجل ، عند من يعرف أقدار الرجال والنساء من أن يجَوِّز مثل هذا الحديث المولد ، والشر المجهول ، والقبيلتين اللتين لا تعرفان .

..والحديث ليس له إسناد ، وكيف ، وابن أبي عتيق شاهد بالمدينة ، ولم يعلم بركوبها ، ولا بهذا الشر المتفاقم بين القبيلتين ؟ . ثم ركبت وحدها، ولو ركبت عائشة لما بقي مهاجري ، ولا أنصاري ، ولا أمير ، ولا قاض إلا ركب ؟ فما ظنك بالسوقة ، والحُشوة ، وبالدهماء ، والعامة .. "(1).

فإن كان الحصري قد وقف على هذا الكلام النبيل ، والاحتجاج الجليل للجاحظ ، ثم لم ينسبه إليه ، وعمى القول كما فعل ، فهو من العجيب المعيب ، وإن كان وقف على الرواية وحدها ، في غير هذا الموضع ، دون ما بعدها من كلام

---

(1) رسالة البغال : رسائل الجاحظ : ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

الجاحظ، فله عذره ، وخلاه ذم .

وللجاحظ من الفضل في باب الفكاهة بعد سائر ما تقدم ،أنه هو نفسه "منتج" فكاهات وملح ، و"منشئ" طرائف وظرائف ، و"صانع نوادر ولطائف" ؛ ولهذا يُعد في : "رواة الفكاهات" ، وفى " نقاد الفكاهات" ، وفى "مبدعي الفكاهات" أيضا .

وقد رأيته في كتبه إذا حكى الملح ، وروى الفكاهات حَمِيت نفسه و تطلَّقت، وتحركت روحه المرحة ، و توهج طبعه الفكِه ، فأورد ملحا هو صانعها ، أو مشارك في صنعها (١) . ولهذا قال عنه التوحيدى : «وإن هزل زاد علي مزبّد» (٢).

وهذا موضع فرق ظاهر بينه وبين ابن قتيبة والمبرد وابن عبد ربه والحصري : فالجاحظ مضحِك ضاحك ، يضحكك ، ويشاركك الضحك ، ويدخل عليك السرور، ويُسهم لنفسه منه بنصيب. أما الحصري فليس له في كتابه ملحة واحدة ، هو صنعها، أو أعان على صنعها ؛ ولذا بدا لي في كتابه رجلا جادِا جَهْماً ، يُضحك الناس ولا يَضحك ، ويبهجهم ولا يبتهج معهم .وقد أعود إلى إشباع هذه النقطة .

و قد أكثرتُ من الحديث عن الجاحظ في هذا المبحث لشدة اتكاء الحصري على آرائه ، ولأن الجاحظ بحق رائد الفكاهة في الأدب العربي نظرا وتطبيقا ، إبداعا ورواية كما ذكرت من قبل غير مرة .فلا يستغنى عنه أبدا في بحث يتناول الفكاهة في التراث العربي قديما أو حديثا .

وقد لا حظت أن بعض آراء الجاحظ وغيره في باب الفكاهة وافقت بعض

(١) انظر البيان والتبيين ٢ / ١٠٢ ، ٤ / ٢٥ ، ٢٦ . وانظر مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون للحيوان : ٧ ، ٨ .

(٢) المقابسات : ٥٥ نقلا عن البيان : ٢ / ١٠٢ .

ما عند علماء الغرب وفلاسفته : فقوله : إن الضحك معقود بالتعجب والخروج على المألوف ، وإنه لا ضحك إلا في المتعجب منه –وهو قول سهل بن هارون والحصرى أيضا– هو الأصل الذي بنى عليه هنري برجسون نظريته في الضحك (١). .وكذا بعض من جاء بعده من الباحثين الغربيين(٢)

وحديث الجاحظ عن أثر الضحك في نفس الصبي وما يفعله في لحمه وشحمه ودمه ، فيه تنبه إلى دور الجانبين : الفسيولوجي والسيكولوجي في تفسير ظاهرة الضحك والفكاهة – وهى قضية خلافية بين علماء الغرب وفلاسفته في العصر الحديث :بين من يرى أن الضحك ظاهرة نفسية فقط ، وأن لا علاقة لها بالجانب العضوي (الفسيولوجي) من الإنسان ، ومن يرى في الضحك ظاهرة فسيولوجية و سيكلوجية معا ، وأنه لا بد من دراسة العلاقة بين الجسم والروح ، على نحو ما تتبدى في ظاهرة الضحك(٣) . .

والجاحظ كما ترى يقول بالثاني من هذين الرأيين ؛ لأنه قال : إن نفس الصبي تطيب به ، وقد ينبت عليه شحمه ولحمه ،ويكثر به دمه الذي هو علة سروره ، فجمع بين الجانب النفسي والجانب العضوي ، وأبان عن أثر الثاني منهما في الأول .

وكذلك قوله : إن الضحك ظاهرة جمعية ، وإن الإنسان إذا ورد عليه ما يضحك، وهو خال منفرد ، لم يضحك إلا على النصف مما كان سيضحك لو كان في جماعة حيث يقول فى ختام واقعة له مع محفوظ النقاش : « .. فما ضحكتُ قط كضحكى تلك الليلة .. ولو كان معى من يفهم طيب ما تكلم به لأتى علىَّ الضحك ، أو قضى علىّ ، ولكن ضحك من كان وحده ، يكون على شطر مشاركة

(١) الضحك : ٢١ ، وانظر : الفكاهة فى مصر : ١٤ .

(٢) انظر : سيكلوجية الفكاهة والضحك : ١٧٩ .

(٣) انظر : سيكلوجية الفكاهة والضحك : ٣٧ .

الأصحاب "(١) . وهذا الرأي قد دلَّ الجاحظ عليه تجربته كما ترى . وقد ركز برجسون على هذا الرأي في نظريته عن الضحك ، وقال : " فضحكنا أبدا هو ضحك جماعة " (٢).

ولست أقطع بأن هؤلاء نقلوا عن الجاحظ أو غيره ، وإنما أقول تشابهت الآراء . وليس هذا على كل حال موضع دراسة مقارنة بين الفكاهة عند العرب وعند الغربيين ، وهو موضوع طريف .وعسى أن يقوم به غيري ممن هو أقدر عليه مني . وقد وجدت إشارة إلى كتاب في هذا الموضوع طبع سنة ١٩٥٦م ، وهو كتاب : " الفكاهة بين الشرق والغرب "(٣) ولم يتيسر لي الاطلاع عليه .

٣

و مما صرح فيه الحصري بالنقل عن ابن قتيبة : - بعد أن ذكر حكاية أم المؤمنين عائشة مع ابن رشيق المذكورة آنفا ، وقال : إنها مكذوبة عليها ، وإنه تجنب ذكر مثلها في كتابه وهو كثير ، حتى لا يدخل فيما أنكره ؛ " لأن الراوية أحد الشاتمين ، والسامع أحد القائلين ـ قال :

"وقد رام ابن قتيبة تسهيل السبيل في مثل هذا ؛ فقال :" مهما مر بك من كلام تنفر عنه نفسك ، فلا تعرض عنه بوجهك ، فالقول منسوب إلى قائله ، والفعل عائد إلى فاعله " .

---

(١) البخلاء : ١٢٤ . وانظر : الفكاهة فى الأدب : ٢٦٤ .

(٢) الضحك : ١٥ .

(٣) للدكتور : إبراهيم أحمد عبده ١٩٥٩ م . بنها ضمن مراجع : الفكاهة فى الشعر المملوكى لعاطف عبد اللطيف السيد أحمد . ماجستير . مخطوطة فى كلية اللغة العربية بالقاهرة رقم : ١٢٤٩ .

قلت : وليت شعري ، ما اللذة فيما يضحك منه من هو مُعرض عنه ، إلا أن يدخل في حد المستهزئين ، وحيز المتلاعبين؟؟ ..." (١) .

قلت أنا : وقد وهم الحصري وهما عجيبا في الرواية عن ابن قتيبة هنا ، ونقل كلام الرجل عن موضعه ، وصرفه عن وجهه، وأساء تأويله أو تفسيره . فنص كلام ابن قتيبة لم يرد في سياق وضع الفكاهات ، وافتعالها ، ورواية المكذوب المفتعل منها ، كما ظن الحصري ، وإنما ورد في سياق ذكر المزاح والفكاهة إجمالا ، وإيراد بعض ما نقل منهما عن الأشراف والأئمة قال :

"ولم أر صوابا أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون سوقتهم ، فوفيت كل فريق منهم قَسْمه ، ووفرت عليه سهمه . وأودعته طرفا من محاسن كلام الزهاد ، في الدنيا، وذكر فجائعها ، والزوال ، والانتقال ، وما يتلاقَوْن به إذا اجتمعوا ، ويتكاتبون به إذا افترقوا ، في المواعظ ، والزهد، والصبر، والتقوى، واليقين ، وأشباه ذلك ؛ لعل الله يعطف به صادقا ، و يأطر به على التوبة متجانفا ، ويردع ظالما ، ويلين برقائقه قسوة القلوب .

ولم أخلِهِ مع ذلك من نادرة ظريفة ، وفطنة لطيفة ، وكلمة معجبة ، وأخرى مضحكة ؛ لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون ، وعروض(٢) أخذ فيه القائلون ؛ ولأروح بذلك عن القارئ من كد الجِد ، ، وإتعاب الحق ؛ فإن الأذن مجاجة ، وللنفس حمضة(٣) . والمزح إذا كان حقا أو مقاربا ، ولأحايينه وأوقاته ،

---

(١) جمع الجواهر : ٥ . وانظر ص : ١٥٥ . (٢) العُروض : الناحية . اللسان (عرض) .

(٣) روى الزهري عن بعض التابعين : «الأذُن مجّاجة وللنفس حمَضة» أى شهوة كما تشتهى الإبل الحَمْضَ إذا ملّت الخَلّة . عن اللسان (حمض) .

وأسباب أوجبته ، ليس من القبح ، ولا من المنكر ، ولا من الكبائر ، ولا من الصغائر، إن شاء الله .

وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح و الفكاهة ، وما روي عن الأشراف ، والأئمة فيهما ، فإذا مر بك أيها المتزمت حديث تستخفه ، أو تستحسنه ، أو تعجب منه ، أو تضحك له ، فاعرف المذهب فيه ، وما أردنا به .

واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك ، فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددتَ محتاج إليه ، وإن الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك ، ؛ فيهيأ على ظاهر محبتك ، ولو وقع فيه توقي المتزمتين لذهب شطر بهائه ، وشطر مائه ، ولأعرض عنه من أحببنا أن يُقبل إليه معك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة ، تختلف فيها مذاقات الطعوم ، لاختلاف شهوات الآكلين ، وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة ، أو فرج ، أو وصف فاحشة ، فلا يحملنك الخشوع ، أو التخاشع ، على أن تصعر خدك ، وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم ، وإنما المأثم في شتم الأعراض ، وقول الزور، والكذب ، وأكل لحوم الناس بالغيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تعزى بعزاء الجاهلية فأعِضّوه بهَنِ أبيه ، ولا تَكْنُوا " .وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لبديل بن ورقاء– حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم . ":إن هؤلاء لو قد مسهم حر السلاح أسلمُوكَ"– : " اعضَضْ ببَظْر اللات ، أنحنُ نسلمه ؟!!"، وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه : " من يطل أيرُ أبيه ينتطِق به " ..(١).

(١) مقدمة ابن قتيبة لعيون الأخبار ص : ظ ، ك .

هذا . وقد أخذ الحصري معنى بعض كلام ابن قتيبة السابق من غير أن يصرح بأخذه فقال : " .. فما مر به ـ يعني الكتاب ـ من هذه النوادر، فلا تنظر إليها نظر المنكر ، فتعرض عنها صفحا ، وتطوي دونها كَشحا إذا وقعت فيها كلمة قذف، أو لفظة سخف ،.... . ولو كنت هنا إنما آتي بما فيه ركانة وأصالة ، دون ما فيه سخافة ورذالة ، لزال عن الملح اسمُها ، وارتفع عنها وَسْمُها ، وخرجت عن حدودها، وأُفلتت من قيودها ... "(١)

وإنما أطلت بنقل كلام ابن قتيبة ، -رحمه الله- لأمرين : ليعرف السياق الذي ورد فيه رأيه ، فيثبت وهم الحصري الظاهر في فهم كلام ابن قتيبة وتفسيره ، ولأن أكثر آراء ابن قتيبة في هذا النص قد سبقه إليها أبو عثمان الجاحظ ، فيما نقلته من آرائه قبلُ، وبهذا يعرف كيف تنتقل الآراء .

وقد عرفت أن الجاحظ -وهو المعتزلي الكلامي- قد بهرج حديث ابن أبي عتيق مع أم المؤمنين عائشة ، فكيف يرخص فيه ، أو في مثله ابنُ قتيبة وهو الفقيه المحدث السني ؟! .

ومما يوقف عنده أن ابن قتيبة جعل " باب المزح " وهو في نحو عشر صفحات(٢)، من جملة : "كتاب السؤدد" ، ووضعه بعد " باب الثقلاء" . أما جعله بعد "باب الثقلاء" فواضح ؛ لأنه المقابل له ؛ إذ الثقيل من الناس يقابله المازح الفكه . وأما جعله من كتاب السؤدد فهو يوافق ما قاله في النص السابق ، من أن المزح إذ جاء بمقداره ، وفي موضعه ، لا يعاب ولا يؤثم ، وإذا كان كذلك فهو لا يقدح في مروءة ، ولا ينقص من سؤدد .

---

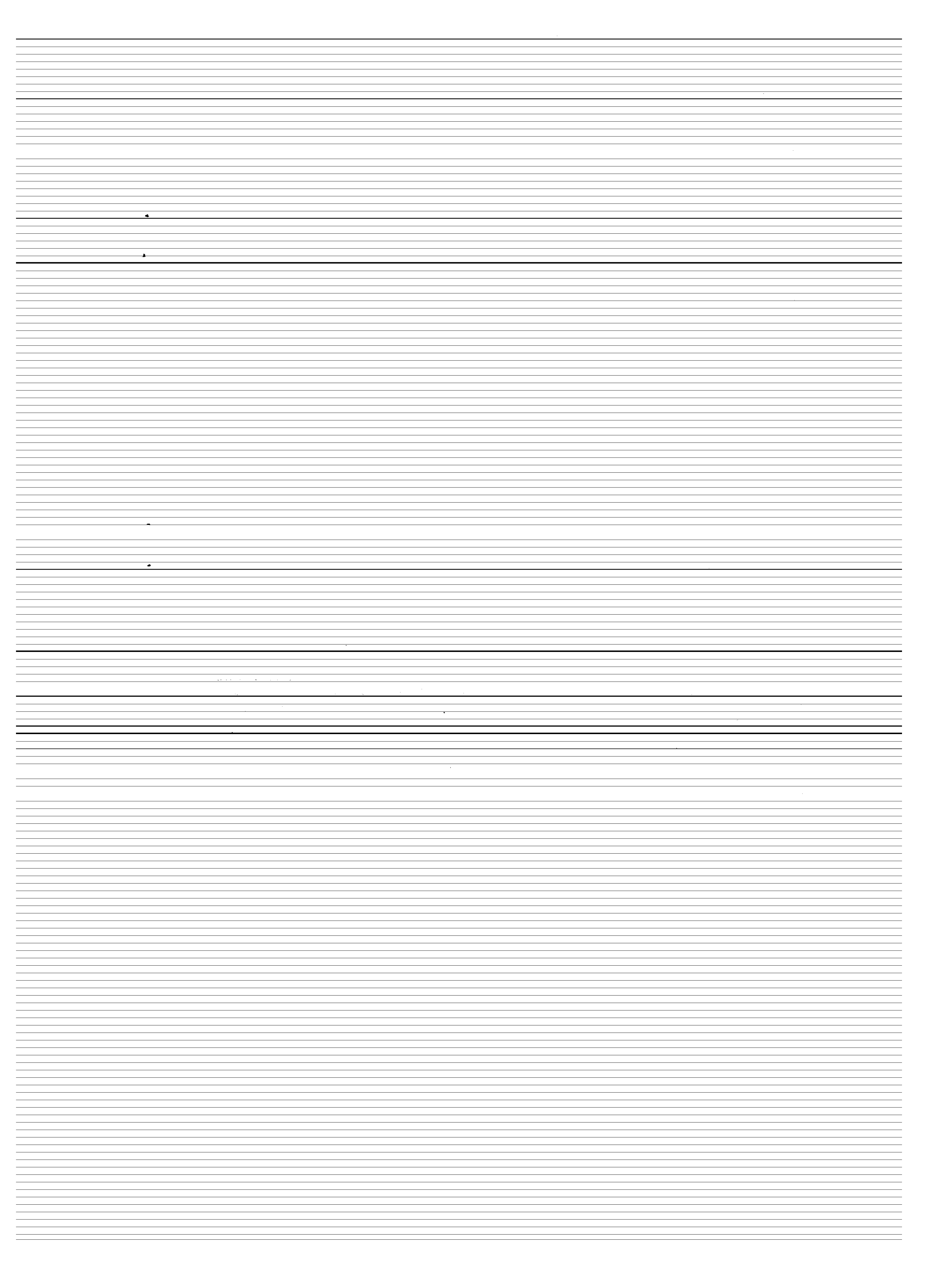
(١) جمع الجواهر : ٦٣ ـ ٦٦ .

(٢) انظر عيون الأخبار : مج ١ / ٢٠٩ .

وأما أبو العباس المبرد فإن الحصري صرح بالنقل عنه في ثلاثة مواضع من كتاب جمع الجواهر(١) ، ووجدته ينقل عنه الصفحة والصفحتين وأكثر ، ولا يكاد يغير إلا في القليل من اللفظ ، وإيراد النصوص كاملة هنا مما يطول به البحث بدون مقتض ، فمن شاء راجع وقابل بين النصوص ، والحصري قد صرح بأنه يروي في كتابه وينقل ، ويتخير وينتقي ، فنقله عن هؤلاء الثلاثة وغيرهم معلوم سببه .

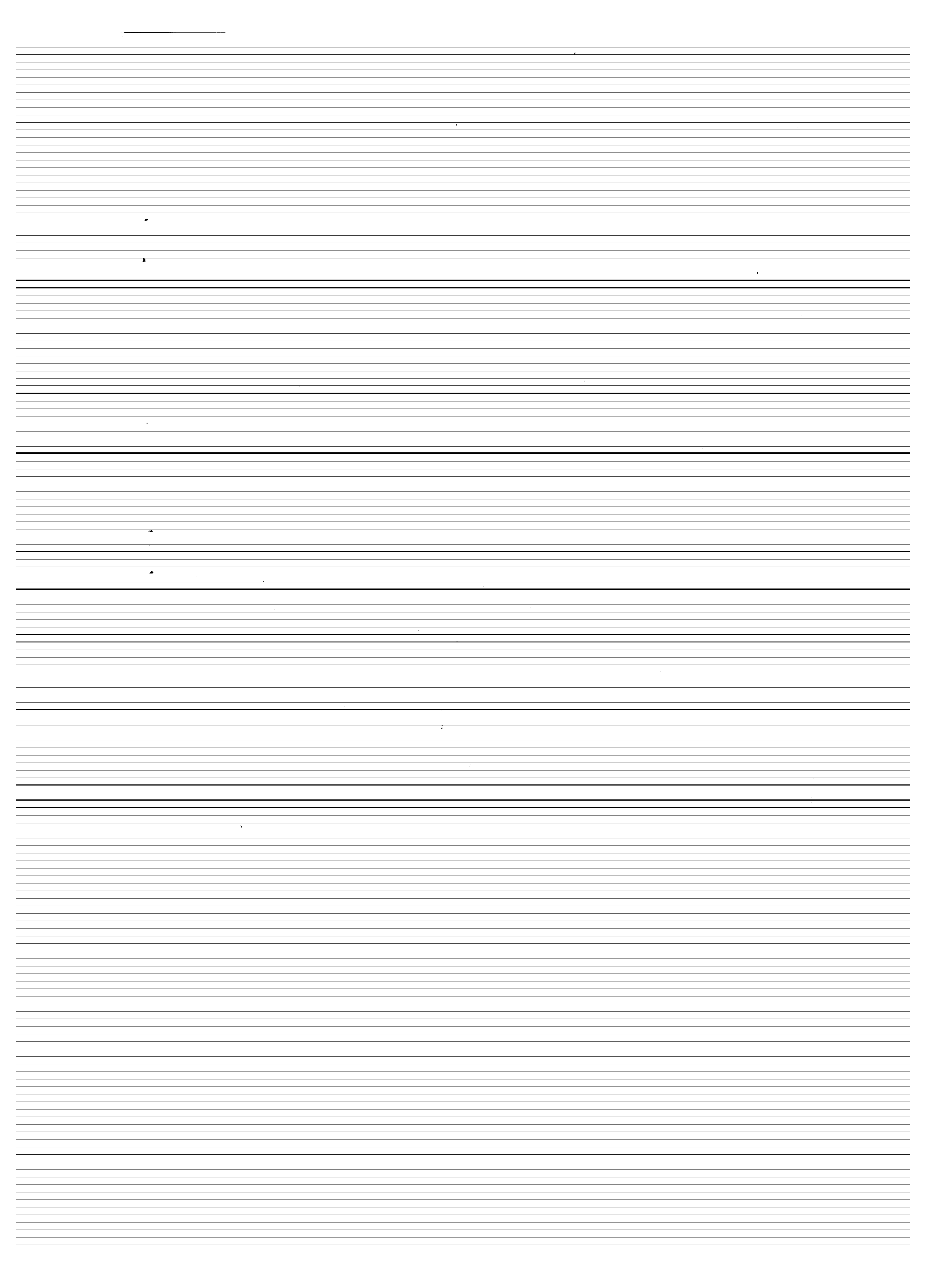
وكانت بين يدي الحصري قطعا- عدا كتب هؤلاء الفحول الثلاثة -كتب أخرى نقل عنها؛ لأن كتابه قد اشتمل على مادة غزيرة من أدب الفكاهة والجد ، الذي كان بعد زمان هؤلاء الأعلام الثلاثة ، في القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس. وتتبعُ كل رأي أو نص في كتاب الحصري من أين أخذه ؟، وما مصدره فيه؟ من غير الممكن ؛ ولهذا اخترت أن يكون عنوان المبحث :" من مصادر الحصري في كتابه" ، وليس مصادره في كتابه .

(١) الموضع الأول فى الجمع ص : ٥٠ ، ٥١ ، والكامل : ١ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، والموضع الثانى فى الجمع : ٥٢ ، والكامل ١ / ٣٧٨ . والموضع الثالث فى الجمع : ٥٤ ، ٥٥ ، والكامل ١ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ .



المبحث السادس

منهج الحصري في جمع الجواهر



١

ذكر الحصري في مقدمة الكتاب أنه لم يؤلفه من تلقاء نفسه ، و لا دعاه إليه هاجس من فكره ، وإنما طلبه منه ، واقترحه عليه رجل من أوِدائه وصفه ولم يسمِّه ، فقال :

"سألتَ أطال الله بقاءك ، وحرس إخاءكَ مَن زكا بسقي مودتك زرعُه ونما ، وعلا برعي محبتك فرعُه وسما ؛ فانقاد إليك قلبه بغير زمام ، وصح فيك حبه بغير سقام – أن يجمع لك كتابا في : جواهر النوادر ، وملح الملح ، وفواكه الفكاهات ، ومنازه المضحكات ، ترتاح إليه الأرواح ، وتطيب له القلوب ، وتُفْتَق فيه الآذان ، وتُشحذ به الأذهان ،ويُطلِق النفس من رباطها ، ويُعيد إليها عادة نشاطها، إذا انقبضت بعد انبساطها .. "[١]

وظاهر هذا الكلام أن الكتاب قد اقترح عليه تصنيفُه وتأليفه ، و موضوعُه ومادته .وقد تتبعت ترجمات الحصري ؛ لأقف على أحد ممن عرفهم أو خالطهم يصدق عليه ذلك الوصف ، وتنطبق عليه تلك النعوت فأعياني ؛ لندرة الأخبار وشحها في ذكر من اتصل بهم الحصري .

وإذا تأملتَ هذه الأوصاف والنعوت وجدتها تصدق على صديق أو حبيب ،

(١) جمع الجواهر : ١ ، ٢ .

بأكثر مما تصدق على ملك ، أو أمير ، أو وزير ؛ لأنه ذكر فيها المودة والمحبة ، وانقيادَ القلب ، وصحةَ الحب وهذا مما يكون بين الخلطاء من الأصدقاء ، و الأوداء من الأصحاب ، وإن كانوا ربما فعلوا هذا مع الولاة وأشباههم ، وخاطبوهم بمثل هذا تقربا وزُلْفى .

وكذلك فعل الحصري في تأليفه كتاب : "زهر الآداب" ، إلا أنه افصح فيه عن اسم من ألفه له ، فقال :

"وكان السبب الذي دعاني إلى تأليفه ، وندبني إلى تصنيفه ما رأيته من رغبة أبي الفضل : العباس بن سليمان ـــ أطال الله مدته وأدام نعمته ـــ في الأدب ، وإنفاقِ عمره في الطلب ، وماله في الكتب ، وأن اجتهاده في ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغمض في طلبها ، باذلا في ذلك ماله ، مستعذبا فيه تعبه ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره طرائف ظريفة ، وغرائب غريبة .

وسألني أن أجمع له من مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها ، وأضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه ، وشابهه وماثله . فسارعتُ إلى مراده ، وأعنته على اجتهاده ، وألفت له هذا الكتاب ليَستغني به عن جميع كتب الآداب ! !.." (١).

ولما كان الحصري قد ألف كتابه : جمعَ الجواهر بعد كتاب زهر الآداب – كما أشرت إلى ذلك من قبل– (٢) ؛ فإن هذه المادة الأدبية ، التي جاء بها أبو الفضل من المشرق العربي كانت –على الرجح– من جملة مادة الكتابين جميعا . وبين

(١) زهر الآداب : ١ / ٢ .

(٢) انظر ص : ٣٢

الكتابين مشترك كثير من الأشعار والأخبار تكشف عنه مراجعةُ فهارسهما ، والمقابلةُ بينها .

وقول الحصري أنه ألف كتابيه باقتراحِ من اقترَح عليه ، واستجابة لطلب من طَلب منه – طريقة جرى عليها كثير من قدامى المؤلفين والمصنفين ، وليس هذا بمحبط عملهم ، أو بناقص من فضلهم .وما زالت الحوافز تقدح من زناد العقل ، و الرغائب تحيي من موَات الهمم ، وما أظن هذا إلا عاما في جميع البشر ، وفي سائر العصور والأمم .

على أن الحصري – فيما يبدو –خالف هذه الطريقة في كتابه : " المصون في سر الهوى المكنون " ، وقال في مقدمته : " قال من رقت حواشي فهمه ، ودقت معاني علمه ...التقى أليفان نشآ في غِرَاس الصفا ، ورتَعا في ريَاض الوفَا .. "(١) ، فإن كان أراد بـ" من رقت حواشي فهمه .. نفسَهُ ، فقد دل بهذا على أن الكتاب من إنشاء خاطره وعقله ، ومن وحي خياله وفكره ، وروايته وحفظه ، لم يقترحه عليه أحد ، ولم يُدع إليه إلا بداع من نفسه . وليس بمستبعد أن يكون من وراء ذلك داع خفي دعاه ، وحافزٌ حفزه ثم لم يذكره .

٢

و جمع الجواهر –كما صرح الحصري– كتابٌ "اختيار ورواية" ، لا كتابُ "إنشاء وإبداع" . وهو اختيار "موضُوعي " لا "موسُوعي" ، اقتصر على موضوع محدد هو : الملح والنوادر ، وليس اختيارا عاما كما في كتاب : زهر الآداب . وإذا كان كذلك فإن ما للحصري أو عليه فيه إنما هو حسن التخير أو سوءه ،وجودة

(١) صورة مخطوطة عندى من المصون ص : ٢أ .

التأليف أو رداءته ، وصحة الرواية أو فسادها .

وقد وصف الحصري تنوع مادة الكتاب وإن كان موضوعه واحدا بقوله " : فأجبتكَ إلى مُلتَمَسك بكتاب كللتُ نظامه ، وثقلت أعلامه ، بذهب يروق سبكُ إبريزه ، ويرق حوكُ تطريزه ، من نوادر المتقدمين والمتأخرين ، وجواهر العقلاء والمجانين ، وغرائب السقاط والفضلاء ، وعجائبِ الأجواد والبخلاء ، وطرفِ الجهال والعلماء ، وتحفِ المغفلين والفهماء ، ونتَفِ الفلاسفة والحكماء ، وبدائع السؤال والقصاص ، وروائعِ العوام والخواص ، وفواكهِ الأشراف والسفلة ، و منازهِ الطفيليين والأكلة ، وأخبارِ المخانيث و الخصيان ، وآثارِ النساء والصبيان "(١) .وقد اجتهدت في إظهار هذا التنوع في مادة الكتاب في مبحث : صنوف الفكاهات .

والعادة جارية بإعلاء شأن الكتب التي أنشأها كاتبوها ، وأبدعها مؤلفوها ، وقلما يلحقون بها كتبَ الاختيارات والرواية في أبواب العلم والأدب المختلفة . والاختيارُ الجيد وإن لم يكن لصاحبه فيه من الفضل، مثل ما لصاحب الإبداع الجيد، إلا أن فضل صاحبه مما لا ينبغي أن ينكر ، وجهله مما لا يجوز أن يجحد ؛ فالاختيار من أعمال العقل ، وهو كما قيل : صورة عقل صاحبه(٢) .

ويكون الاختيار أصعب إذا كثر القول ، وغزرت المادة في الباب الذي يقع فيه الاختيار ؛ فيتداخل حينئذ الغث والسمين ، ويختلط الجيد والرديء ، ويمتزج الصحيح والسقيم . ومما ينسب إلى علي رضي الله عنه قوله : " كل شيء إذا كَثُر زاد إلا العلم فإنه إذا كَثُر قَلّ " . وقلته فيما حدثتك عنه ، من هذا التداخل ، والاختلاط ، والامتزاج .

(١) ص :٣ . وفي الأصل: «المخابيث» . والصواب ما أثبت وهو ما في مطبوعة الخانجي ص : ٢ .
(٢) الموشى : ١٦ .

وقد قال ابن عباس : " العلم أكثر من أن يحصى ؛ فخذوا من كل شيء أحسنه . وقال الشعبي : العلم كثير والعمر قصير ؛ فخذوا من العلم أرواحه ، ودعوا ظروفه "(١) . وعبارة الشعبي ناظرة إلى قول ابن عباس .وبهذا المعنى شرع التخير في الآداب والعلوم ، وحسنت الاستجادة فيهما عند الحفظ والتصنيف .

والغالب على الحصري في كتبه الاختيار والرواية والنقل (٢) ، وإن تفاوتت في هذا . ويضيق هذا البحث عن نقد طريقته في الاختيار في كتابه : حمع الجواهر نقدا متتبعا مستوعبا ، ولكني أقول إجمالا : إنه حسن الاختيار صحيح الذوق فيما يختاره، وإن كان يقع في ذلك دون طبقة فحول المتخيرين قبله ، مثل : الجاحظ، وابن قتيبة ، والمبرد ، وابن عبد ربه ، و أضرابهم .

وكما بنَى الحصري كتابه : جمع الجواهر على "الاختيار" بناه على "الاختصار"، فقال : .. وأتيتُ به على سبيل الاختصار، وطريق الاختيار ، وجعلته بتنوع الكلام كالمائدة الجامعة لفنون الطعام ؛ إذ همم الناس متفرقة ، وأغراضهم غير متفقة .. "(٣) فمن أركان منهجه فى الكتاب : الاختيارُ ، والاختصارُ ، والتنوعُ، وتشبيهه الكتاب بالمائدة ، والقراء بالآكلين من كلام ابن قتيبة ، وقد نقلته في موضع سابق !!(٤). .

وبناؤه الكتاب على الاختصار دليل على أنه كان بين يديه تراث حافل من أدب "الملح والنوادر" ، فاختار منه ما اختار ، ولم يورد كل ما وجد .

---

(١) السابق : ١٦ ، ١٧ .

(٢) انظر : زهر الأداب : ١ / ١ ـ ٤ .

(٣) جمع الجوامر : ٣ .

(٤) انظر ص : ١١٩

٣

قال: وجعلتُ الكتابَ : " مُدبَجا مُدّرجا(١) ، لتلذ النفس بالانتقال من حال إلى حال ؛ فقد جبلت على محبة التحول ، وطبعت على اختيار التنقل ....وقد قلت:

فرَّقتُ في التأليفِ معتمدا ما كانَ لو قد شئتُ يأتلِفُ

والعقدُ ما اختلفتْ جواهرُهُ إلا ليشــرِقَ حينَ يختلِفُ

إذ كان الشيء مع نظيره يذهب بنوره ، ويغض من بهائه ، ويخلق من روائه ، ... إلا أن تندرج الحكاية في الحكايات ، ويتسلسل البيت مع الأبيات ، فيكون الجمع أزين من القطع ، والتوصيل أحسن من التفصيل ؛ فأقرنها بأشكالها ، وأحملها مع أمثالها "(٢)."

" والدَّبْج : النقش والتزيين – فارسي معرب– ، والدَّرْج : جعل الشيء طبقات ومراتب ، لا طبقة واحدة ، ومنه : درج البناءَ إذا جعله طبقات لا طبقة واحدة(٣) .

ومعنى هذا أن الحصري تجنب عامدا طريقةَ التبويب المحكم ، والترتيب المتعمد ، ونثر الملح والنوادر في الكتاب نثرا وفرقها تفريقا ، إلا ما دعت الضرورة إلى جمعه و ضمه ووصله منها، وكذلك فعل ، فمنهجه في الكتاب إذن قائم على التفريقِ والاستطرادِ .

(١) يقال : دَرَجَ الشيء يدرُجُه درْجاً . وأدرجه : طواهُ وأدخله» . اللسان (درج) .

(٢) جمع الجواهر : ٦ ، ٧ .

(٣) لسان العرب : «دبج» و«درج» .

ومن غريب استطراده في الكتاب أنه أكثر الاستطراد في المقدمة ، فطالت جدا وأربت على الستين صفحة ، ولذا قال بعد مضي ثلاث و ستين صفحة من الكتاب : " وهذا حين أبتدئ متصرفا بك من بلاغة خطاب ، إلى براعة جواب ..إلخ"(١). ولو أُخليت المقدمة مما فيها من الاستطراد ،وقُصرت على ما هو من جنس التقديم لكتاب ما زادت على ثلاث صفحات ، أو أربع .

و الحصري في الاستطراد ، و إرسال النفس على سجيتها في التأليف جاحظي ما في ذلك شك ، والجاحظ هو شيخ هذه الطريقة : هو من أول من سنها في التأليف الأدبي ودافع عنها ، وكشف عن محاسنها (٢)، وكل من حاكاه فيها تطبيقا ، أو قال فيها نظريا بمثل ما قال ، فهو تابع له و آخذ منه .

ومن مظاهر الجمع والتوصيل ـــ الذي أشار إليه الحصري ـــ في الكتاب :

١ ـ أن يذكر ملحة لأحد الملحين ، فيتبعها بغيرها له ، فيجمع في الموضع الواحد بعضا من فكاهات الشخص الواحد، ومن أمثلة ذلك ما فعله مع أشعب(٣) ، وقد فعله مع غير أشعب أيضا .

٢ ـ أن يذكر الخبر إذا أشبه الخبر ، والحديث إذا أشبه الحديث ، والشعر إذا أشبه الشعر عملا بقاعدة : " الشيء يذكر بالشيء " وقد كرر هذا كثيرا في الكتاب(٤) .

وجمع الجواهر- بهذا- وسط بين الكتب التي أُلفت في الفكاهات والملح قبله

(١) ص : ٦٣ .

(٢) انظر : البيان والتبيين ١ / ١٨٦ ، ٢٠٦ .

(٣) ص : ٦٦ وما بعدها .

(٤) انظر : ص : ٧ ، ٦٩ ، ٩١ .

وبعده ، فهناك كتب نُثرت الفكاهات والملح في تضاعيفها نثرا ، وفُرقت فيها تفريقا ،فصارت كنِثَار الدر أو الزهر ، مثل : البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥هـ)، والكامل للمبرد(٢٨٥هـ) ، وكتب أخرى حُيزت فيها الفكاهات والملح ، فجُعلت بابا من أبواب الكتَاب ، أو فصلا من فصوله ؛ فسهل على الناشد طلبها ، وعلى الدارس حفظها ، والمتعلم علمها كما قال ابن قتيبة(١) ، مثل : عيون الأخبار لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٣٢٨هـ).وهذه وتلك كتب جِد خُلط بهزل، لم يُجعل الكتاب كله للفكاهات والملح .

وهناك كتب خالصة للفكاهات أو تكاد و منها ماركز على فكاهات طبقة من الطبقات وإن لم ترتبها مثل كتاب : البخلاء للجاحظ ، ،أو رتبتها وبوبتها تبويبا محكما مثل كتاب : أخبار الأذكياء لابن الجوزي (٢) (٥٩٧هـ) ، فإنه بوبه على تسعة وعشرين بابا ، من أبواب الفكاهـة ، على أساس المعـاني الفكهة ، وطبقات الفكهين .

وكتاب جمع الجواهر كما علمت مختص بالفكاهة بوجه عام لا بفكاهة طبقة بعينها ، ولكن الحصري لم يبوبه ولم يرتبه ، تبويبَ ابن الجوزي وترتيبَه لكتابه ، مع أن الفكاهات التي جمعها الحصري لو رُتبت وبُوبت ، لاستوعبت جل الأقسام والأصناف التي ذكرها ابن الجوزي في كتابه . فكتاب جمع الجواهر بمنهجه ومادته وسط بين تلك الكتب .

---

(١) مقدمة عيون الأخبار : ص : ى .

(٢) ظاهر العنوان أن الكتاب مختص بطبقة واحدة هى طبقة الأذكياء . ومضمونه يجعله كتابا فى الفكاهة بعامة ، والذكاء صفة لأزمة لجل طبقات الفكهين . وابن الجوزى ركز على فكاهة الطبقات فى كتبه : أخبار الظراف والمتماجنين ، وأخبار الحمقى والمغفلين ، وأخبار النساء . انظر مقدمة أخبار الأذكياء : ص : ط .

٤

وقد مزج الحصري بالهزل في كتابه شيئا من الجد وعلل لصنيعه هذا بقوله :

" ولا بد من توشيحه بلطائف من الجد ، وظرائف من القصد تتعلق بأغصانه ، وتتشبث بأفنانه ؛ ليكون استراحة للناظر ، و إجماما للخاطر . وكما يُمل الجد فيدخل فيه الهزل ، كذلك يُمل الرقيق فيحتاج إلى الجزل .. "(١)

وخلط الجد بشيء من الهزل تيسيرا على القارئ ، وتنشيطا له ، ونفيا للملال عنه من أصول منهج الجاحظ في التأليف ، وأركان مذهبه في التصنيف(٢) ، وقد استُحسن هذا منه ، وتبعه فيه من تبعه ، وخالفه من خالفه ، والحصري ممن تبعه.

ولما كان موضوع الكتاب الهزلَ والفكاهة خلطه الحصري بشيء من الجد ، وصنع فيه المقابل لصنيع الجاحظ حين خلط الجد بشيء من الهزل ، والعلة في الحالتين واحدة : التيسيرُ على القارئ ، ونفي الملال عنه ، بنقله من شيء إلى شيء ، لما جبلت عليه النفوس من محبة التنقل ، واستطراف التنوع .

والحديث إذا كان فنا واحدا أمل وإن كان طيبا مستجادا ، وكذلك المتحدث ؛ ولهذا قال معاوية للنخار بن أوس العذري : " ابْغِني محدثا " فقال : " أوَ مَعِي يا أمير المؤمنين ؟ " قال : " نعم استريحُ منكَ إليه ، ومنه إليك " (٣) .

وقد قال أبو العتاهية :

لا يُصلِحُ النفسَ إذ كانت مُدابِرةً ... إلا التنقلُ من حالٍ إلى حَالِ(٤)

(١) ص : ٦٦ .

(٢) انظر : الحيوان ١ / ٩٣ ، ٩٤ . والبيان والتبيين : ٣ / ٣٦٦ .

(٣) البيان والتبيين ٢ / ٨٩ .

(٤) زهر الآداب ١ / ٢ .

ولأنه جعل الجد وُصلة للهزل فقد تطول صفحات الجد في الكتاب حتى لتكاد تُنسى أنه كتاب فكاهة وهزل ، مثل حديثه عن المهلبي وأخباره في نحو تسع صفحات(١) ، وحديثه عن أبي فراس الحمداني و أخباره ، في نحو خمس صفحات(٢) ، وحديثه عن بشار وأخباره وشعره في نحو خمس صفحات(٣) ، وهكذا، ما أشبه هذا من الكتاب . وقد ترجم لبعض من ذكرهم فى كتابه من أعلام الفكاهة. وبعض ما يورده من الجد الرصين الجزل فيه رقة وملاحة ، تجعلانه غير منقطع تمام الانقطاع عما وُصِل به من فكاهات، وما مُزِج به من ملح(٤) .

وهذا المنهج : من التنقل من شيء إلى شيء ، ومن فن إلى فن ، أخذ به الحصري أيضا في كتابه : زهر الآداب .. ، فتصرف فيه -كما قال- من نثر إلى شعر، ومن مطبوع إلى مصنوع ، ومن محاورة إلى مفاخرة ، ومن مناقلة إلى مساجلة . وجمع فيه بين الجد المعجب و الهزل المطرب ، وبين الجزل الرائع و الرقيق البارع .

وقد يُلحق الشكلَ في الكتاب بشكله ، والنظيرَ بنظيره ، والمعنى بأخيه ؛ ليظهر في التفريق لذاذةُ الإمتاع ، وفي التجميع فائدةٌ الإجتماع (٥) .

فمنهجه في الكتابين واحد ، وطريقته هي هي ؛ إلا أنه في زهر الآداب مزج بالجد شيئا من الهزل ؛ لأن الكتاب في أصل تأليفه كتاب جِد ، وفي جمع الجواهر مزج بالهزل شيئا من الجد ؛ لأن الكتاب في أصل تأليفه كتاب هزل . ويخرج عن هذا النهج في كتابه : المصون في سر الهوى المكنون ؛ لأنه في معنى واحد هو :عاطفة

(١) من : ٣٢٧ ـ ٣٣٦ .
(٢) من : ٣٢٢ ـ ٣٢٧ .
(٣) من : ٣٤٤ ـ ٣٤٩ .
(٤) انظر مثالا على ذلك ص : ٦٩ ـ ٩٨ .
(٥) انظر : زهر الآداب : ١ / ١ ، ٢ .

الحب ؛ فالتنقل فيه يخرجه عن موضوعه ، على أني وجدت فيه جمعا بين جد أخبار الحب و الهوى ، وهزلهما (١) .

وأنا أظن أن ذلك المنهج في التأليف القائم على التنقل من جد إلى هزل ، ومن شعر إلى نثر ... إلخ من جملة ما تأثر فيه المغاربة بأدب المشارقة .

٥

ومن جملة منهج الحصري في الكتاب مزج كلام المعاصرين بكلام المتقدمين ، وأخبار اللاحقين بأخبار السابقين الأولين . وقد أشار إلى هذا وإلى ما يبتغيه من ورائه عند الحديث عن المهلبي (٢) ، فقال .. : " أذكر طرفا من ظريف أخباره ، وشريف آثاره ، وإنما أسلسل أخبار أمثاله ، من أشراف أهل العصر ، وأفراد الدهر ، تعمدا للذة الجدة ، ورونق الحداثة ؛ إذ كان ما لم يقرع الآذان أدعى إلى الاستحسان مما تكرر حتى تكدر "(٣) .

وكان قد ذكر هذا المعنى من قبلُ في كتاب زهر الآداب بكلام أطول من هذا فقال : " .. وإن كنتُ قد استدركت على كثير ممن سبقني إلى مثل ما جريتُ إليه ، واقتصرتُ في هذا الكتاب عليه ، لملح أوردتها كنوافذ السحر ، وفِقَر نظمتها كالغنى بعد الفقر ، من ألفاظ أهل العصر ، في محلول النثر ومعقود الشعر .

(١) انظر : فصل مخطوطة المصون وآثرها فى ابن حزم ص : ١٦٣ ـ ٢٠١ من رسالة أبو إسحاق الحصرى القيروانى لمحمد بن سعيد الشويعر، حديث الحب بين الحصرى وابن حزم : ٢٠ ـ ٥٠ .

(٢) هو : أبو محمد الحسن بن محمد بن إبراهيم . من ولد لمهلب بن أبى صفرة وزر لمعز الدولة أحمد بن بوية الديلمى سنة ٣٣٩ هـ . و «كان من سروات الناس وأدبائهم وأجوادهم وأعزائهم» انظر جمع الجواهر : ٣٢٨ ، واليتيمة : ٢ / ٢٠٢ .

(٣) جمع الجواهر : ٣١٧ .

وفيهم من أدركتهُ بعمري ، أو لحقه أهل دهري ، ولهم من لطائف الابتداع ، و توليدات الاختراع أبكارٌ لم تفترعها أسماع ، يصبو إليها القلب والطرف ، ويقطر منها ماء الملاحة والظرف ، وتمتزج بأجزاء النفس ، وتسترجع نافر الأنس ..."(١) .

ولا أدري إلى من يشير الحصري بقوله : " وإن كنتُ قد استدركتُ على كثير ممن سبقني ... إلخ " . إلا أن يكون أراد بعض معاصريه والقريبين من زمانه في بلاد المغرب والأندلس ؛ لأن اكثر الذين سبقوه إلى هذا الباب من تخير الآداب ، من أهل المشرق مثل الجاحظ وابن قتيبة والمبرد -لم تخل كتبهم من كلام لمعاصريهم ، أو ممن هم قريب من عصرهم وزمانهم ، حتى وإن لم ينصوا على ذلك .

وقد وجدت أبا العباس المبرد يشير إلى هذا في باب الشعر بقوله ":هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يُحتاج إليها للتمثل ؛ لأنها أشكل بالدهر ، ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب "(٢).

على أن الحصري توسع في الكتاب في النقل عن المعاصرين له من المشارقة ، و من قرب زمانه منهم من زمانه توسعا ظاهرا، ونقل من رسائلهم وأشعارهم ، وأخبارهم النقول الطويلة ، فنقل كثيرا من رسائل ابن العميد ، والصاحب ، و الصابي ، وابن ميكال ، والخوارزمي ، والثعالبي وغيرهم ، و من مقامات بديع الزمان الهمذاني ورسائله . ومن أشعار المعاصرين له ، والقريبين منه أيضا.

***

ومما يُوقف عنده في كتاب جمع الجواهر ، ويُعجب له ، ويُحوِج إلى تفسير – أن الكتاب يخلو ، أو يكاد يخلو من فكاهات البيئة المغربية بما فيها بلاد الأندلس ،

(١) زهر الآداب : ١ / ٤ .

(٢) الكامل : ١ / ٢٣٢ .

وهي بيئة المؤلف والكتاب(١) . وإنما البيئات الكبرى للفكاهات في الكتاب هي : بيئة الحجاز(٢) ، وبيئة العراق(٣) ، وبيئة بلاد فارس والجبل (٤) ، زمن ملك بني بويه ، ثم البيئة المصرية زمن المؤلف و قبيل زمنه(٥) . وقد روَى من فكاهات البيئات الثلاث الأولى الشيءَ الكثير

وكنتُ قدرتُ ، حين الشروع في هذا البحث أن يكون كتاب جمع الجواهر قد اشتمل على كثير من فكاهات أهل المغرب العربي والأندلس عامة ، وفكاهات أهل القيروان خاصة ؛ لأنهما بيئة المؤلف والكتاب ؛ إذ الأصل أن يكون المؤلفُ ابنَ بيئته ، والكتابُ نبْتَ أرضه ، ولكني لم أجد شيئا مما كنتُ قدرتُه ، ووجدتّ الكتاب مغربي المؤلف والمولد مشرقي المادة والروح ، ولولا اسم مؤلفه عليه ما عُدَّ إلا في كتب المشارقة !!! .

و" القيروان" التي عاش فيها أبو اسحاق الحصري ، ونسب إليها ، وألف فيها الكتاب(٦) مدينة عظيمة من مدن المغرب العربي ، وحاضرة قديمة من حواضر الإسلام، مصَّرها عقبة بن نافع- رضي الله عنه - بعد ما فتح بلاد المغرب في زمان معاوية : تخيَّر موقعها ، وشرع في بنائها سنة٥١ هـ ، و استَتَمَّ بناءها سنة ٥٥هـ .

---

(١) وانظر: أبو إسحاق الحصرى : ٦٦ .

(٢) انظر ص : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٢١٦ .

(٣) انظر ص : ١٠٠، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٨٣ .

(٤) انصر ص : ١٢٤ ، ١٥٧ ، ٣٠٤، ٣٣٣ .

(٥) انظر ص : ٧٤ ، ٧٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٧١ .

(٦) قال محمد بن سعيد الشويعر : وذكر ابن رشيق أن الحصرى ألف كتابا فى ملح الشعر والخبر فى القيروان . فمن الباحثين من قال إن هذا الكتاب هو : زهر الآداب . ورجح هو أنه : جمع الجواهر . وهو الراجح عندى أيضا . انظر : رسالة : أبو إسحاق الحصرى : ص : ٥٨ .

ونزلها مع عقبة نفرٌ من الفاتحين الأول(١) : من الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- ، ومن خيرة المسلين الأولين ، فهي في هذا لا تختلف كثيرا عن البصرة والكوفة ، والفسطاط .

وقد قيل إن عقبة -رضي الله عنه - حين أتم بناءها دعا لها ولأهلها، فقال : " اللهم املأها علما وفقها ، واملأها بالمطيعين لك ، واجعلها عزا لدينك ، وذلا على من كفر بك "(٢) . وكان عقبة من خير الولاة ، وأميرا مستجاب الدعوة ، كما قال ابن عَذَارِي (٣) .

ومما قيل في وصف القيروان : " إنها أعظم مدن المغرب طُرا ، وأكثرها بشَرا ، وأيسرها أموالا ، وأوسطها أحوالا ، وكان الغالب على أصحابها التمسكُ بالخير ، والتخلي عن الشبهات، واجتنابُ المحارم .."(٤) . فلعل هذا من بركة دعوة عقبة رضي الله عنه .

وصارت القيروان دار ملك المسلمين بأفريقية زمن ملك بني أمية ، ثم زمن ملك بني العباس ، وبقيت كذلك زمن الأغالبة التميميين ، ثم العبيديين الفاطميين الشيعة ، ثم الصنهاجيين بعد انتقال العبيديين إلى مصر ، حتى خربها العرب الهلاليون ،القادمون من المشرق بتدبير شرير من العبيديين في مصر سنة ٤٤٩هـ، وذلك في أيام تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي(٥) ، والحصري متوفى سنة ٤١٣هـ -على الأرجح - فخراب القيروان كان بعد وفاته بنحو ست وعشرين سنة،

(١) انظر : معجم البلدان ٤ / ٤٢١ . والبيان والمغرب : ١ / ٢٣ .
(٢) البيان المغرب ١ / ٢٣ .
(٣) السابق : ١ / ٢١ .
(٤) نفسه : ١ / ٣٠٨ .
(٥) انظر : المعجب : ٤٤١ .

وكانت في حياته على ما كانت عليه من العمران ونباهة الشأن بين المدن.

وكانت القيروان قاعدة علم المغرب ، كما كانت قاعدة الملك فيه . وصفها بذلك عبد الواحد المراكشي (٦٤٧هـ) ، فقال : " ..وكانت القيروان ... دار العلم بالمغرب : إليها ينسب أكابر علمائه ، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم ، وقد ألف الناس في أخبار القيروان ومناقبه ، وذكر علمائه ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين – كتبا مشهورة ، ككتاب : أبي محمد بن عفيف ، وكتاب : ابن زيادة الله الطبيي ، وغيرهما من الكتب ، فلما استولى عليها الخراب –كما ذكرنا– تفرق أهلها في كل وجه ، فمنهم من قصد بلاد مصر ، ومنهم من قصد صقلية ، والأندلس ، وقصدت منهم طائفة عظيمة أقصى المغرب ، فنزلوا مدينة فاس فعقبهم بها إلى اليوم "(١).

وكانت خزائن العلوم والآداب في القيروان تكاد تنافس خزائن الكتب في المشرق العربي . وقد ذكر أبو محمد بن حزم ، عن تَلِيد الخصي خازن الكتب بدار بني مروان : أن عدد الفهارس التي فيها أسماءُ الكتب ، في زمان الحكم بن عبد الرحمن المعروف بالمستنصر بالله بلغت أربعا وأربعين فهرسة ، في كل فهرسة عشرون ورقة ما فيها إلا ذكر الدواوين لاغير !!(٢) .

ومعلوم أن أبا علي القالي ، شيخَ شيوخ الأدب الطارئين على الأندلس وفد على عبد الرحمن الناصر من بغداد فأكرم وفادته ، وحسنت عنده حاله . وأورث أبو علي أهلَ الأندلس علمَه ، واختُص بعد الناصر بالحكم المستنصر بالله وانتفع المستنصر بعلمه . وعبد الرحمن الناصر متوفى سنة٣٥٠ هـ ، و القالي متوفى سنة

---

(١) المعجب : ٤٤١ .

(٣) انظر : المعجب : ٥٩ .

٣٥٦هـ زمن المستنصر (١) ، أي في حياة الحصري على الأرجح (٢) .

تلك هي القيروان التي عاش فيها الحصري ونشأ ، وتعلَّمَ وعَلَّم ، وسَمِع وسُمِعَ منه . فهل خلت القيروان وما حولها من بلاد المغرب ، وما جاورها من بلاد الأندلس – من العناية بأدب الفكاهات والملح ؟ ، وإن لم يكن الأمر كذلك فما تفسير استيلاء الآداب المشرقية على الكتاب ، وخلوه –تقريبا– من الفكاهات المغربية والأندلسية ؟.

أما أن تخلو الأندلس والمغرب من عناية بأدب الفكاهات والملح فهذا ما لا يكون ، فقد كان لملوك الأندلس والمغرب وأمرائهما من ذوي النزعة العربية ، والهمة في العلوم والآداب مجالسُ أنس وسمر ، تُتَداول فيها الفكاهات وتُولد أيضا ، وكان للأدباء والعلماء على الأرجح مثل ذلك .

وقد روي أن أبا العلاء صاعد بن الحسن الربعي ألف للمنصور أبي عامر(٣) كتبا في الملح منها : كتاب : " الفُصُوص" ، وهو يشبه كتاب النوادر لأبي علي القالي، وكتاب : " الهَجَفْجَف بن غَدَقَّان بن يَثْرِبِيّ مع الخِنَّوْت بنت مخرمة بن أُنَيْف " وكتاب : " الجَوَّاس بن قعطَل المذحَجِي مع ابنة عمه عفراء " وقال عبدالواحد المراكشي عن الجواس .. : " وهو كتاب مليح جدا ، انخرم أيام الفتن بالأندلس ، فنقصت منه أوراق لم توجد بعد . وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب ، حتى

(١) السابق : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ،

(٢) ذكر الشويعر أن الحصرى ولد سنة ٣٣٠ هـ : أبو أسحاق الحصرى : ٢٧ . وياقوت يقول : «مات بالمنصورة من أرض القيروان سنة ٤١٣هـ وقد جاوز الأشد» معجم الأدباء ١ / ٩٤ ، فهل تعني عبارة : وقد جاوز الأشد « أنه مات في الثالثة والثمانين من عمره كما قال الشويعر؟ والأشد هو الأربعون كما قال الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ الأحقاف : ١٥ .

(٣) المنصور وأخباره في المُغرب : ١ / ١٩٩ .

رتَّب له من يخرجه أمامه كل ليلة " (١).

وأبو العلاء هذا ورد على المنصور أبي عامر سنة ٣٨٠ هـ -أي في زمان الحصري- ، وكان صاعد كما قال عبد الواحد المراكشي : كثير المزاح (٢) .

وقد علمتَ -فيما سبق- أن الحصري ألف كتابه جمع الجواهر حين اقتُرِح عليه تأليفه ، وانتدب لجمع مادته (٣) . وهذا دليل على وجود العناية بأب الفكاهة والملحة في البيئة المغربية.

وقد يقال : إن هذه الملح والكتب المذكورة مرويةٌ من آثار المشارقة ، أو مولدة على طريقتهم ، وهذا حق ، ولكني أعتقد أن هذه المجالس السمرية الأنسية كانت تُولد فيها الملح والنوادر وتُخترع ، كما كانت تُروى وتُحكى . وقد قيل إن أبا العلاء صاعدا لما أتم كتاب الفصوص المذكور أعطاه لغلام له ليعبر به نهر قرطبة ، فسقط الغلام والكتاب في النهر معا ، فقال الشاعر: أبو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن العريف في ذلك :

قد غاصَ في البحرِ كتابُ الفصُوصْ وهـكَذَا كلُّ ثقـيلٍ يغـُوصْ

فضحك المنصور والحاضرون عنده . فقال صاعد :

عـادَ إلى معـدنه إنما تُوجَدُ في قعرِ البحار الفُصُوصْ (٤)

وهذا دليل على ما قلته من أن الملح والفكاهات كانت تولد وتخترع في أمثال تلك المجالس .

---

(١) المعجب : ٧٨ .

(٢) السابق : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ .

(٣) انظر ما سبق ص : ١١٧ .

(٤) المعجب : ٧٨ .

ولم أجد تفسيرا مَرْضِيا لاستيلاء المشرقية على مادة الفكاهة في كتاب جمع الجواهر ، إلا أن يكون السبب قوةَ سلطان الأدب المشرقي على نفس الحصري وعلى بيئته وزمانه ، حين ألف الكتاب . ومما يمكن أن يستدل به على ذلك ما ذكره في مقدمة كتابه : زهر الآداب ، وعده سببا وداعيا لتأليفه إياه- من رحلة أبي الفضل العباس بن سليمان إلى المشرق العربي ، واستصحابِهِ كثيرا من تراث المشارقه معه . وقد جعل الحصري هذا التراث المجتلب صلب مادة كتاب :زهر الآداب(١) ، وأظنه صلب كتاب : جمع الجواهر أيضا على ما رجحت .

ويمكن أن نُضيف إلى هذا السبب أسباب أخرى منها : أن المقدسي (٣٨٠هـ) وصف القيروان في كتابه : أحسن التقاسيم ، فقال :" إنها مفخرة المغرب ، ومركز السلطان ، وأحد الأركان ، أرفقُ من نيسابور ، وأكبرُ من دمشق ، وأجل من أصبهان، إلا أن ماءهم ضعيف ،وأدبهم طفيف ، ولا فيها ظريف . " ..(٢)

فإن صح هذا تكون بيئة القيروان من البيئات التي لم تعرف بغلبة روح الفكاهة على أهلها، ولذا لم يكن لها نصيب في إنتاج الفكاهات ، فتكون مثل بيئة الشام التي وصفت قديما بضعف روح الفكاهة فيها ، ولذا لم يروَ لأهلها من الفكاهات ما روي لأهل الحجاز وأهل العراق وأهل مصر، وليسوا منهم ببعيد. واستهلاكُ الفكاهة والعناية بجمعها وروايتها شئ ، وإنتاجُها والإبداع فيها شئ آخر.

والبيئات مختلفة في هذا ؛ لاختلاف الطباع والعادات والثقافات ، وكل ما من شأنه أن يطبع الشخصية بطوابعه ويلونها بألوانه .فأهل الحجاز بعامة وأهل المدينة بخاصة موصوفون بالظرف وطيب النفس ، وحلاوة المُزاح ، والاهتزاز عند كل ما

(١) انظر مقدمة زهر الآداب ١ / ٢ .

(٢) أحسن التقاسيم : ٢٢٤ ، ٢٢٥ نقلا عن رسالة الشويعر ص : ٤ .

يطرب من غناء ومفاكهة(١) .ويأتي بعدهم في هذا أهل العراق ، ولهذا كان الرشيد يقول : إن ظرف أهل الحرمين لا يوجد في العراق مثله(٢) .

ويمكن أن تعد الظروف السياسية ، وأحداث العصر في زمان الحصري من جملة الأسباب . وتتبعُ تاريخ القيروان يدل على أن الفترة التي ولد فيها ا الحصري ، وعاصر ما بقي من أحداثها كانت فترة هَرْج ومَرْج ، وفتن وحروب ، وبدع وأهواء ؛ وذلك منذ استيلاء العبيديين الشيعة على بلاد المغرب والقيروان ، وفرْضِهم مذهبَ التشيع بالقوة وما صاحب ذلك من بدع وفتن وإراقة دماء، واستمر هذا حتى تركوا المغرب إلى مصر، وبقي أثره إلى خراب القيروان سنة ٤٤٩هـ (٣) .

وهذه حالة سياسية يضيق بها من كان دَيِّنًا حسنَ التدين مثل الحصري ، وينعزل عنها ويلتمس الفرار منها ، فيكون استغراقُه في تراث المشارقة في كتبه ، ومنها كتابه : جمع الجواهر صورةً من صور الهروب من الواقع والفرار منه ، والثورة عليه ، إلا أنه فرار عقلي علمي ، وثورة فكرية سلمية .

وقد ذكر محمد بن سعيد الشويعر : أن كتب الحصري الباقية ، وترجماته في الكتب التي ترجمت له لا تشير إلى اندماجه الواضح في محيط بيئته ، وتفاعله مع أحداث عصره(٤) . وهذا ما خرجت أنا به أيضا من قراءة ترجماته فهو إلى الانعزال أقرب ، ولم يُرو في جل هذه الترجمات أنه رحل إلى الأندلس أو المشرق ، ولا خرج من القيروان إلى غيرها من بلاد المغرب(٥) .

(١) انظر : زهر الآداب : ١ / ١٦٨ ، ١٧٢ .

(٢) انظر : جمع الجواهر : ٦٢ .

(٣) انظر : البيان المغرب : ١ / ٣٧٢ وأبو إسحاق الحصرى للشويعر : ص ١١ وهوامشها .

(٤) انظر : أبو إسحاق الحصرى : ١٧ .

(٥) وانظر : السابق : ٦٢ .

إلا أني وجدت الضبي (٥٩٩هـ) يذكر الحصري في كتابه :" بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس : علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج منها" (١) . وعَدُّه في هذا الكتاب يدل على أنه عند الضبي ممن دخل الأندلس . ولم يقل بهذا غيره ممن وقفتُ على كتبهم

ومرجع ذلك الانعزال على الأرجح إلى الأحداث التي وصفتُها.وينقل الشويعر عن حسن حسني عبد الوهاب : أن الحصري ترأس في القيروان بعد أن انتقل البلاط الفاطمي إلى مصر ومعه حاشيته وغالب شعرائه(٢) ، وقد انتقل الفاطميون إلى مصر سنة ٣٦٢هـ .

وقد يكون أراد بهذا الترأس ما ذكره ابن رشيق من أن شباب القيروان كانوا يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه(٣) . وعُد من هؤلاء : أبو طاهر التجيبي القيرواني (٤٥٠هـ) ، وأحمد بن القاسم بن أبي حديدة ٤٥٠هـ)-وهو من كتاب الرسائل-، وابن رشيق القيرواني ٤٥٦هـ)(٤) ، وهذا الذي قاله ابن رشيق ليس من جنس الاندماج والتفاعل الذي نتحدث عنه .

على أن حَدَّ المغرب العربي قديما كان من ضفة النيل بالإسكندرية بمصر إلى آخر بلاد المغرب . وما يقع من البلاد بين الإسكندرية و طرابلس ، هو من بلاد المغرب وهو أكبر أجزائها ، وبلاد الأندلس عندهم معدودة أيضا من بلاد المغرب ؛ لاتصالها ببلاد المغرب(٥) .

(١) بغية الملتمس : ٢٠٩ .

(٢) أبو إسحاق الحصري : ٥٩ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان : ١ / ٣٧ . نقلا عن الأنموذج لابن رشيق .

(٤) انظر : أبو إسحاق الحصري : ٢٧ .

(٥) انظر : البيان المغرب : ١ / ٥ ، ٦ . والمعجب : ٤٣٢ .

وقد علمتَ أن الحصري أورد في كتابه فكاهات وملحا من البيئة المصرية(١) ؛ فيكون بهذا قد ضمن كتابه فكاهات لجزء من البيئة المغربية بمعناها العام .

٦

ومن جملة منهج الحصري تجنُّبُ رواية ما وضعه أهل الإلحاد، والأهواء والزندقة والشعوبية ، وأمثالهم من فكاهات وملح ، وطرائف وظرائف ؛ ليُضحكوا بها من هو على مذهبهم ، وليُدخلوا الريبة خفية على من خفيت عليه مذاهبهم ، وعجز عن إدراك مراميهم ؛ طعنا منهم في الدين ، وانحرافا عن سبيل المؤمنين ؛ ليُشفى أحدهم بافتعالها من دائه ، و يُضحِك بها خاصته و أوداءه ، فهو كالأفعوان الكامن في أصول الريحان ، يريدك أن تشمه ؛ فيقتلك سمه(٢) .

وقد ذكرتُ من قبل انتقاده لحكاية أم المؤمنين عائشة مع ابن رشيق ، وقوله : إن واضعها إنما قصد إلى القدح في عرض أم المؤمنين ، وجعل ذلك على وجه النادرة؛ إخفاء لمراده وغله ، وتعمية على وجهته و قصده ، لتكون في الظاهر إمتاعا وإضحاكا ، وهي في الحقيقة دس وكيد .

و قد قال بعد ما أورد هذه الحكاية : " ومثل هذا كثير مما لو ذكرتُه لدخلتُ فيما أنكرته ؛ فقد قيل : الراوية أحد الشاتمين ، كما قيل : السامع أحد القائلين"(٣).

قلت: وهذا خلاف قولهم : " ناقل الكفر ليس بكافر ، وراوي الفحش ليس بفاحش" ، ولكل وجه .

---

(١) انظر ما سبق :١٢٩ .

(٢) انظر : جمع الجواهر : ٤ .

(٣) السابق والصفحة

و في ذلك الدليل على حسن تدين الحصري ، وسلامة معتقده . وقد ألزم نفسه في كتابه بما قال.ولكنه روى في الكتاب فكاهات الفحش بألفاظها الصريحة أحيانا من غير تكنية(١) ، وأحيانا يرويها بالتكنية لا بالإفصاح(٢) ، وقد جرى في هذا على ما جرى عليه الجاحظ وابن قتيبة و أضرابهما. ورواية الفحش بألفاظه ، إذا لم تكن مشتملة على دس أهل الإلحاد والأهواء شيء، وروايات دس أهل الإلحاد والأهواء شيء آخر .

هذا ورواية الفحش بألفاظه السافرة من القضايا المثارة من قديم ، ومما وقع فيه الخلاف ، وقد سوغها ودافع عنها الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما، ونقلا النقول الدالة على أنها لا تخرج من ملة ، ولا تقدح في مروءة ، ولا تبطل صلاة ، ولا تنقض وضوءا!!، وكان بعض من ينسك نُسُكًا أعجميا زعم ذلك .

و ما زال أهل التوسط في الأمور لا يرون بأسا بسماع الهزل واللهو ، إذا خلا من الأثم ، وارتفع عن قائله وسامعه فيه الحرج , وقد قال المأمون : " من أراد أن يسمع لهوا بلا حرج فليسمع كلام العباس "(٣)- يعني العباس بن الحسين بن عبد الله بن عباس -.ورووي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : " الدنيا كلها هموم ، فما كان منها في سرور فهو ربح (٤) "

و قد تبع الحصري قولَ من رخص في رواية الفحش بلفظه ، وجرى على مثل مذهبهم . و أورد في كتابه مساجلة طويلة في هذه القضية ، بين أبي بكر محمد بن

---

(١) انظر أمثلة لذلك ص : ٣١ ، ٣٣ . وقد أثبت الخانجى ألفاظ الفحش كما هى ، وحذفها البجاوى فى مطبوعته وجعل موضعها بياضا !!

(٢) انظر ص : ٦١ .

(٣) زهر الآداب : ١ / ٩١ .

(٤) السابق : ١ / ٥٥ .

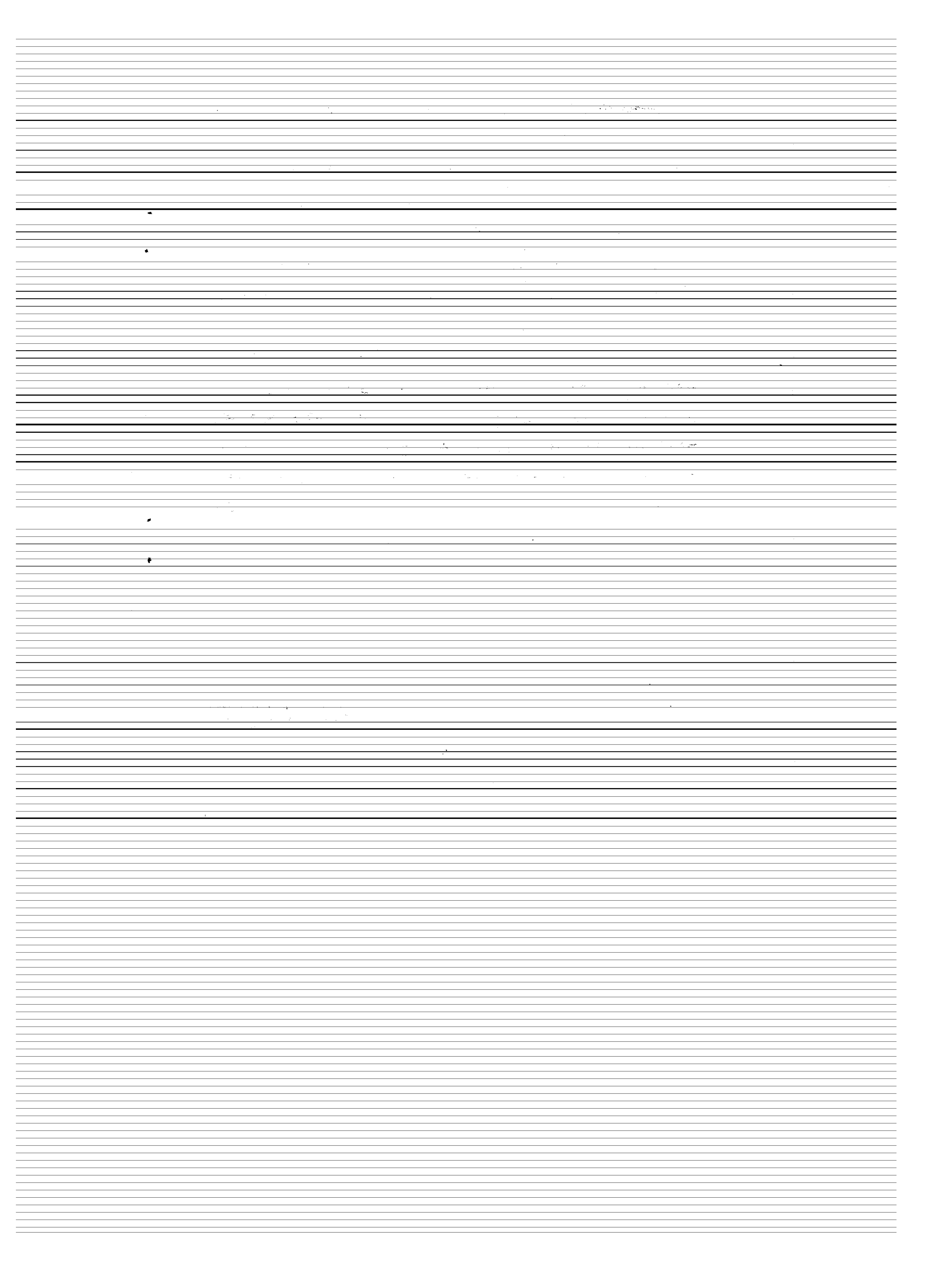
القاسم الأنباري ، وعبد الله بن المعتز . وكان ابن الأنباري ممن يمنَع ويحظُر وابن المعتز ممن يجوز ويسوغ ، ثم عاد ابن الأنباري إلى قول ابن المعتز بعد أن لزمته الحجة واستبان له الحق . ولولا طول هذه المساجلة لنقلتها هنا، لجودتها ، ولما فيها من حسن الاحتجاج للرأي ، والانقياد عند لزوم الحق (١) .

ذلك هو مجمل منهج الحصري في كتابه : جمع الجواهر ، وأظهرُ عناصر ذلك المنهج وأركانه . وربما قيل : وأي منهج للحصري فيما قلتَ ، وإنما هي طريقة في التأليف لا تكاد تختلف كثيرا عن طرائق من تقدمه في التأليف والتصنيف ؟ . وهذا حق ، ولكن طرائق التأليف واختيارَها من المنهج ، ومتابعةُ المؤلف من سبقه دليلُ اختيار منه لمنهجه ، واختيار منهجٍ من المنهج .

ومن الناس من يرى أنه لا منهج إلا فيما أُقِرَّ من المناهج في العلم والأدب واتفق عليه ، والأمر عندهم آكَدُ إذا كانت المناهج غربية لا عربية!! . ولست أرى ذلك فلربما كان ترك التقيدِ بمنهج مستقر والانقيادِ له منهجا. وهل كانت المناهج المرضية اليوم في أصلها إلا اجتهادا من باحث ، واختيارا منه على غيرِ مثال منهج سبق ؟ .

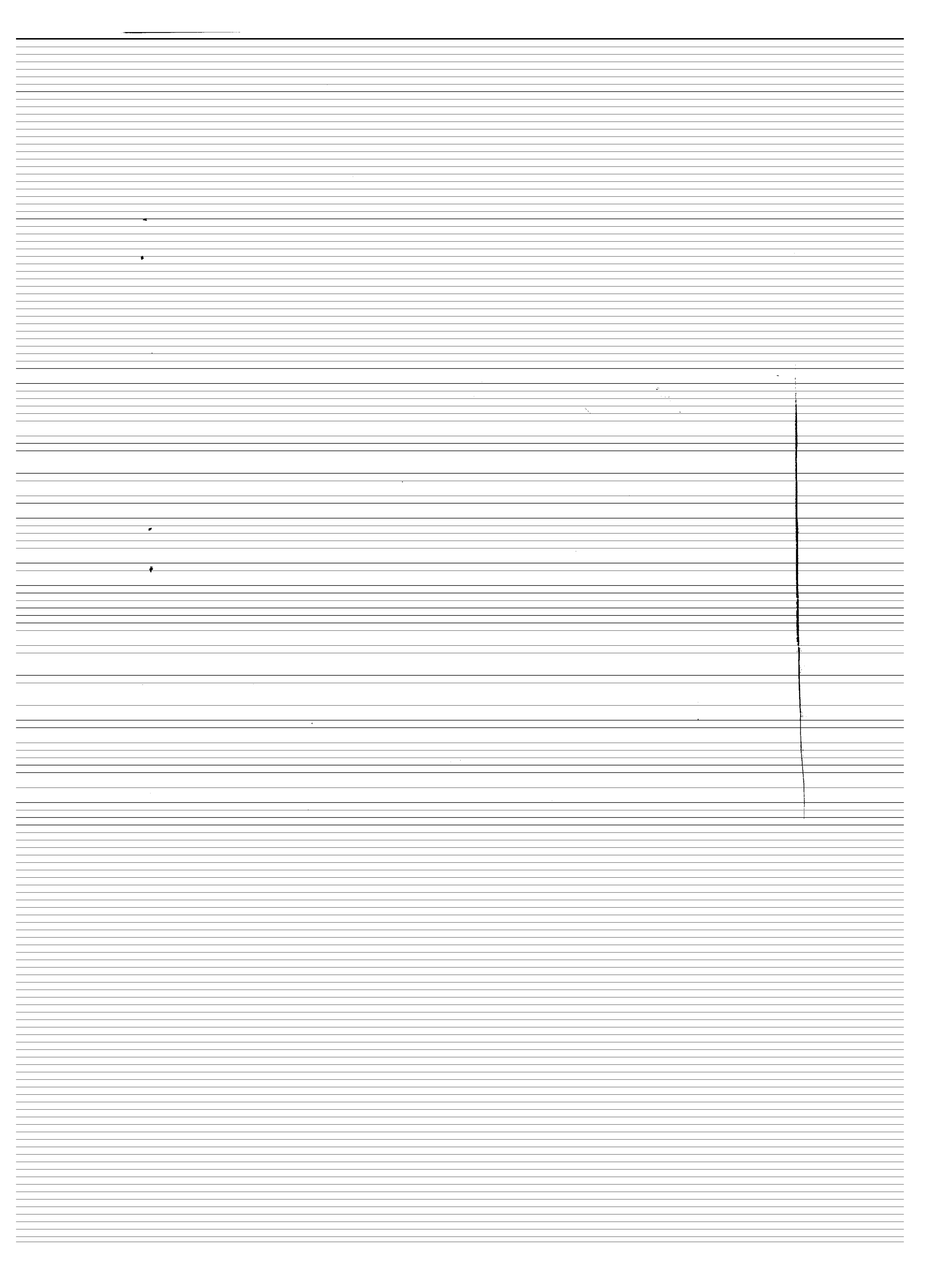
---

(١) جمع الجواهر : ٤٠ ، ٤١ .



المبحث السابع

دراسة نقدية في فكاهات جمع الجواهر



تأملت الفكاهات في كتاب : جمع الجواهر تأملا ناقدا ، على قدر ما اتسع الوقت ، فوجدتها تنقسم أقساما شتى باعتبارات شتى :

١ - فمن حيث ما في الفكاهات من طبع أو صنعة : نجد في الكتاب الفكاهات المطبوعة التي لا تشك عند قراءتها أنها هكذا خرجت من قائلها، وأنها كساعة ولدت . ونجد فيه الفكاهات المصنوعة التي لا تشك عند الوقوف عليها أنها مما دخلته الصنعة ، وألحقت به الزيادة ، أو مما افتعل افتعالا ، وصيغ بيد الخيال .والمطبوع من الفكاهات لا يخفي على ذي نظر ، كما أن المصنوع المختلق منها قلما يخفى. وكذلك المطبوع والمتكلف من أهل الفكاهة(١)

وأكثر ما في الكتاب من فكاهات الأعراب والأعرابيات من المطبوع ، وكذا أكثر ما أثر عن فحول الفكهين من المتقدمين كابن أبي عتيق ، ومزبد المديني ، والشعبي ، وأبي العيناء ، وأبى العبر ، وأشعب ونظرائهم . وأكثر ما للمولدين الحضريين مما دخلته الصنعة . وهذا مما تنبه إليه الجاحظ قديما وذكره(٢) . ومن الصنعة في الفكاهة ما هو حسن مستملح ، ومنها ما هو غث مستبرد .

وهذا ما تجده في أدب الجد أيضا ، فإن أدب البداوة وما قاربها مطبوع ، وأدب الحضارة أقرب إلى الصنعة والتصنع .

---

(١) وانظر الموشى : ٩٠ .

(٢) انظر البيان : ٢ / ٩ .

خذ مثلا للفكاهة المطبوعة في الكتاب :

أ ـ " قال يزيد بن أبي حبيب لرجل : من أين أقبلت ؟ قال : من أسفل الأرض . فقال له : كيف خلفت قارون ؟ " (١)

ب ـ " وقال عبد الله بن خزيمة لصاحب شرطته : أين تذهب يا هامان ؟ قال : أبني لك صرحا " (٢)

جـ ـ و" قال أبو عبيدة : أُجريت الخيل في الحلبة ، فجاء فرس من الخيل سابقا ، فجعل رجل من النظارة يكثر الفرح ، ويكبر، ويصفق ، فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى : الفرسُ لك ؟ قال : لا ، ولكن اللجامَ لي !" (٣).

فهذه الفكاهات الثلاث- وهي من فكاهات المجاوبة - مما يغلب على الظن أنها هكذا كانت ، وأنها رويت على نحو ما قيلت ؛ فالسؤال عن قارون الذي خسفت به وبداره الأرض هو الجواب المَلِح لمن قال : جئتُ من أسفل الأرض . وعبارة " أبني لك صرحا هي الردُّ الفكِه على من قال : إلى أين تذهب يا هامان ؟ .والملحة الثالثة صورة عفوية لمن يزهو بما لغيره ويفخر ؛ لأنه لا يملك ما يزهو به ويفخر ، وإننا لنجد مثله في عوام الناس .ومثل هذه الفكاهات كثير في الكتاب .

ومن أمثلة الفكاهات التي دخلتها الصنعة عند الرواية، وزادت فيها الرواية لتستملح أكثر ملحة أبي الأغر الأعرابي والكلب -وهي مشهورة- . وقد رواها الحصري هكذا :

"نزل شيخ أعرابي من بني نهشل ـ يكنى أبا الأغر ـ على بنت أخت له من

(١) جمع الجواهر : ٢٣٣ .

(٢) السابق والصفحة .

(٣) جمع الجواهر : ٣٣٧ .

قريش بالبصرة ، وذلك في شهر رمضان . فخرج الناس - كذا - إلى ضياعهم وخرج النساء يصلين في المسجد ، ولم يبق في الدار إلا الإماء ، (فجاء)(١) كلب فرأى بيتا فدخله و انصفق الباب ، فسمع الإماء الحركة ؛ فظَنَنَّ لصا دخل الدار ؛ فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته ، فأخذ عصا ووقف على باب البيت ، فقال : إيهًا والله ! إني بك لعارف ، فهل أنت من لصوص بني مازن وشربت نبيذا حامضا خبيثا ، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك منتك نفسك الأماني ، فقلت أطرق دور بني عمرو ، والرجال خلوف ، والنساء يصلين في مسجدهن فأسرقهن؟ .

سوءة لك ! والله ما يفعل ذلك حر . بئسما منتك نفسك ! فاخرج بالعفو عنك ، وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك .و أيْمُ الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة يلتقي فيها الحيان عمرو و حنظلة ، ويصير زيد زيدا وتجيء سعد بعدد الحصى ، وتسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا . ولئن فعلتُ لتكونن أشأم مولود في بني تميم .

فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين فقال : اخرج بأبي أنت منصورا مستورا. إني والله ما أراك تعرفني ، ولئن عرفتني لوثقت بقولي واطمأننت إلي . أنا أبو الأغر النهشلي ، وأنا خال القوم وجلدة ما بين أعينهم ، لا يعصون لي رأيا ، وأنا خفير كفيل أجعلك شحمة بين أذني وعاتقي ، فاخرج فأنت في ذمتي ، وإلا فعندي قوصرتان أهداهما إلي ابن أختي البار الوصول ، فخذ إحداهما فانتبذها حلالا من الله ورسوله .

- وكان الكلب إذا سمع هذا الكلام أطرق ، وإذا سكت وثب يريد الخروج ؛ فتهافت أبو الأغر ثم قال- : يا ألأم الناس ، أراني بك الليلة في واد وأنت في آخر وأنت في داري . أقلب البيضاء والصفراء فتصيح وتُطرِق ، وإذا سكت عنك وثبت

(١) في الأصل : (فدخل) .

تريد الخروج ، والله لتخرجن أو لألجن عليك .

فلما طال وقوفه جاءت جارية ، وقالت : أعرابي مجنون . والله ما أرى في البيت أحدا، ودفعت الباب فخرج الكلب مبادرا ، ووقع أبو الأغر مستلقيا . فقلن له: قم ويحك ـ فإنه كلب . فقال : الحمد لله الذي مسخه كلبا، وكفى العرب حربا" .

قال الحصري بعقب الحكاية :" وقد روى ابن قتيبة وغيره هذا المقام لأبي حية النميري ، واسمه : الهيثم بن الربيع "(١).

وقد رجعت إلى عيون الأخبار لابن قتيبة ، فوجدتُ الحصري قد لفق الحكاية من حكايتين ـــ :الأولى- وتستوعب أكثر ما هنا مع اختلاف في اللفظ وزيادة ونقص - لأبي الأغر النهشلي المذكور ، قال : وهو عروة بن مرثد ، وأبو الأغر كنيته- .والثانية : لأبي حية النميري وقصة له مشابهة مع كلب ، ومعه سيفه لعاب المنية . وقال ابن قتيبة قبلها : " وشبيه بهذا ـ يعني حديث أبي الأغر النهشلي ـ حديثُ لأبي حية النميري ، وكان له سيف ليس بينه و بين الخشبة فرق ، وكان يسميه: لُعَابَ المنية ..وذكر بقية الحكاية "(٢).

فأخذ الحصري بعضَ ما في حكاية أبي الأغر ، وبعضَ ما في حكاية أبي حية ولفق من مجموعهما حكاية واحدة ، وهما متتاليتان عند ابن قتيبة . ولا أدري أهذا التلفيق من عمل الحصري أم من عمل من نقل عنه الحكاية ، إن لم يكن نقلها من كتاب ابن قتيبة . وهذا مثال يقاس عليه ما أشبهه في ما يُدخله اختلاف الروايات على الأخبار في باب الفكاهة- وكذا في غيرها- من زيادات و صنعة ، وتلفيق .

وأبو حية النميري عده الجاحظ في النوكى والموسوسين ، ونقل عنه نوادر

(١) جمع الجواهر : ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٢)عيون الأخبار : ١ / ١٦٧ ، ١٦٨ .

تشهد عليه بالجنون وانحلال العقل من مثل قوله :

"رميتُ والله ظبية ، فلما نفذَ السهمُ ذكرتُ بالظبية حبيبةً لي ، فشددتُ وراء السهم حتى قبضت على قُذَذِه "(١) ولا أدري أهذا من الجنون والوسوسة أم مما يسمى في العامية المصرية " القَشْر " مثل ما كان يفعل " بيجو " و" أبو لمعة " .

فإن كان أبو الأغر مثل أبي حية فلا غرابة في أن تجري لهما مثل هذه الحكاية .

وعندي أن هذه الحكاية مما يمكن أن يكون له أصل صحيح ، ثم زادت فيه الرواية وأطالته . ولعل أصل الحكاية أن أبا الأغر أو أبا حية ظنا الكلب في الدار لصا، فكلماه بكلام مختصر يدل على ما ظنا ، ثم استبان لهما من بعد أنه كلب ومن هنا كانت الطرفة ، و من هذا ولدت النادرة .ثم زيدت الحكاية بالتحسينات المعنوية واللفظية وهذا من عمل الرواة ، وذلك بالحديث عن شهرِ رمضان ، وخروجِ الرجال إلى الضياع للعمل ، والنساء إلى المسجد للصلاة _!! _، وقوصرةِ الخمر التي تنتبذ حلالا من الله ورسوله_!! . والعبارة موجودة في نص ابن قتيبة، كما هي في نص الحصري _ ، وهذا يدلك على أن الزيادة قديمة .

وختام قصة أبي حية عند ابن قتيبة : " الحمد لله الذي مسخه كلبا ، وكفاني حربا " ، فصارت عند الحصري " ..... وكفى العرب حربا " ، وأراها من عمل الرواية ، ولا يخفى ما فيها من غمز ساخر للعرب ، ووصفهم بالتسرع إلى الحرب فيما لا تكون في مثله عند العقلاء حرب !!.

ومن أمثلة الفكاهة في الكتاب التي اختلقت ولا أصل لها من واقع حكاية إبراهيم الموصلي مع الرشيد ، التي نادم فيها إبراهيم إبليسا .وهي طويلة طريفة تقع

(١) انظر البيان والتبيين : ٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

فيما يربو على الصفحتين (١) ، ولولا طولها لأثبتها لطرافتها ، وليستدل بها على أمثالها، فهي مثال واضح لصنف من الفكاهات اختلق اختلاقا ؛ لتعمر به المجالس ، ولتقوم عليه الأسمار.

ودخول الصنعة والاختلاق في باب الفكاهات أمر سائغ ؛ لأنها فواكهُ الكلام، ونقُولُ المجالس ، وحلوى الأسمار . و كلما كانت الحكاية أغرب كانت أعجب ، وكلما كانت أعجب كانت أطرف وأظرف ،وأملح وأضحك .

ويخيَّل إلي أن قانونهم الذي ارتضوه في كثير من الفكاهات ما قاله حباب بن جبلة الدقاق ، و رواه الجاحظ: قال : " قلت لحباب بن جبلة الدقاق : إنك لتكذب في الحديث . قال : وما عليك إذا كان الذي أزيده فيه أحسنَ منه ، فوالله ما ينفعك صدقه وما يضرك كذبه ، وما يدور الأمر إلا على لفظ جيد ومعنى حسن "(٢) .

فإذا كان مدار الأمر على لفظ جيد ومعنى حسن كما قال ، وكان ما يزاد على أصول الحكايات الفكهة، من المعاني والألفاظ أحسن من تلك الأصول كانت الزيادة من المقبول السائغ ؛ فإن الملح إنما تُضحك بمقدار ما فيها من ابتعاد عن المنطق ، و مجانبة للمعقول ، ومخالفة للمنتظر المتوقع(٣) . وهي إنما تراد للإضحاك .

وبعض الحكايات لا يكون في أصولها ما يضحّك منه ، فتدخلها الصنعة والزيادة على يد ظريف فكه فتنقلها من الجد إلى الهزل ، وتصيرها فكاهة وملحة :

خذ مثلا الحكاية المروية عن الأعمش و امرأته : حين وقعت بينهما جفوة ، فسأل الأعمش أحد أصحابه من الفقهاء أن يصلح بينهما، فدخل الفقيه إلى المرأة ،

(١) جمع الجواهر : ٣١٩ ـ ٣٢١ .
(٢) البيان والتبيين : ٢ / ٣٣٩ .
(٣) انظر الفكاهة فى الأدب : ٥١ .

وقال لها : " إن أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه عَمَشُ عينيه ، ودقَّة ساقيه ، وضَعْفُ ركبتيه ، ونَتَن إبطيه ، وبَخَر فمه ، وجمودُ كفيه " . فقال له الأعمش : قم قبحك الله ، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه " (١) .

فإني حين قرأت هذه الحكاية قام في نفسي أنها كانت في أصلها جِدا لا هزلا، وأن هذا الفقيه المتصدي للإصلاح قال للمرأة إن أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه كبر سنه ، وضعف بدنه، وقلة ذات يده .. ، وكلاما مثل هذا ، فنقلت الحكاية بفعل أحد الظرفاء من الجد إلى الهزل ، وصيغت هذا الصوغ . ويسر أمر الصنعة فيها أنها عن فقيه ، وامرأة فقيه ، والمتصدي للإصلاح فيها فقيه ، وإذا حذفت هذه العناصر من الحكاية ذهب أكثر بهائها.

وإذا كان لا يزهد المرأة في الأعمش ما قال هذا المصلح ، فأي شئ يزهدها فيه؟! بل أي شئ يزهد النساء في الرجال إذن ؟!.

وقد قال علقمة من عبدة : المعروف بعلقمة الفحل(٢) :

فإن تســـألوني بالنساءِ فإنني بصـــيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ
إذا شابَ شعرُ المرءِ أو قلَّ مالُه فليسَ له وِدِّهِـــن نصيبُ
يرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ علمنَهُ وشرخُ الشبابِ عندهُن عجيبُ(٣)

وليس عند أبي محمد الأعمش لا شرخُ الشباب ولا ثراءُ المال ، ومثلُ أبي محمد في الرجال كثير .

وقد ذكرتني هذه الحكاية بما حكاه لي يوما الدكتور عبده زايد ، يرويه عن

(١) المستطرف : ٢ / ٢١٦ نقلا عن الفكاهة في الأدب : ٥٤ ونظر مثالا في جمع الجواهر: ٣٦٦ .

(٢) ترجمته في شرح المفضليات للتبريزي : ٣ / ١٣٠٤ وحواشيها .

(٣) السابق : ٣/ ١٣٠٩ ، ١٣١٠ .

شيوخه قال: " إذا بلغ الفتى خمسين عاما ضاق مَمشاه ، واتسع مَفساه ، واصطكّت ركبتاه ، وتدلّت خصيتاه ، وأكثر من قول " لا حول ولا قوة إلا بالله " .والعجب في أنه مع كل هذا يقال له : فتى .

وصَنَعَةُ الفكاهات الجيدة مَهَرة حقا وأذكياءُ فعلا ، وعملهم لا يقل عن عمل المبدعين للفكاهات والمنشئين لها . ومنشئ الفكاهة -ومختلقها أيضا- يحتاج إلى ذكاء شديد ، وحس دقيق ، وشعور مرهف ، وذوق صحيح ، وخيال واسع، وملكة بيانية أصيلة (١) .

وخذ مثالا على ذلك فكاهة الأعرابي الذي أخذ من اليهود دية عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم. قال ابن الجوزي : حدثنا عيسى بن عمرو قال : وَلِيَ أعرابي البحرين فجمع يهودَها وقال :ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالوا : نحن صلبناه وقتلناه .قال : فقال الأعرابي : لا جَرَم. فهل أديتم ديته ؟ فقالوا لا . فقال : والله لا تخرجون من عندي حتى تأدوا إليّ ديته ، فما خرجوا حتى دفعوها له " !!(٢)

فانظر إلى غرابة منزع هذه الملحة ، وطرافة الخيال الذي استنبطها ، من المعنى القرآني وهو : دعوى اليهود بأنهم قتلوا عيسى ، ورد القرآن دعواهم، و قوله : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(٣).

وكأني بظريف من الظرفاء وقف على هذه الآية يوما فأخرج له خيالة الظريف هذه الحكاية ، ونسبها إلى أعرابي لا إلى حضري من جودة صنعته ، وحسن تأتيه في صنعة الفكاهة . و لما كان الإقرار بالقتل يوجب القصاص أو الدية قررهم الأعرابي،

---

(١) انظر : الفكاهة في مصر : ٦ .

(٢) العقد الفريد : ٣ / ٤٨٩ ، وأخبار الأذكياء : ٩٧ .

(٣) النساء : ١٥٧ .

فأقروا ، فساغ أخذ الدية منهم !!.ومن لطف الصنعة فى الفكاهة أنّ جعل الدية تؤدى إلى هذا الأعرابي، وليس من ورثة عيسى عليه السلام ، إلا أن يكون ذهب إلى معنى : نحن أحق بعيسى منهم !!.

وفي العقد الفريد : أن هذا الأعرابي هو: أبو مهدية ، وأن ذلك كان في اليمامة لا في البحرين وإذا صح ما قلته فإن تسمية الأعرابي من تمام صنعة الملحة وجودة إخراجها .ولو أمكن صانعَ الحكاية أن يجعل القتل عمدا ، وأن يجعل جزاء أولئك اليهود القتل لا الدية ، وأن يقتلهم جميعا بعيسى لفعل . وأخذ الدية أطرف وأملح .

والحديث عن صنعة الفكاهات ، بفعل الرواة يفضي إلى الحديث عن اختلاف رواياتها : اختلافِها في من تنسب إليه الفكاهات وتروى عنه ، واختلافِها في ألفاظ نصوصها بالزيادة والنقص . وقد أشار الحصري نفسه إلى اختلاف روايات الفكاهات حين ذكر ملحة في بخل محمد بن يحيى البرمكي ، ثم قال في آخرها ": وقد ذكر غير هذا ، والحكايات تختلف " (١).

وأورد في موضع آخر ملحا ونوادر لابن الجصاص ثم قال بعقبها : " وهذه الحكايات عن ابن الجصاص تنسب إلى غيره ، والمحدثون مختلفون في حكاياتهم ، مضطربون في رواياتهم " (٢).

وقد لاحظت اختلافا شديدا بين نصوص بعض الفكاهات في جمع الجواهر وبين نصوصها هي نفسها عند من رواها قبل الحصري مثل الجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد، والوشاء، وابن عبد ربه، وغيرهم ، وتتبع هذا الخلاف ، وما في بعض الفكاهات من زيادة على بعض يوشك أن يكون بحثا قائما برأسه ، وفي ثنايا هذا

(١) جمع الجواهر : ٧٨ .

(٢) السابق : ٢٥٠ ، وانظر ص : ٢٥٣ منه .

البحث أمثلة يستدل بها على ما ذكرته .

٢ - ومن حيث الصحة و الوضع : يوجد في جمع الجواهر الصحيح من الفكاهات الذي يمكن إثبات صحته ، والموضوع الظاهر الوضع الذي يمكن إثبات بطلانه ، و ما يغلب على الظن أنه صحيح ، أو أنه موضوع .

و صوغُ الفكاهات بقصد التملح والتظرف - وهو من جملة الإبداع الأدبي - شئ ووضعُ الفكاهات دسا وكيدا شئ آخر . وقد أشار الحصري إلى وضع الفكاهات ، وقال : إن من مذهبه ترك رواية ما وضعه الرواة من الفكاهات التي فيها قدح في الدين ، واتباع غير سبيل المؤمنين . وقد ذكرت ذلك من قبل(١) ، و قلت : إن الجاحظ من أوائل من نبه على وضع الأخبار والحكايات في الجد والهزل (٢) .

ومع هذا فقد وجدت في جمع الجواهر فكاهات مما يغلب على الظن أنه موضوع مفتعل ، مما وضعه بعض أهل الإلحاد والمجون ، أو مما وضعته الفرق الدينية، أو الأحزاب السياسية . ومن ذلك :

أ - " وقال رجل لغلامه : التمس لي دارا لا تكون بجوار مسجد ؛ فإني أحب الأفراح ، فاكترى له دارا بين مسجدين فقال : ما هذا ؟ قال يا مولاي : لا تدري المعنى : أهل هذا المسجد يظنونك في هذا ، وأهل ذا يظنونك في ذا، وأنت قد ظفرت بما تحب " (٣).

ب - وفي خبر سليمان بن عبد الملك لما كتب إلى عثمان بن حيان المري :

---

(١) انظر ما سبق ص : ١٣٨ .

(٢) انظر البيان والتبيين ١ / ٢٠٣ ، ٢٧٤ ، ٢ / ٣ ، ٦ / ٣٦٦ ، ٤ / ١٤ ، ١٥ ، ٣٦ ، ورسائل الجاحظ : ٣٧١ والبخلاء : ٢٢٢ .

(٣) جمع الجواهر : ١٥١ .

أخص المخنثين بالمدينة ـبالحاء- ، فقرأها بالخاء وخصاهم "!! فبلغ ذلك ابن أبي عتيق ، وقد قام إلى الصلاة ، فقال : أو قد خُصِي الدلال ؟! إنا لله ، لقد كان يحسن أن يغني :

لمنْ طلَلٌ بذات الجيـــــش أمسى دارسًا خَلَقَا

ثم دخل في الصلاة . فلما فرغ من قراءة أم الكتاب قال : السلام عليكم ، وكان يحسن خفيف هذا الشعر، ولا يحسن ثقيله " (١).

فما أظن واضع هاتين الفكاهتين إلا أراد أن يهون أمر الصلاة ، ولقد هون عظيما ، واستغل في الثانية منهما ما عرف عن ابن أبي عتيق من الظرف ومحبة الغناء ككثير من أهل المدينة.

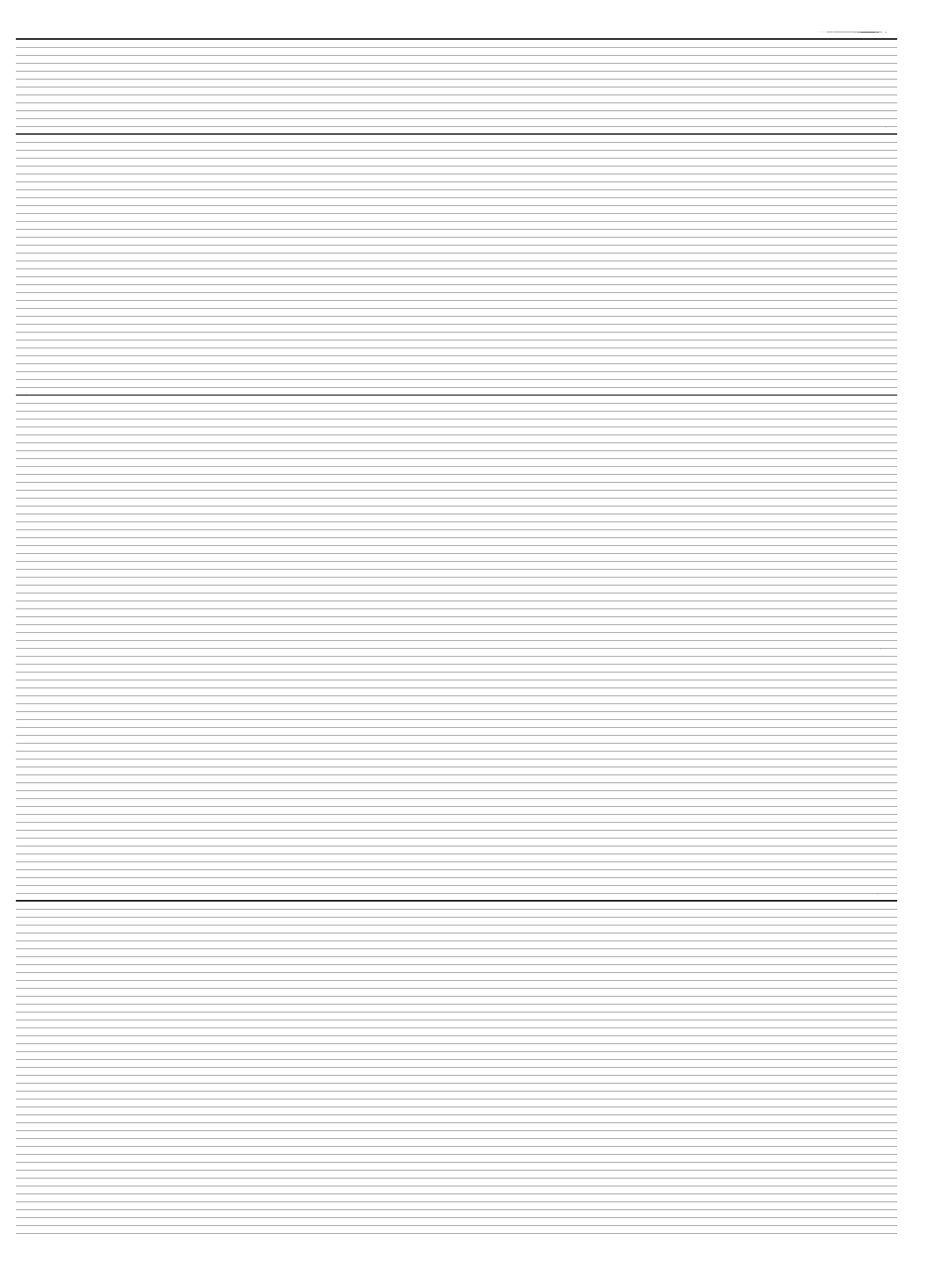
وقد قرأت هذه الفكاهة في موضع ذهب عني الآن ، هكذا " فلما انتهى من صلاته .. " . ولكن الحصري يروي : " فلما فرغ من قراءة أم الكتاب.." . فهل قطع صلاته إذن ليقول ما قال؟ ، أو أراد بالفراغ من قراءة أم الكتاب الفراغَ من الصلاة بدليل أنه سَلَّم !!، و هل فعل ابن أبي عتيق هذا في مدينة رسول الله في الصدر الأول من الاسلام ، والدين غض طري(٢) .

وما وجه أسى ابن رشيق على أن خُصِي مخنث ، وخَصْيه وترك خَصْيه قريب من قريب ، وإن كان أبو عثمان الجاحظ ذكر أن الخَصْي يترك أثرا في جسم المخصي ونفسه وطباعه . وهل إذا خصي الدلال ذهب ما كان يحسنه من الغناء ؟

جـ ـ ومن فكاهات إبراهيم بن هرمة مع المنصور : «ولما دخل عليه ـ أى المنصور ـ إبراهيم بن علي بن هرمة أنشده قصيدته التي يقول فيها :

(١) السابق : ٥١، ٥٢ .

(٢) وانظر فكاهات أخرى في : ٣٨، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٥ .



الواضع ما عُرف عن ابن هرمة من حب الخمر . والمنصور أجل من هذا وأخوف لله من أن يفعل ما نسب إليه ، وواضع طرفة نصر بن مقبل–وأظنه من حساده والناقمين عليه – أراد أن يطعن في عقله ، وفي عقل الرشيد الذي ولي مثله ، وأن يغمز في ثنايا ذلك مسالةَ" ملكِ اليمين" و "إقامةِ الحدود ".

ومن عجيب الفقه أن تصلب الشاة بعد ضربها الحد ، فيجمع عليها عقابُ ملة الإسلام ، وعقابٌ أهل الجبروت من الملوك ، وينجو الناكح بفعلته لحسن تخلصه!!!، وهنا منزع الملحة ومكمن الفكاهة .

ومثل ما سبق فكاهات رواها الحصري في جهل أهل الشام ، يغلب على الظن أنها مما وضعه أهل العرق بعد أن ذهب ملك الشام ، ودالت دولة بني أمية(١) . .

وهذه أمثلة لوضع الفكاهات لغايات سياسية أو دينية ، ومن المعلوم أن الفكاهات اتخذت سلاحا في المعارك الدينية ، والسياسية ، والأدبية ، وغيرها. وفي هذه المعارك وضع من الفكاهات ما وضع ، واختلق منها ما اختلق .

٣ ـ ومن حيث إسنادُ الفكاهة إلى قائل بعينه ، أو إرسالُها وترك إسنادها :تتنوع فكاها ت الكتاب ما بين فكاهات مرسلة ، لا تنسب إلى قائل بعينه، و إنما تنسب إلى فرد من طبقة أو من مكان ، مثل : " وسرق مدني قميصا..." ، وطبخ بعض البخلاء قدرا "..(٢) وقال أعرابي ، أو وقالت أعرابية .... إلخ ، وهي كثيرة في الكتاب . وفكاهات مسندة تنسب إلى مَسَمّىً لم يشتهر بالفكاهة أو روي له منها القليل وهي دون الأولى في الكثرة .

وفكاهات تنسب إلى فحول الفكاهات ، الذين عرفوا بكثرة القول فيها ، وهي

(١) السابق : ٨٤ ، ٨٥ ، ١٨٤ .

(٢) ص : ٢١٦ .

أكثر مادة الفكاهة في الكتب. وممن ذكره الحصري منهم : مزبد المديني(١) ، وابن أبي عتيق (٢) ، والشعبي(٣) ، والجماز (٤) ، وأشعب(٥) ، وأبو العيناء(٦) ، وأبو العبر(٧) ، وأبو دلامة(٨) ، وأبو الأسود الدؤلي(٩) ، وغيرهم . وإذا عدتَ إلى مبحث : صنوف الفكاهات وجدتَ أمثلة لهذه الأقسام الثلاثة من الفكاهات ، ولولا مخافة التكرار لأعدت أمثلة منها هنا.

٤ - **ومن حيث قوالب الفكاهات** : اشتمل الكتاب على فكاهات صُبت في قالب الشعر المنظوم ، و أخرى صُبت في قالب الكلام المنثور . ثم تنوعت صور هذين القالبين ، فمنها : ما جاء على صورة " الحديث " وما جاء على صورة "المخاطبة" ، و ما جاء على صورة "المجاوبة" ، و ما جاء على صورة "المنادرة" ، و ما جاء على صورة "المهاترة" ، و ما جاء على صورة "المراجعة" ، وما جاء على صورة "المنازعة" ، ومنها ما صب في قالب "التشبيه" ، أو "المثل" ، أو "اللغز".... إلخ .

وقد أشار الحصري نفسه إلى هذا التنوع بعد فراغه من المقدمة وحين ابتدائه سردَ فكاهات الكتاب فقال : " وهذا حين ابتدئ متصرفا بك من بلاغة خطاب إلى براعةِ جواب ، وصريحِ منادرة إلى مليحِ مهاترة ، وغريبِ مراجعة إلى عجيب منازعة ، وتشبيهٍ واقع ، إلى مثلٍ صادع ، وغير ذلك مما يحيي موات القلوب ويشفي

(١) ص : ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٣٠٧ .
(٢) ص : ١٨٣ .
(٣) ص : ١٩٦ .
(٤) ص ١١٤ ، ١١٧ .
(٥) ص : ١٦ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ١٦٩ ، ٣٦١ .
(٦) ٧٦ ، ١٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ .
(٧) ص : ٣١ ، ٨١ .
(٨) ص : ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٩) ص : ٢٠٦ .

نجي الكروب ، مما تجذل له الخواطر ، وترتاح إليه السرائر ، وتنفتح به الأسماع ، وتنشرح له الطباع "(١) .

وهذه القوالب والصور التي ذكرها من فكاهات الشعر و النثر قد تتداخل في الملحة الواحدة ، ونصيب الفكاهات النثرية في الكتاب أكثر ؛ لأن النثر أطوع للفكاهة من الشعر . وإن كان نصيب الفكاهات الشعرية ليس بالقليل .

فمما رواه من ملح الشعر سخريةُ الحطيئة من نفسه ، ومن أبيه ، وأمه ، وزوجه:

سخر من وجهه حين أبصره في بئر ، فقال :

أبَتْ شَفَتَايَ اليومَ إلا تكلما   بسُوء فلا أدري لمن أنا قائلُه

أرَى لي وجها قبح الله خلقه   فقبح من وجه وقبح حامله

وسخر من أمه و أبيه فقال :

ولقد رأيتك في المنام فسؤتني   وأبا بنيكِ فساءني في المجلس

و سخر من أمه فقال :

تنحي فاجلسي مني بعيدا   أراح الله منك العـــالمينا

أغربالا إذا استودعت سرا   وكانونا على المتحدثينا ؟!

وقال لامرأته :

أطوف مـا أطوف ثم آوي   إلى بيت قعـيدته لكاع(٢)

وشعر الحطيئة هذا معدود في باب الهجاء ، وهو فن من فنون الشعر غير

(١) ص : ٦٣ .

(٢) ص : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

الفكاهة الشعرية . و ما أدخلَه في باب الفكاهات والملح ، ولم يُدخل ما عداه من الهجاء ـ ما فيه من سخرية ، والسخريةٌ من أعلى فنون الفكاهة ، ثم ما فيه من غرابة، وطرافة ، وإخلاف للتوقع . إذ لم تجر العادة بأن يسخر الإنسان من نفسه ، أو من أبيه ، أو أمه، أو زوجه ، أو أحد غيرهم من خاصته . وإن كانت العادة جارية بإيقاع الهجاء على من سواهم من الناس .

و الحطيئة من أوائل من فتح باب هذه الفكاهة الساخرة في الشعر ، ثم اتبع فيه. فقد كثر هذا النمط من الهجاء الساخر جدا في العصر العباسي عند بشار ، و أبي نواس ، وابن الرومي ومن جاء بعدهم ، وانتقل من الشعر إلى النثر والرسائل على يد الجاحظ في سخرياته النثرية ، وتَوسع فيه جدا من تبعه من أعلام مدرسة النثر البويهي .

ومما رواه الحصري من فكاهات الشعر المستملحة في باب الهجاء الساخر قول أبي نواس ، في وصف إسماعيل بن نويخت بالبخل(1) :

على خبزِ إسماعيلَ واقيةُ البخلِ ... فقد حلَّ في دارِ الأمانِ من الأكْلِ
وما خبزُه إلا كعنـقاءِ مُغْرِبٍ ... تُصَور في بُسْطِ الملوكِ وفي المثْلِ
يحَدثُ عنها الناسُ من غيرِ رؤيةٍ ... سوَى صورةٍ ما إن تُمِر ولا تُحلي
وما خـــبزُه إلا كليبُ بن وائلٍ(2) ... ليالي يـــحمِي عزهُ منبتَ البقلِ
وإذ هو لا يستَبُّ خَصمانِ عندهُ ... ولا الصوتُ مرفوعُ بجِد ولا هزلِ
فإنْ خبزُ إسماعيلَ حل بهِ الذي ... أصابَ كليبا لم يكن ذاكَ عن ذُلِّ
ولكنْ قضـــاءُ ليس يُسطَاع ردهُ ... بحيلةِ ذي دَهْيٍ ولا مكرِ ذي عقْلِ .

وقال أبو نواس في هجاء الفضل الرقاشي :

(1) وقد كذب أبو نواس على ابن نويخت . انظر : البخلاء : ٧٢ .

(2) راجع ترجمة كليب وخبره فى سرح العيون : ٤٨ .

رأيتُ قدورَ الناس سودًا من الصلَى(١)   وقدرُ الرقاشيينَ زهــراءُ كالبدرِ
يضيقُ بحَيزُوم البعوضةِ صدرُهاَ   ويَخرُجُ ما فيها علَى طرفِ الظفرْ
يبينُهاَ للمعتــــفِي بفــنائِهم   ثلاثٌ كخط الثّاءِ من نُقَطِ الحبرِ
إذا ما تنادَوا للرحيلِ سعَى بها   أمامهُم الحولِيُّ من ولَد الذَّر!(٢)

وهاتان القطعتان تدلان على تأصل روح الظرف عند أبي نواس ، وعلى قدرته الفائقة على السخرية والوصف " الكاريكاتوري" ، مستعينا بطبعه الظريف ، و ثقافته الواسعة ، و محفوظه الشعري ، وخياله الخصب ، وربما تأثر به في هذا النزوع الكاريكاتيري في الوصف من جاء بعده وسلك سبيله ، وإن كان الحس الكاريكاتيري موجودا عندالحطيئة في قوله : أَغِرْبَالا .. ، وكَانُونا .. إلخ.

وأبو نواس أحد الظرفاء من الشعراء ، الذين رويت عنهم لطائف الظرائف ، وأطايب المضحكات ، و بذلك أخبر عن نفسه في قوله :

إنيّ أناَ الرجـلُ الحكيمُ بطبعِهِ   ويزيدُ في علـمِي حكايةُ من حكَى
أتتبعُ ا لظرفـــــاءَ أكتبُ عنهمُ   كيما أحدثُ من أحبُّ فيضحَكَا (٣)

ومن طريف ما رواه الحصري من الهجاء الساخر مُسَابَّة بين ابن المعتز ومحمد بن نصر بن بسام : قال ابن المعتز :

يا ثقِيلا علىَ القلوبِ إذ عــَـــــنَّ لها أيقنَتْ بطولِ الجهَادِ
يا قذًى في العيونِ يا حرْقة بيــــــــــنَ التراقِي حزَازةً في الفؤادِ
يا طلوُعَ العــزولِ ما بين إلفَيـ   ـيا غريمًا وافـَى علىَ ميعَادِ

(١) «صَلَى اللحمَ يصليه صَلْيًا : شواه . اللسان (صلا) .
(٢) جمع الجواهر : ٧٩ ، ٨٠ .
(٣) البيان والتبيين : ٤ / ٧٥ .

يا رَكُودا في يومِ غيمٍ وصيفٍ ... يا وجُوهَ التجارِ يومَ الكسَادِ
خَـــلِّ عنا فإنما أنتَ فينا ... واوُ عمرٍو أو كالحديثِ المُعَادِ

فأجابه ابن بسام بقوله :

فقدتُكَ يا قذاةً في شرَابٍ ... دخـلْتَ من الدناءةِ كلَّ بَابِ
لئيمُ الفعلِ أشأمُ من غرابٍ ... وضيعُ القَدْرِ أَطْفَلُ من ذبابِ
وأثقلُ حين تبدُو من رقيب ... وأكذَبُ حين تنطقُ من سرَابِ
وأغدرُ للصديقِ من الليالي ... وأنكى للقلوبِ من العتَابِ

وأنا أظن أن ابن بسام لا يواجه ابن المعتز العباسي بمثل هذا ، وإن كان معروفا عن ابن بسام الإقذاعُ في الهجاء . وأنشد الحصري بعد أبيات ابن بسام أحد عشر بيتا في الباب نفسه لجحظة البرمكي ، وهو من ملحاء الشعراء (١).

وهذاالتمط من التهاجي يخالف في صورته الساخرة وروحه ما سبق من سخرية ، الحطيئة ، وأبي نواس . وفيه حس شعبي يذكرنا بمساجلات السبابين والسبابات في الريف والحضر .

ومن فكاهات الشعر – ومما رواه الحصري أيضا –ما قاله الحمدوني الشاعر في "طَيْلَسَان" أهداه إليه أحمد بن حرب المهلبي فلم يرضه ؛ لأنه وجد فيه عيبا، فجعله الحمدوني مادة للقول ، وبابا للسخر والتندير ، وكتب فيه–كما قال المبرد– عشر مقطعات ، ضمَّن أواخرها أبياتَ أغانٍ مستملحة ، فلما استُملحت منه هذه المقطعات العشر ، واستحليت جعلها خمسين (٢). فصنَع للطيلسان ديوانا من الشعر أو قريبا من الديوان !!

(١) انظر : جمع الجوامع : ٢٢٣ ، ٢٢٤ . (٢) انظر : جمع الجواهر : ١٥٢ ـ ١٥٧ .

ومن تلك المقطعات قوله :

يا ابنَ حرْبٍ كسوتَني طيلساناً ... مَلَّ من صُحبةِ الزمان وصَدَّا..
إن تنســـمتُ فيه ينجر جَرّاً ... أو تبَسَمتُ فــــيه يتقدَّدُ قدّاً
طالَ ترداده إلى الرفْوِ حتى ... لو بعثناهُ وحـــدَهُ لتَهَدّى

وقوله:

ولِي طيلسانٌ إن تأملتَ شخصَه ... تبينتَ أن الدهرَ يفنَى وينقرضْ
تصدَّع حتى قد أمنتُ انصداعَه ... وأظهرتِ الأيامُ من عمره الغَرَضْ
فلو أن أصحابَ الكلامِ يرونَه ... لماروْكَ فيه وادَّعَوا أنه العَرَضْ(١)

وهذا انتقال من السخرية بالبشر إلى السخرية بجماد هو : الثوب ، على أن السخرية من هذا الطيلسان سخرية من مُهديه ؛ ولذا قيل إن الحمدوني مر بابن حرب وهو جالس على باب داره، وعلى كتف الحمدوني وسادة ، فقال له ابن حرب : لأي شئ هذه الوسادة ؟ قال : أرفع بها طيلسانك . قال : " ما تزال تهجونا منثورا ومنظوما"(٢) . فدل هذا على أن السخرية من الطيلسان سخرية من مُهديه , وهي على كل حال سخرية لغرض الفكاهة .

وهذا الضرب من الشعر الساخر – على ما فيه من تحامق ، وعبث لا طائل من ورائه – كان مُستحلىً عند بعض طبقات الناس ، مرجو العائد لقائله ، ولهذا كان يحترفه من يحسنه ، ويُسَامِح فيه من يقال فيه ، ويلوم عليه من يلوم . وقد لِيمَ الحمدوني نفسه على تحامقه هذا، فقال : " حماقةٌ تعولُني ، خيرٌ من عقلٍ أعولُه " .

وأنشد :

(١) جمع الجواهر : ١٥٦ ، والغَرَض : الضجر والملال . اللسان (غرض).

(٢) نفسه : ١٥٣ .

عذلوني على الحماقة جهلاً وهْيَ من عقلِهم ألذُّ وأحلى
حُمْقيَ اليومَ قائمٌ بعيالي ويموتون إن تعاقلْتُ ذُلاًّ(١)

وأعجب من هذا -وإن كان من جنسه ـ ما رواه الحصري من أن أبا العبر، وهو ظريف من ولد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس!! ـ دخل على المعتز بالله لما استقرت له الخلافة ، فأنشده قصيدة من الجد ، هنأه فيها بالخلافة ، وطلب صلته ، وهجا سلفه المستعين ، فلم يُقْبِل عليه المعتز " فعمل أبو العبر قصيدة مزدوجة، كلها هزل، من غير تقويم ولا إعراب ، منها قوله :

أيا أحمدَ الرقيع * ومن أكلك الرجيعْ * أتنسى متى كانْ * نصيُرك قهرمانْ *
فيأتيك بالسويقْ * من السوقِ والدقيقْ * فصرتَ الآن في الدارْ * على رتبةِ البزارْ *
أما تعلمُ يا فَارْ * بأن الله يَختارْ * ويعطِي غيرَك المُلك * عزيزا يركب الفُلْكْ *

وفيها-كما قال الحصري- ما لا يذكر من حماقة واختلال ، وبرد وانحلال ، وكلام مرزول ، غث مهزول ، فضحك المعتز منها ، وأمر له بألف دينار " !!(٢)

وحين يكون عقل العاقل عبئا عليه يكون التحامق عقلا وكيسا!!!. ومن حُرم الرزق مع العقل طلبه بالحمق . وهذ أيضا من فائدة العقل .

ومما صيروه موضوعا لفكاهات الشعر-والنثر أيضا- خرافُ الأضَاحي وتهاديها . وقد روى الحصري كثيرا من نصوصها أحيلُ عليها ، وعلى ما أشبهها تجنبا للإطالة (٣) .

---

(١) انظر : الفكاهة فى الأدب : ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) جمع الجواهر : ١٤ .
(٣) ص : ٣٥٥ ، ٣٥٧ .

وكما صُبت الفكاهات في قالب الشعر ، صَبت في قالب فقرة مختصرة من النثر على صورة حديث أو مجاوبة ،و صُبت كذلك في قوالب نثرية أخرى أطول : فصبت في قالب حكاية أو أقصوصة متوسطة الطول أو طويلة، مثل حكاية أبي الأغر والكلب الذي ظنه لصا، ففيها كثير من عناصر الأقصوصة وقد ذكرتها من قبل(١).

وقد تصّب في قالب رسالة متوسطة الطول أو طويلة وفي الكتاب من ذلك أمثلة كثيرة ، مثل رسالة في طلب جارية موصوفة بما لا سبيل إليه إلا في الجنة(٢) ، ورسالة للخوارزمي يسخر فيها من بديع الزمان ، وهي بديعة حقا وتقع في نحو أربع صفحات . وقال الحصري بعقبها : " وهي طويلة جدا ، مر له فيها إحسان كثير، وإنما احتذى في أثرها مثالَ رسالة أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، لأحمد بن عبد الوهاب ، المعروفة برسالة الطول والعرض ، وتعرف برسالة التربيع والتدوير، ورسالة المفاكهات ، واتبع أيضا طريقَ أبي الفضل بن العميد، في رسالته لابن سمكة النحوي"(٣).

وطول هذه الرسائل مانع من إيراد نماذج منها هنا . على أن الفكاهة في الرسائل في جمع الجواهر وفي غيره من الكتب مما يحتاج إلى دراسة مستقلة ، لما فيه من إحسان وإبداع،وافتنان وتصوير ، وعلى الأخص رسائل كتاب بنى بومه .

ولعلك لاحظتَ أن الفكاهات قد صُبت في كثير من القوالب الأدبية القديمة المعروفة مثل : الشعرِ ، والخبرِ ، والمثلِ ، والحكايةِ ، والقصةِ ، والرسالةِ ، والمقامةِ(٤)،

---

(١) انظر ص : ١٤٤ ، وانظر مثالا ص ٢١٧ و آخر ص : ٢٣٠ . من جمع الجواهر .

(٢) ص : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣) ص : ٢٥٦ - ٢٦٠ .

(٤) انظر : زهر الآداب : ٢ / ١٠٨٤ .

وغيرها. وفي العصر الحديث دخلت الفكاهة قوالبَ أخري مثل : القصة ، والرواية، والمسرحية ، والمقالة ، وغيرها (١). وهذا دليل على قابلية الفكاهة لأن تصب في كل الأشكال الأدبية . ولا غرابة في هذا فالأشكال الأدبية أوعية ، تملأ بالجد ، كما تملأ بالهزل .

٥ ـ ومن حيث منزع الفكاهات : فإن بعض فكاهات الكتاب صنعةُ القائل وحده ، وليس للمستمع فيها من الحظ إلا استلذاذُها والضحك منها ، فمنزعها إذن من نفس القائل وروحه ، وليس للمخاطَب بها ، ولا للموقف الذي قيلت فيه في صوغها نصيب .

وهناك فكاهات " مجاوبة" ، وفكاهات "موقف" ، المخاطب بها ، والموقف الذي قيلت فيه ، شركاء للقائل في صوغ الملحة ، وقد مرت أمثلة لهذه وتلك (٢).

وخذ مثلا زائدا ما روي عن مزبد المديني حين : " زُفت إليه امرأة فأتته الماشطة، وهي تجّلى فقالت : انحلها شيئا . قال: قد نحلتها تطليقة"(٣). فهذه الفكاهة وأمثالها منزعها من نفس قائلها وهو مزبد ، لا من خارج نفسه إذ الموقف موقف جد لا هزل ، ولكن مزبدا المطبوعَ على المُزاح أخرجه على ما طُبعت عليه نفسه . .

وهذا حال من طبعت نفوسهم على الظرف ، وجبلت على التندر ، فلا يكادون يدعون الفكاهة في جد ولا هزل ، وهؤلاء هم الذين أخرجوا من مقامات الجد فكاهات ، ما كان يتصور خروجها منها. وهذا ما نبه عليه الجاحظ و الحصري وغيرهما : من أن الجِد يستخرج منه الهزل ، حين قالوا : أن الهزل يستخرج منه

(١) تجارب فى الأدب والنقد : ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .

(٢) راجع مبحث : صنوف الفكاهات ص : ٦٧ وما بعدها .

(٣) ص : ١٧٧ .

الجد(١) .

وفكاهات "المجاوبات" و"المحاورات" كثير منها يكون منزع الفكاهة فيه من القائل و المجاوِب ، أو من القائل والموقف نفسه ، أو من الثلاثة جميعا. خذ أمثلة ثلاثة مما رواه الحصري :

أ ـ " وَدخل بشار على المهدي ينشده شعرا ، ـ وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري وكان مغفلا ـ ، فقال : ما صناعتك أيها الشيخ ؟ قال : أنظم اللؤلؤ . قال المهدي : أتهزؤ بخالي ؟! قال: وما أقول لمن يرى شيخا أعمى ينشد شعرا، فيسأله عن صناعته ؟! "(٢).

ب ـ " أتى رجل نخاسا فقال : اشترِ لي حمارا ليس بالصغير المحتَقَر ، ولا الكبير المشتَهَر . إن أشبعتَهُ شكَرَ ، وإن أجعتَهُ صبَرَ ، وإن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصدمُ بي السوَارِي ، ولا يدخل بي تحت البوَارِي ، إن ركبتُهُ هام ، وإن ركبه غيري نام . فقال له النخاس : إن مسخ الله ابن أبي ليلى القاضي حمارا اشتريته لك "(٣).

جـ ـ "قال خالد بن صفوان للفرزدق : يا أبا فراس ، لو رأتكَ صويحبات يوسف ، لما أكبرنَكَ ، ولا قطعن أيدهن . قال : وأنت يا خالد ، لو رأتك صاحبة موسى ، لما قالت : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (٤)

(١) انظر ما سبق ص : ٥٩ .

(٢) جمع الجواهر : ٣٤٣ ، كذا رويت . وينبغى أن يكون يزيد بن منصور دخل على المهدى وبشار عنده ينشده شعراً .

(٣) السابق : ٢٣١ ، وهى فى العقد الفريد : ٤ / ٣٨٣ .

(٤) نفسه : ١٤٠ ، وقول خالد مقتبس من قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ يوسف : ٣١ . وأخذ الفرزدق الآية (٢٦) من سورةالقصص .

فهذه الفكاهات الثلاث - وأمثالهما في الكتاب كثير جدا- منزعها إما من "القائل" ، و"المجاوِب" ، و"الموقف" جميعا كما في حكاية بشار ، أو من "القائل" و"المجاوِب" كما في مجاوبة خالد بن صفوان و الفرزدق ، وفي حكاية مشتري الحمار، التي تلوح فيها أمارة الصنعة بادية . والفكاهة تستدعي الفكاهة ، والطرافة تستجلب الطرافة ، وعلى هذا تبنى المساجلات الفكهة .

فسؤال خالد بن يزيد خال المهدي ، وغفلته فيه ، هما اللذان أعانا على استخراج الملحة الأولى ، وما كانت لتستخرج لولاهما ولا لتنتزع بدونهما ، وتشدد الراغب في شراء الحمار في أوصافه على نحو ما رأيت ، بما لا يكاد يجتمع في إنسان ، فضلا عن اجتماعه في حمار!!-هو الذي استخرج الملحة الثانية وما كانت لتكون بدونه ، ولا لتُنتزع لولاه . وتعريضُ خالد بن صفوان هو الذي استخرج تعريض الفرزدق ، وهكذا . وفكاهات الكناية والتعريض باب واسع جدا من أبواب الفكاهة في التراث العربي ، وهو كثير الجيد والمستملح ، ونماذجه كثيرة في كتاب جمع الجواهر .

والبحث في استخراج الفكاهات والملح كيف يكون ؟ ، وانتزاعِها من مكامنها في المعاني والمواقف والأشياء والأشخاص كيف يتم ؟- بابٌ يطول ، وفيما قلت إشارة كافية.

وأنا أظن أن فكاهات المجاوبة والموقف أصعب انتزاعا ؛ لما تقتضيه من حدة الخاطر ، وحضورِ البديهة وسرعةِ الجواب ، وإصابةِ الصواب من غير إطالة تفكر أو مراجعة نفس .

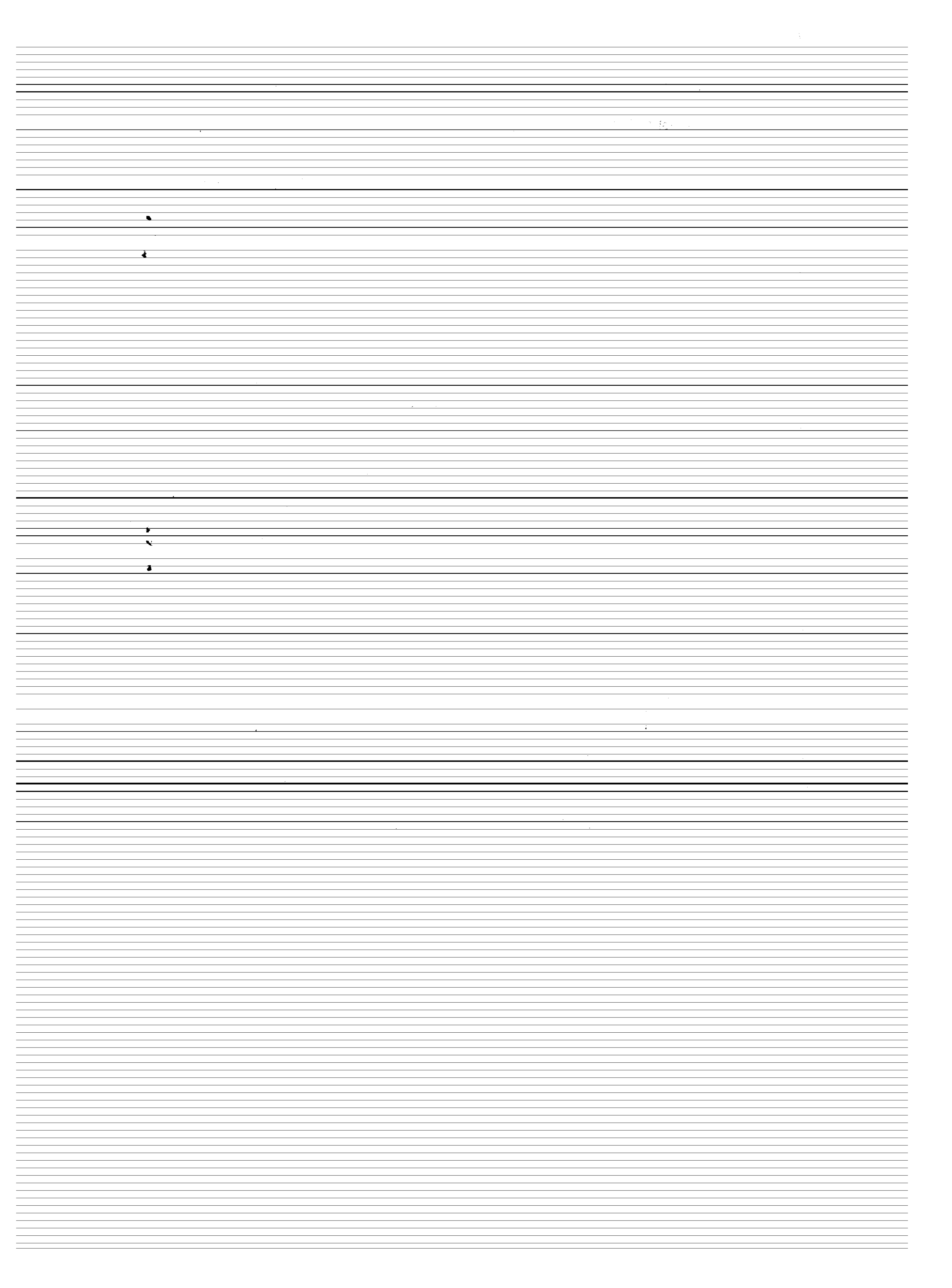
وإذا كانت " فكاهة الحديث " التي لا مجاوبة فيها مبناها على متكلمٍ هو "

منتج " الفكاهة ، ومستمع هو " مستهلك " لها ، فإن "فكاهة المجاوبة" أو "المقاولة" مبناها ـ حين يشترك الطرفان في انتزاع الفكاهة – على " مجاوَب " و" مجاوِب " كلاهما " منتج " للفكاهة و" مستهلك " لها .

وبعد . فهذا ما يسر الله إنجازه من هذا البحث بِمَنِّه وفضله ، وتيسيره وعونه . وما ظننتُ حين بدأتُه أني أبلغ فيه ما بلغتُ ، أو أصل فيه إلى ما وصلت إليه . ولست مستكثرا عملي ، و لا مزكيا على الله نفسي ، ولكنه ما صاحبَ البداية من الوهْن ، وخوفِ الانقطاع دون الغاية ، ثم ما لزم عند الانتهاء من وجوب الشكر لله على جميل صنعه ، وكريم عطائه ، وسابغ فضله ، وعميم إحسانه .

وإني لأرجو مع هذا أن يكون إحساني في هذا البحث رابيا على إساءتي ، وتوفيقي فيه زائدا على تقصيري ، والحمد لله أولا وأخيرا، جهرا وسرا ، بكرة وعشيا، وصلى الله على سيدنا محمد ما طلعت على الخلائق شمس ، وما أجنهم ليل ، وأقلتهم أرض ، وأظلتهم سماء.

اللهم أحينا على مِلته ، وأمتنا عليها ، و ارزقنا شفاعتَه ، وأوردنا حوضَه ، واجمعنا به ، وأدخلنا مُدخلَه ، وبلغه منا فى كل حين السلامَ يا ذا الجلال والإكرام.آمين .



المصادر والمراجع

١ ـ أبو إسحاق الحصري القيرواني والنقد في كتابه زهر الآداب : محمد بن سعيد بن عبد الله الشويعر . دكتوراه مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة .رقم (٣٥١٦) .

٢ ـ أخبار الأذكياء : أبو الفرج بن الجوزي (٥٩٧هـ) . تحقيق محمد مرسي الخولي . المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ١٩٧٠م.

٣ ـ أصول الدين : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (٤٢٩هـ) . دار المدينة للطباعة والنشر. بيروت .

٤ ـ الأعلام : قاموس تراجم : خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين . الطبعة السادسة . ١٩٨٤م.

٥ ـ الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٣٥٦هـ). تحقيق : إحسان عباس و صاحبيه . دار صادر بيروت لبنان . الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٦ ـ الإمتاع و المؤانسة : أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (حوالي ٤٠٠هـ) .تحقيق : أحمد أمين وصاحبه . المكتبة العصرية بيروت .

٧ ـ البخلاء لأبي عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق : طه الحاجرى . دار المعارف . الطبعة السادسة .

٨ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج منها : أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (٥٩٩هـ) . مطبعة روخس ١٨٨٤ م .

٩ ـ البيان والتبيين : أبو عثمان الجاحظ . تحقيق : عبد السلام هارون . مكتبة

الخانجي بالقاهرة الطبعة السابعة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٠ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عَذَارِي المرّاكشي . تحقيق : ج. س. كولان و إ. ليفي بروفسنال . دار الثقافة . بيروت . لبنان .

١١ - تجارب في الأدب والنقد : شكري محمد عياد . دار الكتاب العربي . القاهرة ١٩٦٧.

١٢- تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان . نقله إلى العربية الدكتور رمضان عبد التواب . دار المعارف بمصر ١٩٧٥م.

١٣ - جحا الضاحك المضحك : عباس محمود العقاد . دار الهلال . مصر . د. ت -

١٤ - جمع الجواهر في الملح والنوادر لأبي إسحاق الحصري (٤١٣هـ) (نشر محمد أمين الخانجي) . المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

١٥ - جمع الجواهر في الملح والنوادر لأبي إسحاق الحصري (تحقيق علي محمد البجاوي) . دار الجيل بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م .

١٦ - حديث الحب بين الحصري وابن حزم : رؤية أدبية نقدية : حسن ذكري حسن . مطبعة الأمانة . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٧ - الحيوان لأبي عثمان الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون .مطبعة مصطفى البابي الحلبي . الطبعة الثانية .

١٨ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) : تحقيق : عبد السلام هارون . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة .بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٠ ـ رسائل الجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة .

٢١ ـ زهر الآداب وثمر الألباب : أبو إسحاق الحصري . تحقيق : علي محمد البجاوي . مطبعة عيسى البابي الحلبي . الطبعة الثانية .

٢٢ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: جمال الدين محمد بن نباتة المصري . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٢٣ ـ سيكلوجية الفكاهة والضحك : الدكتور زكريا إبراهيم . مكتبة مصر . دار مصر للطباعة . د. ت.

٢٤ ـ الضحك : هنري برجسون . ترجمة : سامي الدروبي ، وعبد الله عبد الدايم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

٢٥ ـ عيون الأخبار : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٣م (نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية).

٢٦ ـ العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) . المطبعة الأزهرية بمصر . الطبعة الثانية ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م

٢٧ ـ الفكاهة في الأدب : أصولها وأنواعها : أحمد محمد الحوفي . دار نهضة مصر . القاهرة ١٩٥٦م.

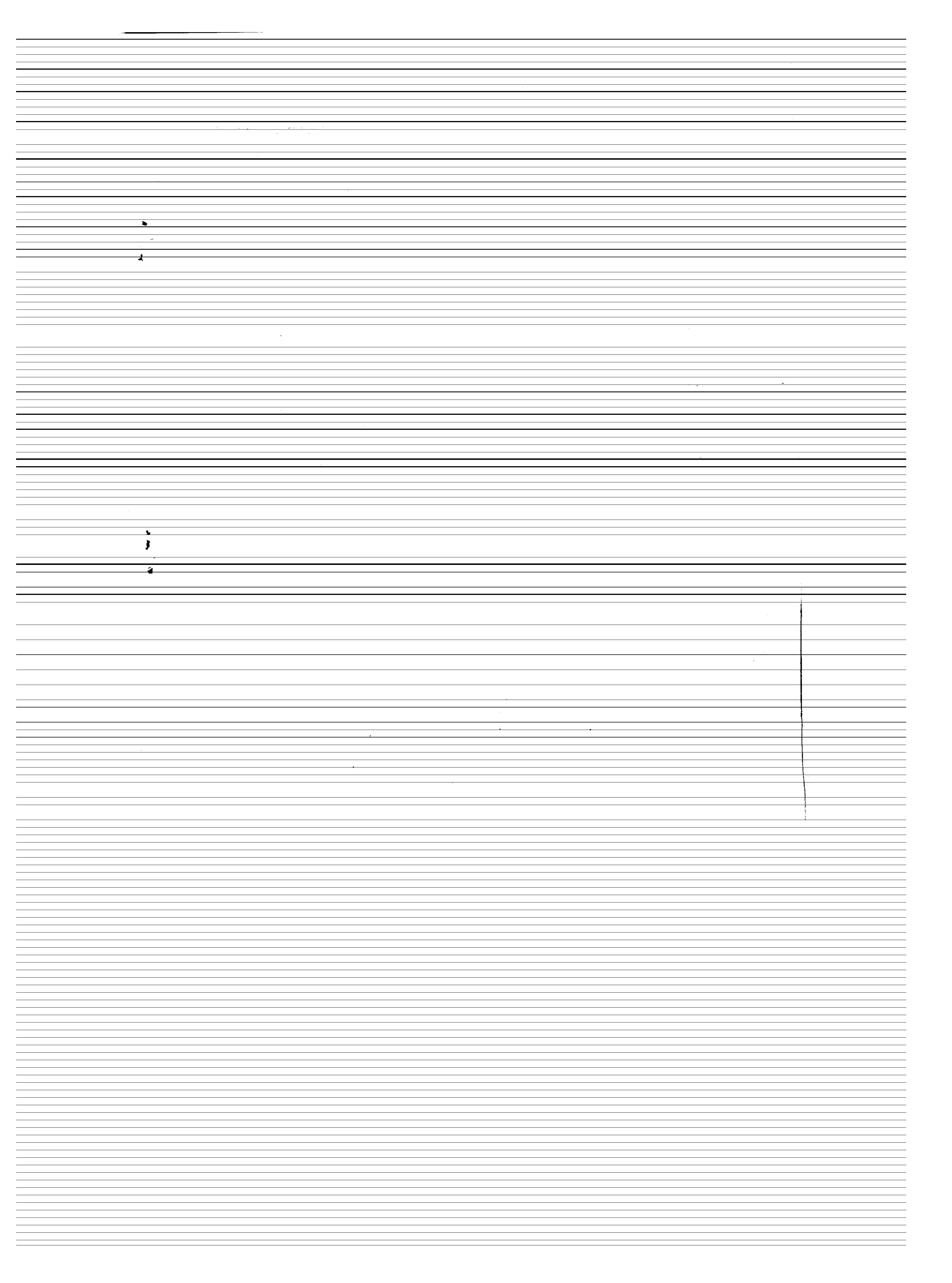
٢٨ ـ الفكاهة في مصر : شوقي ضيف . دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.

٢٩ ـ الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري : فتحي محمد معوض أبو عيسى . (ماجستير) مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م . رقم (٢٩) .

٣٠ ـ الفكاهة بعد الجاحظ : دراسة ونقد وموازنة : فتحي محمد معوض أبو عيسى . (دكتوراه) مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٣م

رقم(٩٢٠).
٣١ ـ الفكاهة والسخرية بين المازني و البشري : إبراهيم محمد قاسم . (ماجستير) مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة . سنة ١٩٧٨م .رقم (٣٩٨) .
٣٢ ـ الفكاهة في الأدب المصري الحديث : طاهر عبد اللطيف عوض . (دكتوراه) مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٩م . رقم (١٤٨٥) .
٣٣ ـ الفكاهة بين الشرق والغرب : إبراهيم أحمد عبده . بنها ١٩٥٩م.(لم يتيسر لي الاطلاع عليه) .
٣٤ ـ الفكاهة في الشعر المملوكي : عاطف عب اللطيف السيد .(ماجستير) مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م رقم (١٢٤٩) .
٣٥ ـ فن السخرية في أدب الجاحظ : السيد نشأت محمود العناني . (دكتوراه) مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة١٩٧٤ م . رقم (٣٣٧٧) .
٣٦ ـ فهرسة ما رواه أبو بكر محمد بن خير ..الأشبيلي . منشورات مكتبة المثنى . بغداد ، والمكتب التجاري بيروت ، ومؤسسة الخانجي القاهرة .
٣٧ ـ الكامل في اللغة و الأدب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(٢٨٥هـ). مطبعة الاستقامة . القاهرة ١٩٥١م .
٣٨ ـ لسان العرب : ابن منظور المصري (٧٠٠هـ). دار المعارف . القاهرة .
٣٩ ـ مجموع رسائل الجاحظ جمع وتحقيق : محمد طه الحاجري. دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢م .
٤٠ ـ المصون في سر الهوى المكنون : أبو إسحاق الحصري . نسخة مخطوطة عندي خططتها بيدي من نسخة مكتبة عارف حكمت ، ولم يتيسر لي الاطلاع على المطبوعة .
٤١ ـ المُعجب في تلخيص أخبار المغرب : عبد الواحد المراكشي(٦٤٧هـ). تحقيق : محمد سعيد العريان . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة

١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .
٤٢ ـ المُغرب في حُلى المغرب : ابن سعيد المغربي . تحقيق : شوقي ضيف . دار المعارف . الطبعة الثالثة .
٤٣ ـ معجم الأدباء : ياقوت الحموي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .
٤٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي . مؤسسة جمال للنشر . بيروت . لبنان .
٤٥ ـ معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية : عمر رضا كحالة . مطبعة الترقي . دمشق . ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧م .
٤٦ ـ الموشى أو : الظَّرف والظرفاء :أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق ابن يحيى الوشاء (٣٢٥هـ). شرح : عبد الأمير علي مهنا . دار الفكر اللبناني . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
٤٧ ـ نكت الهِميان في نُكت العُميان : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي . المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .
٤٨ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ). تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م .



الفهرس التفصيلي

كتاب الحوفي هو رائد الدراسات العربية عن الفكاهة(٣٦) دراسة الحوفي- وكذا ضيف- أدبية الطابع تاريخية الإطار(٣٦) الدراسات الأخرى ذات طابع فلسفي ونفسي واجتماعي(٣٧) من الفوارق بين الدراسات العربية و الغربية في موضوع الفكاهة(٣٨) عناية الفلاسفة قديما وحديثا بظاهرة الضحك والفكاهة(٣٨) الشكوى من كثرة الدراسات الغربية عن الفكاهة(٣٩)

مضمون خمس رسائل جامعية عن الفكاهة : الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري لفتجي أبو عيسى(٣٩) الفكاهة بعد الجاحظ ..له أيضا(٤٠) فن السخرية في أدب الجاحظ للسيد العناني(٤١) الفكاهة والسخرية بين المازني والبشري لإبراهيم قاسم (٤٢) الفكاهة في الأدب المصري الحديث لطاهر عبد اللطيف(٤٢) أبو إسحاق الحصري ..لمحمد بن سعيد الشويعر(٤٣) التداخل بين موضوعات الرسائل الخمسة المذكورة أولا(٤٤) انتفاعي بمادة هذه الكتب والرسائل(٤٥) رأي فيما يجب على الباحث الجامعي في كلية من الكليات(٤٥) .

المبحث الثالث : الحصري ونظرية الفكاهة .... [٤٧ ـ ٦٤]

ألفاظ : الفكاهة والملح والنوادر في استعمال اللغة(٤٩) تعريفات للفكاهة واعتراف بصعوبة تعريفها(٥١) الفكاهة مما يستعصي على التعريف الجامع المانع(٥٣) .

مادة الفكاهة في جمع الجواهر تجمع بين النظرية والتطبيق(٥٣) الهزل يحتاج إلية في موضعه كما يحتاج إلى الجد(٥٣) من أقوال من رخص في المُزاح(٥٥) من أقوال من ذمه(٥٦) تأويل أقوال من رخصوا في المزاح ومن ذموه(٥٧) من فوائد الفكاهات : أنها ربما خلصت من الهلاك وفكت الرقاب(٥٩) وربما أفادت الرغائب وبلغت المطالب (٥٩).

تقسيم الفكاهات إلى حارة وباردة وفاترة(٥٩)، استخراج الهزل من الجد والجد من الهزل(٥٩) ، الفكاهات كالأمثال لا تغير عند حكايتها(٦٠)، من شروط المسامر و المنادر(٦١) ، طبقة المسامرين و المنادرين من الطبقات التي عظُم شأنها في زمن الحضارة(٦٣) .

المبحث الرابع : صنوف الفكاهات في جمع الجواهر [٦٥ـ٨٨]

تنوع صنوف الفكاهات في الكتاب(٦٧) : من فكاهات الخُرق والحُمق والغفلة (٦٧)، من فكاهات الوسوسة والجنون(٦٨) ، من فكاهات المتنبئين (٧٠)، الجامع بين هذه الأصناف الثلاثة هو قضية العقل(٧٠) .

من فكاهات اللحن واللُّكنة(٧٢) ، من فكاهات التقعر والتعالم(٧٣) ، من فكاهات الغلط وقلب الكلام(٧٤) ، الجامع بين هذه الأصناف الثلاثة هو قضية البيان(٧٥) ـ.

من فكاهات الطمع و التطفيل(٧٥) ، من فكاهات البخل والشح(٧٦) ، الطفيليون هم صعاليك الحضر(٧٧) ، فكاهات التطفيل والبخل تطرح قضية المال وتفاوت الطبقات في الغنى والفقر(٧٨) .

من فكاهات الأزواج والمحبين(٧٩) ، من فكاهات المخنثين(٨٠) . فكاهات التخنث أوجدتها رخاوة الحضارة وميوعة الترف(٨٠) .

من فكاهات الأعراب(٨١) : فكاهات الأعراب هي الوجه المقابل لفكاهات أهل الحضر(٨٣) ، رأي الجاحظ في ملح الأعراب(٨٤) ، قول من قال : إن الأمم الموغلة في البداوة لا تعرف الفكاهة والضحك(٨٤) ، العرب في الجاهلية لا يصدق عليهم هذا الوصف (٨٥)، العرب عرفوا قديما فضيلة السرور والأنس ، الفكاهة قديمة قدم الإنسان ، ضياع أكثر فكاهات العرب في بواديهم(٨٥) .

من الفكاهات المنقولة عن الأمم الأخرى(٨٥) ، فكاهات غير الإنسان(٨٦) ، قلة ما في كتاب الحصري من فكاهات الأمم الأخرى(٨٦) ، صنوف أخرى من الفكاهات في الكتاب غير ما سبق(٨٨) .

المبحث الخامس : من مصادر الحصري في الكتاب [٨٩ ـ ١١٣]

تقسيم الحصري الفكاهات إلى حارة وباردة وفاترة مأخوذ من الجاحظ(٩١) رأيه في رواية النادرة بلفظها وعلى هيئتها مأخوذ من الجاحظ(٩٢) وابن قتيبة(٩٣) قوله إن الهزل لا يستغنى عنه أخذه أيضا من الجاحظ(٩٤) وابن قتيبة(٩٥) الجاحظ هو فارس الفكاهة في الأدب العربي(٩٦) استدلال الجاحظ على الحاجة إلى الفكاهة بأدلة الشرع والعقل واللغة(٩٦) نفورهم من الثقلاء من أدلة محبتهم للظرفاء(٩٨) لا ضحك إلا فيما يُتعجب منه(٩٨) تجريبية الجاحظ تتجلى في حديثه عن

الفكاهة(٩٩).

قول الحصري إن الفكاهات مبناها المستغرب والخارج عما يعرف من كلام سهل بن هارون(١٠٠) تأثير الجاحظ في كل من تكلم في الفكاهة بعده(١٠١) دفاعه عن الفكاهة في أول كتاب الحيوان(١٠٢) سوء نقل الحصري عن الجاحظ(١٠٥) موافقة بعض أقوال الجاحظ في الفكاهة لما عند الغربيين : حديث الجاحظ عن الضحك عند الأطفال(١٠٨) قوله إن الضحك ظاهرة جمعية لا فردية(١٠٨) الحاجة إلى دراسة مقارنة في أدب الفكاهة (١٠٩).

مما نقله الحصري عن ابن قتيبة(١٠٩) وهْم الحصري في بعض ما نقله عنه(١٠٩) احتجاج ابن قتيبة للفكاهة وإن اشتملت على ألفاظ الفحش(١١٠) الحصري و ابن قتيبة آخذان في هذا عن الجاحظ(١١١) جعل ابن قتيبة المزاح من كتاب السؤدد وتفسير ذلك(١١١) نقول الحصري عن المبرد(١١٢) نقوله عن تراث القرن الرابع الهجري(١١٢) .

المبحث السادس : منهج الحصري في جمع الجواهر[١١٥-١٣٩]

الحصري لم يؤلف الكتاب بداع من نفسه(١١٧) الداعي إلى تأليفه كتاب زهر الآداب(١١٨) كتابه : المصون .. من إنشاء خاطره و خياله(١١٩) .

جمع الجواهر كتاب اختيارات ورواية(١١٩) التخير من أعمال العقل(١٢٠) مبنى الكتاب على الاختصار(١٢١) منهجه فيه قائم على الاستطراد(١٢٢) الكتاب في منهجه ومادته وسط بين الكتب المؤلفة في الفكاهة قبله وبعده(١٢٣) من منهجه خلط الهزل بشئ من الجد وهذا خلاف مذهبه في زهر الآداب(١٢٥) إلحاقه الشكل بشكله و الشئ بمثله(١٢٦) .

من منهجه مزج كلام المعاصرين بكلام المتقدمين(١٢٧) خلو الكتاب تقريبا من فكاهات البيئة المغربية والأندلسية ومحاولة تفسير ذلك(١٢٨) شيء من تاريخ القيروان(١٢٩) قضية العناية بالفكاهة في بيئة المغرب والأندلس(١٣٢) ضعف اندماج الحصري في أحداث بيئته وعصره(١٣٥) .

من منهجه تجنب رواية ما وضعه أهل الإلحاد من الفكاهات(١٣٧) روايته فكاهات الفحش بلفظها الصريح أو بالتكنية(١٣٨) مساجلة بين أبي بكر بن

مستدرك

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٦	٢٠	السيد الدكتور	الأستاذ الدكتور
١٠	١٢	شبيه	شبيهة
١٠	١٣	أن جمع	أنه جمع
١٦	٢٠	من أهل الرابع	من أهل القرن الرابع
٢٧	١٨	حتى لا أكون	وحتى لا أكون
٤٤	١٧	وفكاهة الجاحظ	وسخرية الجاحظ
٧٢	١٩	إناء منجلد	إناء من جلد
٧٣	٩	أحب على سيبويه	أحب إلى سيبويه
١٠٢	٧	ونقله عن أولئك	ونقل عن أولئك
١٣٤	٨	أسباب أخرى	أسبابا أخرى
١٤٦	١٦	من نقل عنه	من نقل هو عنه
١٥٦	١	الفكاهة في الكتب	الفكاهة في الكتاب